جـامعـــة النجاح الوطنية

كليـــة الدراســـات العليـــا

الانفعالات النفسية للكافرين في القرآن الكريم

إعداد

عُرسان غازي أحمد حجاجرة

إشراف

أ. د. محسن الخالدي

قدمت هذه الأطروحة استكمالا لمتطلبات الحصول علي درجه الدكتوراه في أصول الدين، من كلية الدراسات العليا، في جامعة النجاح الوطنية، نابلس –فلسطين.

2022

الانفعالات النفسية للكافرين في القرآن الكريم

إعداد

عُرسان غازي أحمد حجاجرة

نوقشت هذه الأطروحة بتاريخ 2022/09/14م، وأجيزت.

أ. د. محسن الخالدي	
المشرف الرئيسي	التوقيع
د. موسى البسيط	
الممتحن الخارجي	التوقيع
أ. د. عودة عبد الله	
الممتحن الداخلي	التوقيع
د. محمد الديك	
الممتحن الداخلي	التوقيع

جامعة النجاح الوطنية

كلية الدراسات العليا

الانفعالات النفسية للكافرين في القرآن الكريم

إعداد

عرسان غازي أحمد حجاجرة

إشراف

أ.د. محسن الخالدي

بناء على تعليمات منح درجة الدكتوراة الصادرة عن مجلس عمداء جامعة النجاح فقد تم نشر البحث

المستل التالي من الاطروحة

حجاجرة، عرسان غازي، والخالدي، محسن(2022). انفعال القلق عند الكافرين في القران الكريم. **المجلة الدولية للاجتهاد القضائي، المركز الديمقراطي العربي**، العدد 07، ايلول –سبتمبر 2022.

الإهداء

أهدي هذه الرسالة إلى أبي الحبيب، صاحب القلب الكبير، وإلى أمي الحبيبة، صاحبة القلب الحنون، اللذيْن كانا – ولا زالا – يغمرانني بالدعاء، ويحيطانني بالرضا... فببركة دعائهما وحبهما لي وصلت إلى هذا المقام، فيا رب اغفر لهما وأدم عليهما الصحة والعافية، وارحمهما كما رباني صغيرًا.

وأهدي هذه الرسالة إلى زوجتي الحبيبة التي تحمّلت ما تحمّلت أثناء دراستي الجامعية بمراحلها الثلاث، وخاصة أثناء إعداد هذه الرسالة.. وأهديها لقرة عيني: رحمة وثابت ومحمد ومَرجان ومنيب.

وأهديها إلى الشيخ الفاضل الأستاذ الدكتور محسن الخالدي المشرف على هذه الرسالة، وإلى كل العاملين المخلصين في الدعوة المباركة عامة، وإلى ورثة الأنبياء خاصة، الذين يحملون راية الدين العظيم.

الشكر والتقدير

أتوجه بالشكر والتقدير لكل من قدم لي عوناً ونصحاً وتوجيهاً من أجل إخراج هذه الرسالة، وأخص بالذكر الشيخ الأستاذ الدكتور محسن الخالدي المشرف على هذه الرسالة، وأقول له: لقد غمرتني بحنانك وعطفك، وشملتني بحبك وكرمك.

وأشكر كذلك لجنة المناقشة الموقّرة الذين تكبّدوا عناء قراءة هذه الرسالة فهذّبوا وصحّحوا جزاهم الله خيرًا، السادة الأفاضل:

1- أستاذي الكبير فضيلة الدكتور موسى البسيط –عميد كلية الدعوة والعلوم– أم الفحم– سابقاً، وأستاذ الحديث في جامعة القدس.

2- الأستاذ الدكتور عودة عبد الله –أستاذ التفسير في جامعة النجاح الوطنية –نابلس.

3- الأستاذ المشارك الدكتور محمد الديك – أستاذ التفسير في جامعة القدس.

الإقرار

أنا الموقع أدناه مقدم الرسالة التي تحمل عنوان:

الانفعالات النفسية للكافرين في القرآن الكريم

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة هي نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة اليه حيثما ورد، وأن هذه الرسالة ككل أو أي جزء منها لم يقدم من قبل لنيل أية درجة أو لقب علمي أو بحثي لدى أية مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

اسم الطالب: **عُرسان غازي أحمد حجاجرة**

التوقيع:

التاريخ: **2022/09/14م**

فهرس المحتويات

الأبحاث المستلة من الاطروحة..... ج
الإهداء ..... د
الشكر والتقدير ..... هـ
الإقرار .....و
فهرس المحتويات.....ز
الملخص .....ن
مقدمة.....1
الفصل الأول: مفهوم الانفعالات النفسية وتعريفها وخصائصها 9
المبحث الأول: مفهوم الانفعالات النفسية.....9
المطلب الأول: تعريف الانفعالات 9
المطلب الثاني: تعريف النفس 11
المطلب الثالث: تعريف الانفعالات النفسية وضابطها وأهميتها وخصائصها وسببها 17
المبحث الثاني: أقسام الانفعالات النفسية وآثارها 21
المطلب الأول: أقسام الانفعالات النفسية 21
المطلب الثاني: آثار الانفعالات النفسية 24
الفصل الثاني: انفعال الخوف عند الكافرين في القرآن الكريم 25
المبحث الأول: معنى الخوف ودلالاته في السياق القرآني.....25
المطلب الأول: الخوف في اللغة 25
المطلب الثاني: الخوف في الاصطلاح.....25
المطلب الثالث: الخوف في السياق القرآني.....26
المطلب الرابع: الخوف عند علماء النفس.....29
المبحث الثاني: مشاهد انفعال الخوف عند الكافرين في السياق القرآني.....31
المطلب الأول: خوف الكافرين في الحروب.....31
المطلب الثاني: خوف الكافرين في مشاهد الآخرة.....36
الفصل الثالث: انفعال الندم عند الكافرين في القرآن الكريم 46
المبحث الأول: معنى الندم ودلالاته في السياق القرآني.....46
المطلب الأول: الندم في اللغة 46
المطلب الثاني: الندم في الاصطلاح.....46
المطلب الثالث: الندم في السياق القرآني.....47

المطلب الرابع: الندم عند علماء النفس.....47
المبحث الثاني: مشاهد انفعال الندم عند الكافرين في السياق القرآني.....49
المطلب الأول: ندم قوم صالح لما عقروا الناقة.....49
المطلب الثاني: ندم صاحب الجنتين 52
المطلب الثالث: ندم المنافقين على فوات الغنيمة.....56
المطلب الرابع: الندم على إنفاق المال للصدّ عن سبيل الله.....58
المطلب الخامس: الندم على عدم اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم.....59
المطلب السادس: الندم على اتخاذ الصحبة السيئة 64
المطلب السابع: الندم على التفريط في جنب الله تعالى، وعند دخول النار 66
الفصل الرابع: انفعال الغضب عند الكافرين في القرآن الكريم.....71
المبحث الأول: معنى الغضب ودلالاته في السياق القرآني.....71
المطلب الأول: الغضب في اللغة.....71
المطلب الثاني: الغضب في الاصطلاح.....72
المطلب الثالث: الغضب في السياق القرآني 73
المطلب الرابع: الغضب عند علماء النفس 75
المبحث الثاني: مشاهد الغضب عند الكافرين في السياق القرآني 77
المطلب الأول: غضب الكفار من نبي الله نوح عليه السلام وتهديدهم له بالرجم.....77
المطلب الثاني: غضب آزر من ابنه إبراهيم عليه السلام وتهديده له بالرجم 80
المطلب الثالث: غضب الكفار من نبي الله لوط عليه السلام وتهديدهم له بالإخراج.....81
المطلب الرابع: غضب الكفار من نبي الله شعيب عليه السلام وتهديدهم له بالإخراج والرجم 83
المطلب الخامس: الغضب عند فرعون.....87
المطلب السادس: غضب أصحاب القرية من رسلهم وتهديدهم لهم بالرجم 92
المطلب السابع: غيظ الكافرين لخيبتهم مما طمعوا به.....94
المطلب الثامن: الغضب عند المنافقين 96
الفصل الخامس: انفعال الضحك عند الكافرين في القرآن الكريم 103
المبحث الأول: معنى الضحك ودلالاته في السياق القرآني 103
المطلب الأول: الضحك في اللغة.....103
المطلب الثاني: الضحك في الاصطلاح.....103
المطلب الثالث: الضحك في السياق القرآني 104
المطلب الرابع: الضحك عند علماء النفس 106
المبحث الثاني: مشاهد الضحك عند الكافرين في السياق القرآني 108

المطلب الأول: ضحك فرعون وقومه من موسى عليه السلام 108
المطلب الثاني: استهزاء الكفار من شعيرة هي من أعظم شعائر الإسلام (الصلاة).....110
المطلب الثالث: ضحك كفار مكة من القرآن الكريم 112
المطلب الرابع: استهزاء المنافقين وضحكهم عند سماع القرآن 114
المطلب الخامس: سخرية الكافرين عند سماع القرآن الكريم 117
المطلب السادس: ضحك كفار مكة من المؤمنين 118
المطلب السابع: من أسباب بقاء الكافرين في النار ضحكهم من المؤمنين 121
الفصل السادس: انفعال العبوس عند الكافرين في القرآن الكريم 123
المبحث الأول: معنى العبوس ودلالاته في السياق القرآني 123
المطلب الأول: العبوس في اللغة.....123
المطلب الثاني: العبوس في الاصطلاح 123
المطلب الثالث: العبوس في السياق القرآني 124
المطلب الرابع: العبوس عند علماء النفس 124
المبحث الثاني: مشاهد العبوس عند الكافرين في السياق القرآني.....125
المطلب الأول: عبوس الكفار عند سماعهم القرآن الكريم.....125
المطلب الثاني: نماذج من عبوس الكافرين.....127
المطلب الثالث: عبوس أهل النار وكلوح وجوههم 131
الفصل السابع: انفعال القلق عند الكافرين في القرآن الكريم 135
المبحث الأول: معنى القلق ودلالاته في السياق القرآني 135
المطلب الأول: القلق في اللغة.....135
المطلب الثاني: القلق في الاصطلاح 136
المطلب الثالث: القلق في السياق القرآني 136
المطلب الرابع: القلق عند علماء النفس 138
المبحث الثاني: مشاهد القلق عند الكافرين في السياق القرآني.....141
المطلب الأول: قلق فرعون على مُلكه من الزوال 141
المطلب الثاني: قلق المنافقين الذين يعبدون الله على حرف.....144
المطلب الثالث: شخوص أبصار الكافرين من شدة القلق.....146
الفصل الثامن: انفعال اللوم عند الكافرين في القرآن الكريم.....149
المبحث الأول: معنى اللوم ودلالاته في السياق القرآني.....149
المطلب الأول: اللوم في اللغة 149
المطلب الثاني: اللوم في الاصطلاح.....150

المطلب الثالث: اللوم في السياق القرآني.....150
المطلب الرابع: اللوم عند علماء النفس.....151
المبحث الثاني: مشاهد اللوم عند الكافرين في السياق القرآني 152
المطلب الأول: لوم النسوة لامرأة العزيز 152
المطلب الثاني: لوم أهل النار بعضهم لبعض 155
المطلب الثالث: لوم أهل النار لإبليس.....160
الفصل التاسع: انفعال اليأس عند الكافرين في القرآن الكريم 162
المبحث الأول: معنى اليأس ودلالاته في السياق القرآني 162
المطلب الأول: اليأس في اللغة.....162
المطلب الثاني: اليأس في الاصطلاح 163
المطلب الثالث: اليأس في السياق القرآني 163
المطلب الرابع: اليأس عند علماء النفس 165
المبحث الثاني: مشاهد اليأس عند الكافرين في السياق القرآني.....166
المطلب الأول: يأس الأمم الكافرة من الخير 166
المطلب الثاني: يئس الكافرين من ترك المؤمنين لدينهم.....168
المطلب الثالث: يأس الكفار من أصحاب القبور 170
المطلب الرابع: يئس الكافرين من رحمة الله تعالى 171
المطلب الخامس: يأس كفار مكة 172
المطلب السادس: المجرمون مبلسون آيسون من النجاة 173
الفصل العاشر: انفعال الفرح عند الكافرين في القرآن الكريم 176
المبحث الأول: معنى الفرح ودلالاته في السياق القرآني 176
المطلب الأول: الفرح في اللغة.....176
المطلب الثاني: الفرح في الاصطلاح 177
المطلب الثالث: الفرح في السياق القرآني 177
المطلب الرابع: الفرح عند علماء النفس 180
المبحث الثاني: مشاهد الفرح عند الكافرين في السياق القرآني.....182
المطلب الأول: استبشار وفرح قوم لوط بضيوف لوط عليه السلام 182
المطلب الثاني: فرح الكافرين بالنِّعَم الدنيوية 183
المطلب الثالث: فرح الكافرين بتحزبهم وكتمان العلم وتحريفه 191
المطلب الرابع: استبشار وفرح الكفار عند ذكر الأصنام 193
المطلب الخامس: فرح المنافقين 195

المطلب السادس: أحد أسباب عذاب أهل النار الفرح بغير الحق والمرح.....199
الفصل الحادي عشر: انفعال الكُره عند الكافرين في القرآن الكريم.....202
المبحث الأول: معنى الكُره ودلالاته في السياق القرآني.....202
المطلب الأول: الكُره في اللغة.....202
المطلب الثاني: الكُره في الاصطلاح.....202
المطلب الثالث: الكُره في السياق القرآني.....203
المطلب الرابع: الكُره عند علماء النفس.....204
المبحث الثاني: مظاهر الكُره عند الكافرين في السياق القرآني.....205
المطلب الأول: كراهة قوم نوح عليه السلام لرسالته ونبوته.....205
المطلب الثاني: كراهة إحقاق الحق وإبطال الباطل.....207
المطلب الثالث: كراهة الكافرين لعبادة الله وحده.....211
المطلب الرابع: كراهة الكفار للقرآن الكريم.....213
المطلب الخامس: الكره عند المنافقين.....216
الفصل الثاني عشر: انفعال الحب عند الكافرين في القرآن الكريم.....222
المبحث الأول: معنى الحب ودلالاته في السياق القرآني.....222
المطلب الأول: الحب في اللغة.....222
المطلب الثاني: الحب في الاصطلاح.....222
المطلب الثالث: الحب في السياق القرآني.....223
المطلب الرابع: الحب عند علماء النفس.....223
المبحث الثاني: مظاهر الحب عند الكافرين في السياق القرآني.....224
المطلب الأول: حب الكافرين للحياة الدنيا.....224
الدروس والقيم التربوية المستفادة:.....227
المطلب الثاني: حب المنافقين لانتشار الفاحشة بين المؤمنين.....227
الدروس والقيم التربوية المستفادة:.....229
الفصل الثالث عشر: انفعال الحُزن عند الكافرين في القرآن الكريم.....232
المبحث الأول: معنى الحُزن ودلالاته في السياق القرآني.....232
المطلب الأول: الحُزن في اللغة.....232
المطلب الثاني: الحُزن في الاصطلاح.....232
المطلب الثالث: الحُزن في السياق القرآني.....233
المطلب الرابع: الحُزن عند علماء النفس.....235
المبحث الثاني: مشاهد الحُزن عند الكافرين في السياق القرآني.....237

المطلب الأول: حزن الكافر حينما تتجب زوجته أنثى.....237
الفصل الرابع عشر: انفعال التعجب عند الكافرين في القرآن الكريم.....239
المبحث الأول: معنى التعجب ودلالاته في السياق القرآني.....239
المطلب الأول: التعجب في اللغة 239
المطلب الثاني: التعجب في الاصطلاح.....240
المطلب الثالث: التعجب في السياق القرآني.....241
المطلب الرابع: التعجب عند علماء النفس.....241
المبحث الثاني: مشاهد التعجب عند الكافرين في السياق القرآني 243
المطلب الأول: تعجب الكفار من بشرية الرسل.....243
المطلب الثاني: تعجب النسوة من جمال يوسف عليه السلام 249
المطلب الثالث: تعجب فرعون من جواب موسى عليه السلام 251
المطلب الرابع: تعجّبُ كفار مكة من البعث بعد الموت.....253
المطلب الخامس: تعجّبُ كفار مكة من القرآن الكريم 256
المطلب السادس: تعجّب المنافقين من نزول الآيات التي تكشف أسرارهم 258
المطلب السابع: تعجّب الكفار من شهادة جلودهم عليهم يوم القيامة 260
المطلب الثامن: تعجّب أهل النار من عدم وجود أناس كانوا يعدونهم من أهل النار 262
الخاتمة.....265
قائمة المصادر والمراجع.....271
الملاحق.....291
Abstract.....B

فهرس الملاحق

الملحق (أ): غلاف البحث المستل من الأطروحة المنشورة في المجلة الدولية للاجتهاد القضائي.....291

الانفعالات النفسية للكافرين في القرآن الكريم

إعداد

عُرسان غازي أحمد حجاجرة

إشراف

أ. د. محسن الخالدي

الملخص

هذه الدراسة تُظهر الانفعالات النفسية للكافرين التي وردت في القرآن الكريم، وتُبيّن أثر هذه الانفعالات على تصرفاتهم وأقوالهم وسلوكهم، لا سيما أثناء دعوة أنبيائهم لهم، وكيف قابلوا هذه الدعوات؟ وتبين الدراسة كيف انعكست هذه الانفعالات على نفسياتهم، وملامح وجوههم، وطريقة كلامهم؟ وكيف كان الرد على الأنبياء عليهم السلام، وعلى أتباعهم من المؤمنين، عبر التاريخ الممتد منذ نوح إلى سيدنا محمد عليهم الصلاة والسلام جميعًا؟ وكذلك اهتمت هذه الدراسة باستخراج الدروس المستفادة – من هذه الانفعالات – في حياة المؤمنين، خاصة العلماء والدعاة منهم، الذين يحملون راية الدعوة، فهم ورثة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، في نشر الإسلام وتعاليمه بالحكمة والموعظة الحسنة.

ومصدر هذه الدراسة قرآنية، لأن القرآن الكريم منهج حياة، وبيان للناس في أمور الشريعة والأحكام والعبادات والسير إلى الله تعالى، والعلاقات بين الأمة الإسلامية وغيرها من الأمم والدول، في حال السلم والحرب، وما يتعلق بعرض الدعوة على غير المسلمين ونتائج ذلك من ردود وانفعالات وغير ذلك.

وتهدف الدراسة إلى:

1- إظهار الانفعالات النفسية الكثيرة والمختلفة التي بدرت من الكافرين في مواجهتهم للمؤمنين.

2- إظهار اهتمام القرآن بالانفعالات النفسية للكافرين من خلال ذكرها كثيرًا في السور القرآنية.

3- إظهار الدروس والقيم التربوية المستفادة من دراسة هذه الانفعالات، لتكون نبراسًا في مسيرة الدعوة إلى الله تعالى.

وأما منهجية الدراسة فقد سارت وفق المنهج الوصفي والاستقرائي ثم التحليلي والاستنباطي؛ فقد جمعت الآيات القرآنية التي تحدثت عن الانفعالات النفسية للكافرين من خلال الأحداث والوقائع والمشاهد، ثم دراسة وتحليل هذه الانفعالات وفق منهجية التفسير الموضوعي لكل انفعال من تلك الانفعالات.

ومن أهم ما توصلت إليه الدراسة من نتائج أن النفس الإنسانية مكان واسع، يحوي العديد من الانفعالات الإيجابية والسلبية، وبناء على شدة الانفعال وقوته تكون ردة الفعل والتأثر على شكل تصرفات وحركات وتعبيرات، وأن القصص القرآني أخذ حيزًا كبيرًا من آيات القرآن الكريم، وكان هذا الكم الكبير زاخرًا بكثير من الانفعالات النفسية المعبرة التي أبرزت حقيقة الكافرين.

الكلمات المفتاحية: الانفعالات، النفس، الكافرون، القرآن، الدروس.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الذي خلق النفس فسواها، وألهمها فجورها وتقواها، وأمرها بالإيمان وعن الكفر نهاها، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خير البرايا ومصطفاها، وفخر الدنيا ومجتباها، وعلى من سار على دربه يبغي الجنان ويهواها، وبعد،

فإن من عظيم خلق الله تعالى أن أودع في النفس البشرية أحاسيس ومشاعر، تظهر على شكل انفعالات تعبّر عمّا يشعر به الشخص لما يرى من أحداث ومشاهد، وما يسمع من كلام أو حديث، فإن كان الذي يشعر به مُفرِحًا فإنه يظهر على تقاسيم وجهه وحركات جسمه بانفعالات الفرح والسرور والرضى، وإن كان الذي يشعر به مُؤلمًا أو مُحزنًا أو مُغضبًا فإنه يظهر ذلك عليه بانفعالات الألم والحزن والغضب.

وهذه الدراسة عبارة عن تتبع للمشاهد التي وردت في القرآن الكريم والتي ظهرت فيها انفعالات الكافرين النفسية، وكيف أثّرت هذه الانفعالات على تصرفاتهم وأقوالهم وسلوكهم، خاصة حينما واجهوا أنبياءهم ورسلهم، ورفضوا اتباعهم وحاربوهم، وكيف انعكست هذه الانفعالات على نفسياتهم، وملامح وجوههم، وطريقة كلامهم، وصيغ عباراتهم وألفاظهم، حتى على حديثهم الخاص فيما بينهم.

والمتتبع لآيات القرآن الكريم يجد أن كثيرًا منها تعرّض لتلك المشاهد المهمة والتي تبرز فيها انفعالات الكفار في مواقف متعددة ومختلفة، وهذه المشاهد الكثيرة، والتي أخذت مساحة واسعة في القرآن الكريم، لا سيما عند الحديث عن قصص الأنبياء مع أقوامهم، مدعاة للوقوف عندها، والتدبر فيها، وتحليل الانفعالات التي تُستنبط منها، واستخلاص العبر المكنونة بين كلماتها، وتسجيل الفوائد والدروس المستفادة منها، وخاصة أننا في زمن تُواجَه فيه الدعوات بأساليب شتى، وتُقاوَم بمناهج مختلفة، وتُوجّه إليها الاتهامات الباطلة من كل ناحية، وترمى بالشبهات من كل زاوية، وهم امتداد لتلك الطوائف والجماعات والأمم التي كانت تواجه

الرسالات في زمن الأنبياء، فكأن الحال واحد، والأسلوب هو ذاته لم يتغير، قال تعالى: ﴿أَتَوَاصَوْا۟ بِهِۦ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾﴾[الذاريات:53].

إن دراسة الشخصيات وما يدور في دخلها، وإدراك ما يجول في خاطرها، ومعرفة ما يتراكم في داخلها، ليس أمرًا هيّنًا، بل هو جدّ عسير، فكيف إذا كانت هذه الدراسة عن شخصيات وردت في القرآن الكريم، فالأمر أدق وأشدّ خطورة، والجهد في استخراجها سيكون أكبر، ولكن ما قوّى العزيمة، أن هذه الدراسة خدمة لكتاب الله جل وعلا، وبيانًا لجانب مهم من جوانب الصراع، الذي يتمثل في معرفة تصرفات وسلوك الكفار تجاه الأنبياء عليهم السلام وأتباعهم من المؤمنين.

ومعرفة هذا الجانب المتمثل بالانفعالات النفسية والوقوف عنده ليس أمرًا عابرًا، أو مهمشًا، بل هو في غاية الأهمية، وتكمن أهميته في كثرة وروده في الآيات الكريمة، وإبرازه في عشرات المشاهد القرآنية.

وقد جاءت هذه الدراسة بعنوان: (الانفعالات النفسية للكافرين في القرآن الكريم).

الدراسات السابقة:

بعد البحث في المكتبات والمراجع المتيسرة، فإنني لم أعثر على أي دراسة مستقلة شملت الانفعالات النفسية للكافرين، أو دراسة علمية اعتنت بهذا الموضوع بكل حذافيره، ولكنني وجدت بعض المقالات والدراسات التي تناولت جوانب معينة، أو شخصيات ذُكرت في القرآن الكريم تم الحديث عنها بشكل عام، ومن تلك الأبحاث والدراسات:

1. الانفعالات النفسية عند الأنبياء في القرآن الكريم – إبراهيم عبد الرحمن مصطفى، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية –نابلس –فلسطين.

وهذه الدراسة من (236) صفحة، تحدث فيها الباحث عن الانفعالات النفسية عند الأنبياء في مواجهتهم للأحداث والوقائع في مسيرة دعوتهم إلى الله تعالى، وذكر الباحث جملة من الانفعالات لدى الأنبياء كالخوف

والغضب والندم واليأس والتبسم والعبوس والحزن، ثم ذكر القيم الإيجابية والتربوية لهذه الانفعالات عند الأنبياء.

2. الانفعالات النفسية ومسلك القرآن في معالجتها –إلهام صلوبة، رسالة ماجستير، جامعة الشهيد حمه لخضري –الوادي– الجزائر.

تحدثت الباحثة عن ثلاثة من الانفعالات غير السارة وهي: الغضب والخوف والحزن، وبينت مسلك القرآن في معالجتها، ثم تحدثت عن انفعالين من الانفعالات السارة هما: الحب والفرح. ولم تتحدث عن الانفعالات النفسية للكافرين.

3. الانفعالات النفسية في القصص القرآني وتصويرها الفني – آلاء محمود أبو عرب، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية –عمان.

الرسالة من (139) صفحة، حيث تحدثت الباحثة عن التصوير الفني للانفعالات النفسية الواردة في القصص القرآني، حيث ناقشت أهمية نظرية التصوير الفني لسيد قطب رحمه الله تعالى، وما تحويه من خصائص في إبراز جماليات التصوير للانفعال النفسي في القصة القرآنية، وأثر هذا التصوير على تحديد مظاهر ومعالم الانفعال. واقتصرت الرسالة على ستة انفعالات فقط وهي: الخوف والغضب والندم والفرح والسخرية والحزن.

4. منهج القرآن الكريم في تصوير الانفعالات النفسية للإنسان من خلال دلالات الجسد – الحاتمي، سليمان بن ناصر بن مسعود، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، الأردن، 2017م، الرسالة 210 صفحات، وجاءت الرسالة في ثلاثة فصول، وتحدث الباحث في الفصل الأول عن منهج القرآن الكريم في توظيف دلالة اللون والرمز والإشارة للتعبير عن الانفعالات، وفي الفصل الثاني عن منهج القرآن الكريم في توظيف دلالة التشخيص والتجسيم للتعبير عن الانفعالات، وفي الفصل الثالث عن منهج القرآن الكريم في توظيف دلالة الحركة للتعبير عن الانفعالات.

5. الانفعالات النفسية في القرآن الكريم – سناء تيسير السعداوي، رسالة ماجستير، كلية التربية، جدة، السعودية، 2003م. والرسالة 857 صفحة.

عالجت الباحثة الانفعالات النفسية في القرآن الكريم، وتحدثت عن الانفعالات المحمودة والمذمومة، وعن أنواع الانفعالات كالسرور والعجب، والحب والحنان، والخوف والخشية، والبغضاء، والحزن والضيق والغضب. وذكرت منهج القرآن الكريم الوقائي والعلاج في تهذيب الانفعالات.

6. الفرح في القرآن الكريم، دراسة موضوعية – آيات جهاد عودة شايب، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، نابلس – فلسطين، 2015م، 119 صفحة.

جاءت الرسالة في مقدمة وأربعة فصول وخاتمة، عالجت الباحثة انفعال الفرح وأنواعه في القرآن الكريم، وقد قسّمته إلى فرح محمود وآخر مذموم، ثم عرضت نماذج تطبيقية للفرح في القرآن الكريم.

7. تصوير الانفعالات النفسية في القرآن الكريم، دراسة فنية – صالح ملا عزيز، بحث محكم، قسم اللغة العربية، كلية التربية، جامعة صلاح الدين.

البحث من (39) صفحة، اختار فيها الباحث جملة من الانفعالات النفسية كالخوف والحزن والندم والغضب والحب والقلق، وتناول في البحث أهم أساليب الانفعالات في القرآن، ثم تحدث عن مظاهر الانفعالات النفسية في القرآن بشكل عام، ولم يختص البحث بالحديث عن الانفعالات النفسية عند الكافرين.

8. آيات الانفعال عند الإنسان في القرآن الكريم، دراسة موضوعية – أ. د. عثمان فوزي علي، د. فالح إبراهيم عبود، بحث محكم، مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية، المجلد (28) العدد (1)، من (27) صفحة، تحدث فيه الباحثان عن بعض الانفعالات النفسية التي ذكرت في القرآن الكريم بشكل عام كالخوف والغضب والحب والفرح والكره والغيرة والحسد والندم، دون تخصيص فئة معينة. ثم تحدثا عن التغيرات البدنية المصاحبة للانفعال، ثم عن كيفية السيطرة على الانفعالات، ولم يختص البحث بالتركيز على الانفعالات النفسية عند الكافرين.

9. مظاهر انفعال الحب وتأثيره في السلوك في سورة يوسف، دراسة تحليلية – أ.د. محسن الخالدي، بحث محكم، مجمع الفقه الإسلامي بالهند، مجلة المدونة، المجلد (8)، العدد (31)، 2022م.

يتكون البحث من 28 صفحة، ويتحدث عن مظاهر انفعال الحب وأثره في السلوم في سورة يوسف، ويتكون البحث من ثلاثة مباحث، أما المبحث الأول فتحدث عن مفهوم انفعال الحب، وتأثيره على السلوك، وأما المبحث الثاني فتحدث عن حب يعقوب ليوسف عليهما السلام، وأثر ذلك في السلوك، وأما المبحث الثالث فتحدث عن حب امرأة العزيز ليوسف وبيان تأثيره في السلوك.

10. منهج القرآن الكريم في تصوير الانفعالات النفسية للإنسان من خلال دلالات الجسد – سليمان ناصر الحاتمي، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، الأردن، 2016م.

تتكون الرسالة من (210) صفحات، هدفت الدراسة إلى بيان منهج القرآن الكريم في تصوير الانفعالات النفسية من خلال دلالات لغة الجسد، وتتكون الرسالة من تمهيد وثلاثة فصول، حيث جاء الفصل الأول في منهج القرآن الكريم في تصوير الانفعالات النفسية من خلال دلالة اللون والرمز والإشارة، وأما الفصل الثاني فكان عن منهج القرآن الكريم في تصوير الانفعالات النفسية من خلال دلالة التشخيص والتجسيم، وأما الفصل الثالث فكان عن منهج القرآن الكريم في تصوير الانفعالات النفسية من خلال دلالة الحركة.

ما امتازت هذه الدراسة:

تميّزت هذه الدراسة عن غيرها بأنها اختصت بدارسة بالانفعالات النفسية عند الكافرين –وبضمنهم المنافقين– حيث أن الدراسات السابقة تناولت الانفعالات النفسية بشكل عام، أو عند أحد من المؤمنين أو الكافرين، أو عند الأنبياء على وجه الخصوص، بينما هذه الدراسة التي بين أيدينا خاصة بالحديث عن الانفعالات النفسية للكافرين، دراسة جمعت كل انفعالاتهم، على كثرتها، وورودها بشكل كبير في سور القرآن الكريم، على امتداد طويل من الزمان، وتعدد المكان، واختلاف الأشخاص.

أهمية الدراسة:

إن تدبر الآيات، واستنباط ما فيها من الدروس والعظات أمر ضروري ومهم، وهذه الدراسة من أكثر المواضيع أهمية لأنها تتناول جانبًا من جوانب العداء والعنف الذي مارسه الكفار ضد أنبيائهم ومن معهم من المؤمنين، وخاصة أن هذه الظاهرة قد ملأت مساحة واسعة من القرآن الكريم، وهذا يدل دلالة واضحة على أهميتها، وضرورة الانتباه إليها، والتيقظ لأساليب الكفار العدائية على الدوام.

ويمكن إجمال أهمية هذه الدراسة بما يأتي:

1- معرفة سلوك الكافرين من خلال انفعالاتهم النفسية في مواقف المواجهة مع الأنبياء.

2- حاجة المكتبات الإسلامية لمثل هذه الدراسة.

3- استخراج الدروس من هذه السلوكيات والانفعالات.

مشكلة الدراسة:

تجيب الدراسة عن الأسئلة الآتية:

1- ما مدى اهتمام القرآن بالانفعالات النفسية للكافرين؟

2- كيف عرض القرآن الكريم انفعالات الكافرين النفسية؟

3- كيف واجه الأنبياء وأتباعهم انفعالات الكافرين النفسية؟

4- ما الدروس والعبر المستفادة من دراسة هذه الانفعالات؟

أهداف الدراسة:

تتلخص أهداف هذه الدراسة بما يأتي:

1- إظهار الانفعالات النفسية الكثيرة والمختلفة التي حصلت للكفار في مشاهد مواجهتهم للمؤمنين.

2- إظهار اهتمام القرآن بالانفعالات النفسية للكافرين من خلال ذكرها كثيرًا في السور القرآنية، والتي كانوا يحرصون على إيذاء الأنبياء وأتباعهم نفسيًا وجسديًا.

3- إظهار كيف تصرّف الأنبياء عليهم السلام والمؤمنون في مواجهة انفعالات الكافرين النفسية.

4- إظهار القيم التربوية المستفادة من دراسة هذه الانفعالات، لتكون نبراسًا في مسيرة الدعوة إلى الله تعالى.

5- إظهار عظمة القرآن الكريم في إبراز مكنونات نفوس الكافرين، وتجلية خفايا نفوسهم.

أسباب اختياري للموضوع:

يمكن تلخيص الأسباب التي دفعتني لاختيار هذا الموضوع بما يأتي:

1- إبراز الانفعالات النفسية للكافرين، وخاصة أنها مبثوثة بكثرة في القرآن الكريم.

2- عدم وجود دراسة مستقلة تحدثت عن الانفعالات النفسية للكافرين، تُظهر تصرفاتهم بشكل دقيق في المشاهد والأحداث والوقائع.

3- كثرة المواجهات بين معسكر الإيمان ومعسكر الكفر، ومن تلك المواجهات إيذاء علني وآخر خفي، والانفعالات النفسية منهما جميعًا.

4- تحليل الانفعالات النفسية التي صدرت من أعداء الدعوات والرسالات، والتنبه إليها، ودراستها بعمق، واستخراج الدروس والقيم التربوية للإفادة منها في مسيرة الدعوة.

منهجي في الدراسة:

هذه الدراسة وفق المنهج الوصفي والاستقرائي ثم التحليلي والاستنباطي؛ فقد جمعت الآيات القرآنية التي تحدثت عن الانفعالات النفسية للكافرين من خلال الأحداث والوقائع والمشاهد، ثم دراسة وتحليل الانفعالات وفق منهجية التفسير الموضوعي لكل انفعال، ويمكن تلخيص منهجي بما يأتي:

1- جمعُ الآيات التي أشارت إلى الانفعالات النفسية للكافرين، وعزوها إلى سورها.

2- ذكرُ الأحاديث النبوية الشريفة الملائمة لكل انفعال، مع ذكر درجتها من الصحة، وعزوها إلى مصادرها الأصلية.

3- تقديم الصحيحين على غيرهما من كتب الأحاديث لإجماع الأمة على صحتهما.

4- الرجوع إلى أمّات كتب التفسير القديمة والحديثة.

5- عزو الأقوال إلى أصحابها، ونسبة القول إلى قائله، وهذا من باب الأمانة العلمية.

6- توثيق المعلومات بشكل دقيق، ووضع علامات الترقيم حسب ما يقتضيه البحث العلمي.

الفصل الأول

مفهوم الانفعالات النفسية وتعريفها وخصائصها

المبحث الأول: مفهوم الانفعالات النفسية

المطلب الأول: تعريف الانفعالات

أولًا: الانفعالات في اللغة

قال ابن فارس: "الفاء والعين واللام أصل صحيح يدل على إحداث شيء من عمل وغيره"[1].

"وافتعل كذبًا وزورًا أي اختلق. وفعلت الشيء فانفعل، كقولك: كسرته فانكسر"[2]. والانفعالات جمعٌ، مفردها: انفعال، وهو التأثر، والانفعال مصدر انفعل. وانفعل ينفعل انفعالًا فهو منفعِل، أي تأثر بِهِ انبساطًا وانقباضًا، وتفاعلا أي أثَّر كل منهما في الآخر[3].

وانفعل بأمر: اهتاج، وتأثر به؛ أي أثار الأمرُ مشاعرَه أو عواطفه، كمن انفعل برؤية مشهد حزين، وتفاعل مع الحدث: تأثّر به، أثاره الحدثُ فدفعه إلى تصرُّفٍ ما. لم يتمكن من إخفاء انفعاله: أي اضطرابه من جراء حُزن أو خوف أو صدمة أو غضب. يقال: سريع الانفعال: أي مضطرب، قلِق، سريع التأثر والغضب، والانفعال حالة وجدانيّة يثيرها مؤثر ما في الكائن الحي، وتصحبها تغيرات فسيولوجيّة، وتكون الإثارة نتيجة لتعطيل فعل أو سلوك ينزع إليه الفرد أو نتيجة لتحقيق رغبة[4].

---

[1] ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت: 395هـ)، مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، 1399هـ-1979م، دار الفكر، (511/4)

[2] الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد الفارابي (ت: 393هـ)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط4، 1407هـ-1987م، دار العلم للملايين -بيروت، (1792/5)، وانظر: ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت: 711هـ)، لسان العرب، ط3، 1414هـ، دار صادر -بيروت، (529/11)

[3] انظر: مصطفى إبراهيم، وآخرون، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الدعوة، من دون ذكر الطبعة والسنة، (695/2)

[4] انظر: مختار، أحمد عبد الحميد عمر (ت: 1424هـ)، معجم اللغة العربية المعاصرة، بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب، ط1، 1429هـ-2008م، (1725/3)

يظهر مما سبق أن المعنى اللغوي للانفعال: هو الانقباض والانبساط، والتأثر، واهتياج المشاعر والعواطف.

ثانيًا: الانفعالات في الاصطلاح

الانفعال: "هو الهيئة الحاصلة للمتأثر عن غيره بسبب التأثير"[1]. "والانفعال: التأثر وقبول الأثر"[2]. "ولكل فعل انفعال"[3].

ومما سبق فإن المعنى الاصطلاحي للانفعال: هو حالة تأثير تعتري الإنسان بفعل مؤثر قد أثّر فيه.

ثالثًا: الانفعالات عند علماء النفس

من اللافت للنظر أن مفهوم الانفعالات يُعدّ مفهومًا شائعًا في علم النفس، ومع ذلك لم يتفق العلماء على تعريف واحد له، ومع كثرة تعريفاتهم واختلافها في ظاهرها إلا أنها متشابهة في مضمونها، ومن أحسن التعريفات للانفعالات: "إنها حالةٌ جسميّةٌ نفسيّةٌ ثائرة، أو حالةٌ من الاهتياج العام تفصح عن نفسها في شعور الفرد وجسمه وسلوكه، أي يضطرب لها الإنسان كله جسمًا ونفسًا، أو حالة وجدانية قوية طارئة مفاجئة، ولها القدرة على حفزه على النشاط، وبذا يكون الفزع والهلع من الانفعالات"[4].

وقد ذكر الدكتور محمد بني يونس عدة تعريفات للانفعالات، ثم خلص إلى أنها "حالة وجدانية، داخلية مفاجئة، يصاحبها تغيرات فسيولوجية ونفسية معًا"[5]. ولا بد لحدوث الانفعالات من عوامل، فهي لا تحدث بشكل تلقائي عفوي، وهذه العوامل هي: "المثير، والإنسان، والاستجابة الانفعالية المناسبة"[6].

---

[1] الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف (ت: 816هـ)، كتاب التعريفات، تحقيق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء، ط1، 1403هـ-1983م، دار الكتب العلمية بيروت -لبنان، (ص: 39)

[2] الكفوي، أيوب بن موسى الحسيني القريمي، أبو البقاء الحنفي (ت: 1094هـ)، الكليات، تحقيق: عدنان درويش -محمد المصري، مؤسسة الرسالة -بيروت، من دون ذكر الطبعة والسنة، (ص: 683)

[3] انظر: الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد (ت: 502هـ)، المفردات في غريب القرآن، المحقق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية -دمشق، بيروت، ط1، 1412هـ، (ص: 641)

[4] راجح، أحمد عزت (ت: 1968)، أصول علم النفس، ط10، الإسكندرية: المكتب المصري الحديث للنشر والتوزيع، 1982م، ص122.

[5] بني يونس، محمد محمود، سيكولوجية الدافعية والانفعالات، ط1، عمان: دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة. 2007م، ص227.

[6] انظر: العثمان، عبد الكريم، (1401هـ-1981م)، الدراسات النفسية عند المسلمين والغزالي بوجه خاص، ط2، القاهرة، دار غريب، ص253، وربيع، محمد شحادة (1438هـ-2017م)، أصول علم النفس، ط4، الأردن: دار المسيرة، ص152، ومنصور، طلعت، والشرقاوي، أنور، وعز الدين، عادل، وأبو عوف، فاروق، (د.ت) أسس علم النفس العام، (د. ط)، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ص145.

ويمكن تلخيص ما سبق في معنى الانفعالات بما يأتي[1]:

1- حالة وجدانية تصحبها اضطرابات فسيولوجية، وتعبيرات حركية مختلفة.

2- حالة معقدة من الأحاسيس، ينتج عنها تغيرات نفسية وجسدية تؤثر في الأفكار والتصرفات.

3- حالة تظهر للفرد بصورة مفاجئة.

4- أزمة عابرة طارئة لا تدوم طويلًا.

المطلب الثاني: تعريف النفس

أولًا: النفس في اللغة

النفس جمعها نفوس[2] وأنفس[3]. "وكلّ إنسان نفْس حتى آدم عليه السّلام، الذَّكر والأنثى سواء"[4]. "والنَّفْس: نَفْس الإنسان والدابة وكل شيء"[5].

وكلمة (النفس) في اللغة لها أكثر من معنى، وذلك حسب ورودها في سياق الكلام، فمن معانيها:

1- الروح الذي به حياة الجسد[6]، يقال: "خرجت نفْسُه"[7]. أَي: روحه[8].

---

[1] انظر: القوصي، عبد العزيز، علم النفس أسسه وتطبيقاته التربوية، ط8، القاهرة: مكتبة النهضة العصرية. بلا تاريخ. ص166

[2] انظر: الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم البصري (ت: 170هـ)، كتاب العين، تحقيق: د. مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال. من دون ذكر الطبعة والسنة (270/7)، ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل المرسي (ت: 458هـ)، المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، ط1، 1421هـ-2000م، دار الكتب العلمية -بيروت، (525/8)، الزبيدي، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، (ت: 1205هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، مجموعة من المحققين، دار الهداية (564/16).

[3] انظر: ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم (525/8)، ابن منظور، لسان العرب (234/6)، الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس (564/16).

[4] الفراهيدي، كتاب العين (270/7).

[5] ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي (ت: 321هـ)، جمهرة اللغة، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، ط1، 1987م، دار العلم للملايين -بيروت، (848/2).

[6] الفراهيدي، كتاب العين (270/7)، الأزهري، محمد بن أحمد الهروي، (ت: 370هـ)، تهذيب اللغة (8/13) تحقيق: محمد عوض مرعب، ط1، 2001م، دار إحياء التراث العربي -بيروت.

[7] الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (984/3).

[8] انظر: الأزهري، تهذيب اللغة (8/13)، الرازي، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (ت: 666هـ)، مختار الصحاح، المحقق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية -الدار النموذجية، بيروت -صيدا، ط5، 1420هـ-1999م، (ص: 316)، الكفوي، الكليات (ص: 897)، الفيروزآبادى، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب (ت: 817هـ)، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، المحقق: محمد علي النجار، ط1، 1996م، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية -لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة (97/5).

2- العظمة والكبْر والعزة والهمّة والأنفة[1].

3- عين الشّيء، وكنْهُه وجوهرُه وحقيقته[2].

4- الدم[3]، يقال: "سالت نفْسُه"[4]. "ودفَق نفْسه، أَي دمه"[5]، قال ابن فارس: "وهو صحيح، وذلك أنه إذا فقد الدم من بدن الإنسان فقد نفسه. والحائض تسمى النفساء لخروج دمها"[6].

5- الماء، لأن به قوام النَفْس[7].

6- العِنْدُ، ومنه قوله جلّ وعز: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ۚ ﴿١١٦﴾﴾[المائدة:116] أي: "تعلم ما عندي ولا أعلم ما عندك"[8].

7- "قَدْرُ دَبْغة"[9]، "ملء الكفّ من الدِّباغ"[10]، "مما يُدْبَغُ به الأديم من القرظ وغيره. يقال: هبْ لي نفْسًا من دباغ"[11].

8- التأكيد، يقال: "ادفع إليّ الشيءَ نَفْسَه، أَي عينه"[12]. يؤكد به. يقال: "رأيت فلانًا نَفْسَهُ، وجاءني بنفْسه"[13].

9- العينُ التي تُصيب المعين[14]، يقال: "أصابت فلانًا نَفْسٌ، أَي عَين"[15]. "والنافِسُ: العائنُ"[16].

---

[1] انظر: الكفوي، الكليات (ص: 897)، الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، (559/16)، الفيروزآبادى، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (99/5).

[2] انظر: الأزهري، تهذيب اللغة، (8/13)، الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، (559/16).

[3] ابن دريد، جمهرة اللغة (848/2)، الأزهري، تهذيب اللغة، (8/13)، ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، (527/8)

[4] الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (984/3)، الرازي، مختار الصحاح (ص: 316)

[5] الزَّبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، (559/16)

[6] ابن فارس، مقاييس اللغة (460/5)

[7] انظر: ابن دريد، جمهرة اللغة، (848/2)، الأزهري، تهذيب اللغة، (8/13)

[8] ابن منظور، لسان العرب، (234/6)

[9] الأزهري، تهذيب اللغة (8/13)

[10] ابن دريد، جمهرة اللغة (848/2)

[11] الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (984/3)

[12] ابن دريد، جمهرة اللغة، (848/2)

[13] انظر: الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (984/3)، الرازي، مختار الصحاح (ص: 316)

[14] الأزهري، تهذيب اللغة (8/13)

[15] ابن دريد، جمهرة اللغة (848/2)، ابن فارس، مقاييس اللغة (460/5)

[16] الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (984/3)

10- الجسد[1].

11- "الأخ، وشاهده قوله سبحانه: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ ﴿٦١﴾﴾[النور:61]"[2].

12- الإرادة[3].

13- "العقوبة، ومنه قوله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ﴿٢٨﴾﴾[آل عمران:28] أي عقوبته"[4].

يرى ابن فارس أن "النون والفاء والسين أصل واحد يدل على خروج النسيم كيف كان، من ريح أو غيرها، وإليه يرجع فروعه. منه التنفس: خروج النسيم من الجوف. ونفَّس الله كربته، وذلك أن في خروج النسيم رَوْحًا وراحة. والنَّفَس: كل شيء يفرج به عن مكروب... والنَّفْس قوامها بالنَّفَس"[5]. ولكل إنسان نفْسان، أحدهما نفس التمييز وهي التي تفارقه إذا نام فلا يعقل، والأخرى نفس الحياة إذا زالت زال معها النفس، والنائم يتنفس[6]. "والعرب قد تجعل النفس التي يكون بها التمييز نفسين، وذلك أن النفس قد تأمره بالشيء وتنهى عنه، وذلك عند الإقدام على أمر مكروه، فجعلوا التي تأمره نفسًا وجعلوا التي تنهاه كأنها نفس أخرى"[7].

مما سبق فإن كلمة (النفس) في اللغة لا تأتي بمعنى واحد، وإنما لها معانٍ عديدة، ويُعرف معناها من خلال السياق.

---

[1] انظر: الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (984/3)، الرازي، مختار الصحاح (ص: 316)، ابن منظور، لسان العرب (235/6)

[2] ابن منظور، لسان العرب (234/6)

[3] الزَّبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس (564/16)

[4] المرجع السابق (564/16)

[5] ابن فارس، مقاييس اللغة (460/5)

[6] انظر: الشافعي، أبو عبد الله محمد بن إدريس بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي (ت: 204هـ)، تفسير الإمام الشافعي (756/2)، جمع وتحقيق ودراسة: د. أحمد بن مصطفى الفرَّان (رسالة دكتوراه)، دار التدمرية –المملكة العربية السعودية، ط1، 1427هـ-2006م، الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي، النيسابوري، الشافعي (ت: 468هـ)، الوسيط في تفسير القرآن المجيد (583/3)، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت –لبنان، ط1، 1415هـ-1994م، الخازن، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم، (ت: 741هـ)، لباب التأويل في معاني التنزيل، دار الفكر –بيروت، 1399هـ-1979م، من دون ذكر الطبعة، (59/4)

[7] ابن منظور، لسان العرب (234/6)

ثانيًا: النفْس في الاصطلاح

قال الجرجاني: "النفس: هي الجوهر البخاري اللطيف الحامل لقوة الحياة والحس والحركة الإرادية"[1].

ويقول الغزالي: "النفس الإنساني جوهر روحاني قائم بنفسه"[2].

فالنفس جسم لطيف وجوهر روحاني[3]، مشرق[4]، مصرف للجسد[5]، حي متحرك[6]، ومحرك أوجه نشاط الإنسان المختلفة؛ إدراكية، أو حركية، أو فكرية، أو انفعالية، أو أخلاقية[7].

ثالثًا: النفس في السياق القرآني

ورد لفظ النفس في القرآن مائتين وخمسًا وتسعين مرة[8]، باختلاف تصاريفه، سواء في الإفراد أو التثنية أو الجمع، وهو من الألفاظ التي تحمل عدة معان، فيكون المعنى حسب سياق الآية التي يُذكر فيها، وذكر ابن الجوزي أن النفس في القرآن على ثمانية أوجه[9]:

أحدها: آدم. ومنه قوله تعالى: ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ۝١﴾[النساء:1]، وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ۝٩٨﴾[الأنعام:98].

---

[1] الجرجاني، كتاب التعريفات (ص: 242)، وانظر: المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف (ص: 327)

[2] الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الطوسي (ت: 505هـ)، تهافت الفلاسفة (ص: 252)، المحقق: الدكتور سليمان دنيا، دار المعارف، القاهرة –مصر، ط6، بدون ذكر السنة

[3] انظر: ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت: 597هـ)، نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، تحقيق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي، ط1، 1404هـ-1984م، مؤسسة الرسالة –لبنان/بيروت، (ص: 595)

[4] الفخر الرازي؛ محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري، أبو عبد الله، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، دار الفكر، 1401هـ-1981م، بدون ذكر الطبعة، (456/26)

[5] ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد، الأندلسي القرطبي الظاهري (ت: 456هـ)، الفصل في الملل والأهواء والنحل، مكتبة الخانجي –القاهرة، (47/5)، بدون ذكر الطبعة والسنة.

[6] المراغي، أحمد بن مصطفى (ت: 1371هـ)، تفسير المراغي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط1، 1365هـ-1946م، (176/4)

[7] طه، فرج عبد القادر، أصول علم النفس الحديث، ص25، مكتبة الأنجلو المصرية –القاهرة، 2000م.

[8] ينظر: عبد الباقي، محمد فؤاد (ت: 1967م)، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم. مادة (ن ف س) ط4، بيروت: دار الفكر، 1994م، ص881.

[9] ابن الجوزي، نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر (ص: 597)

والثاني: الأم. ومنه قوله تعالى: ﴿ظَنَّ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمۡ خَيۡرٗا ١٢﴾[النور:12] أي: بأمهاتهم. والمراد بالآية عائشة رضي الله عنها.

والثالث: الجماعة. ومنه قوله تعالى: ﴿إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ ١٦٤﴾[آل عمران:164]، وقوله: ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ ١٢٨﴾[التوبة:128].

والرابع: الأهل. ومنه قوله تعالى: ﴿فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمۡ فَٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ ٥٤﴾[البقرة:54] قيل: إنه أمر الأب الذي لم يعبد العجل أن يقتل ابنه العابد، والأخ الذي لم يعبد أن يقتل (أخاه) العابد.

والخامس: أهل الدين. ومنه قوله تعالى: ﴿فَإِذَا دَخَلۡتُم بُيُوتٗا فَسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ ٦١﴾[النور:61] أي: على أهل دينكم. وقوله: ﴿وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ ١١﴾[الحجرات:11].

والسادس: الإنسان. ومنه قوله تعالى: ﴿وَكَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفۡسَ بِٱلنَّفۡسِ ٤٥﴾[المائدة:45]، أي: الإنسان بالإنسان.

والسابع: البعض. ومنه قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ تَقۡتُلُونَ أَنفُسَكُمۡ ٨٥﴾[البقرة:85]، أي: يقتل بعضكم بعضًا.

والثامن: النفس بعينها. ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَوۡ أَنَّا كَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَنِ ٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ ٦٦﴾[النساء:66].

رابعًا: أنواع النفس في القرآن

إن النفس البشرية التي أودعها الله تعالى في أجسادنا هي نفس واحدة، لا تدوم على حال واحدة، ولا على وتيرة متشابهة، أو نمط انفعالي واحد، بل هي في تقلب مستمر وتغير دائم حيث تتوارد عليها أحوال مختلفة، فأحيانًا تعلو بخصال حميدة، وتسمو في سماء الفضيلة، وترتقي في أعلى مراتب الارتقاء، وتعرج في مدارج التزكية، وأحيانًا تنحدر أسفل سافلين، وتهبط إلى دركات الرذيلة، وتضعف وتنحني إلى أدنى مراتب الانحناء، فالاستقرار على وصف واحد لا يكون، والثبات الدائم ليس هو السمة الغالبة على النفس البشرية، بل هي

متقلبة، متغيرة، منفعلة، تتفاعل مع الأحداث من حولها، وتتأثر بالبيئة المحيطة بها، فشأن النفس أن تجمع بين الشيء ونقيضه في آن واحد؛ فقد تجمع بين البخل والسخاء، والخوف والرجاء، والضحك والبكاء، وقد يتزاحم في مكنونها الخير والشر، والعقوق والبِر، والحب والكره، والأمن والخوف، والطمأنينة والقلق.

وفي القرآن الكريم وردت صفات للنفس؛ منها[1]:

1- النفس المطمئنة: وسميت مطمئنة باعتبار طمأنينتها إلى ربها بطاعته وعبادته ومحبته والتوكل عليه، والإنابة إليه، والتعلق به، وهي الآمنة من الخوف والحزن والقلق والاضطراب، فهي نفس آمنة في الدنيا والآخرة، مطمئنة إلى وعد ربها بالنجاة والفوز والرضا ودخول الجنة، وهي التي ذكرها الله تعالى في سياق الحديث عن خروجها من الدنيا والانتقال إلى عالم الآخرة فقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾﴾[الفجر:27-30]

2- النفس اللوامة: وهي التي تلوم صاحبها على تقصيره في الخير، وتندم على ما فاته من الطاعات والأعمال الصالحات، أو على ارتكاب المعاصي والسيئات، وهي التي قال الله تعالى عنها: ﴿وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾﴾[القيامة:2].

فالنفس اللوامة هي التي تذنب وتتوب، إذا فعلت الشر تابت وأنابت فتسمى لوامة لأنها تلوم صاحبها على الذنوب ولأنها تتلوم أي تتردد بين الخير والشر[2].

3- النفس الأمارة بالسوء: وهي التي تأمر صاحبها بما تهواه من الشهوات والمحرمات، وتُقحم صاحبها في الباطل، وتغريه باتباع الهوى، وقد ورد ذكرها في سياق الحديث عن امرأة العزيز التي تاقت نفسها لفعل الفاحشة مع نبي الله يوسف عليه السلام، فراودته مرارًا وتكرارًا، واتبعت هواها الذي قادها لفعل شهوة

[1] انظر: ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (ت: 728هـ)، مجموع الفتاوى، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، 1416هـ/1995م، (294/9)

[2] المرجع السابق (294/9)

محرمة، فغلّقت الأبواب، وهيأت المكان، وهي التي اعترفت بذلك لما قالت: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٥٣﴾[يوسف:53].

وأكّد ابن القيم أن النفس واحدة وليست متعددة؛ فقال: "والتّحقيق أنها نفس واحدة ولكن لها صفات فتسمى باعتبار كل صفة باسم"[1]. وبعد أن فصّل في الحديث عن النفس ختم كتابه قائلًا: "وهي نفس واحدة تكون أمارة تارة ولوامة أخرى ومطمئنة أخرى، وأكثر الناس الغالب عليهم الأمّارة، وأما المطمئنّة فهي أقل النفوس البشرية عددًا وأعظمها عند الله قدرًا"[2].

المطلب الثالث: تعريف الانفعالات النفسية وضابطها وأهميتها وخصائصها وسببها

أولًا: تعريف الانفعالات النفسية

بناء على المعنى اللغوي والاصطلاحي لكلمتي الانفعال والنفس، يمكن تعريف التركيب اللغوي للكلمتين (الانفعالات النفسية) بأنه حالة وجدانية نفسية تصحبها اضطرابات فسيولوجية وتعبيرات حركية مختلفة كانفعال الخوف أو الحزن أو الندم أو الفرح وغير ذلك، تظهر بصورة مفاجئة، كردة فعل لحدث أو أمر ما، لا تدوم طويلًا، بل لزمن قصير، تعتري الإنسان بفعل مؤثر يُهيّج مشاعره وعواطفه.

ومن هذا المعنى فإن الجسد لا ينفعل من دون انفعال النفس، لأن النفس مسيطرة على الجسد وموجهة لتصرفه، ومحركة له، وهي التي تدفعه لفعلٍ معين، أو سلوكٍ ما، ولهذا أشار ابن القيم حينما قال: "إن النّفس هي المحركة للجسد والممهدة لحركته"[3]. ومن هنا فإن شدة الانفعال وقوته أو ضعفه ترجمة لما تُمليه النفس على الجسد، وأحيانًا تميل النفس إلى إخفاء انفعال ما وعدم إظهاره، فيترجم الجسد ذلك على غير الانفعال المعهود ككتم حزن، أو كظم غيظ، فيبقى الشعور داخليًا، محله القلب، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ

[1] ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين (ت: 751هـ)، الروح، تحقيق: يوسف علي البدوي، دار ابن كثير، دون ذكر السنة والطبعة، (ص: 220)

[2] المرجع السابق، (ص: 267)

[3] المرجع السابق، (ص: 199)

وَحۡدَهُ ٱشۡمَأَزَّتۡ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ﴿٤٥﴾[الزمر:45]، فدل هذا على أن القلب محل الانفعالات الداخلية التي تم إخفاؤها فلم تظهر كردة فعل كتصرف أو سلوك وهو ما يُعرف بلغة الجسد.

ثانيًا: ضابط الانفعالات النفسية

"استخدم عدد من علماء النفس مصطلح الانفعال بمعناه الواسع بحيث يشمل جميع الحالات الوجدانية الرقيقة والغليظة، لذلك تراهم يجمعون بين الفرح والحزن، والغضب والخوف، وبين الشعور الهادئ"[1]، "كالحب والحنان، والشفقة، أو الشعور بالجمال، أو ما يُطلق عليه العواطف"[2].

وقد قسم ديكارت الانفعالات النفسية إلى "انفعالات بدائية أو أساسية أصلية للنفس البشرية وهي التعجب والحب والكره والرغبة والفرح والحزن، وعنها تنبثق شتى الانفعالات الخاصة، وهي تربو على الثلاثين منها التكبر والندم وغيرها"[3]. "ولكن هذه وأشباهها عند آخرين بعض أنواع الانفعالات الأصلية، ويبدو هذا التقسيم فنيًا"[4].

لقد عمد ديكارت إلى تحديد انفعالات النفس فقال: " نستطيع أن نحدد بشكل عام الانفعالات فنقول: بأنها إدراكات أو إحساسات أو تأثرات للنفس، وتنسب بشكل خاص للنفس لا لغيرها، تسببها وتغذيها وتقويها حركة معينة للأرواح"[5].

ثالثًا: أهمية الانفعالات

"تنشأ الانفعالات في الأصل عن مصدر نفسي، وهي تشير إلى ما يحدث للفرد من استثارة تتجلى فيما يطرأ عليه من تغيرات فسيولوجية، وما يعتريه من مشاعر وأحاسيس وجدانية، ومن دافع للقيام بسلوك يخفف من

---

[1] انظر: راجح، أصول علم النفس ص129.

[2] انظر: العثمان، الدراسات النفسية عند المسلمين والغزالي بوجه خاص، ص152.

[3] ديكارت، رينيه، (ت: 1651م)، انفعالات النفس، ص51، ترجمة وتقديم وتعليق جورج زيناتي، ط1، دار المنتخب العربي –بيروت، 1413هـ-1993م.

[4] انظر: سبيعي، عدنان، المدخل إلى عالم النفس الإنساني، ص32، ط1، دار قتيبة، دمشق، 1411هـ

[5] ديكارت، انفعالات النفس، ص28

هذه الاستثارة الانفعالية، سواء أكان مصدر الاستثارة داخليًا أو خارجيًا فهي وثيقة الصلة بحاجات الإنسان"[1]. وكما أن "الانفعالات تؤثر في دفع الفرد نحو شكل محدد من أشكال السلوك وأنماطه، فإنها تؤثر في قراراته تأثيرًا شديدًا"[2].

وبهذا تظهر أهمية الانفعالات لأنها تحدد سلوك الفرد، وتؤثر عليه، سواء كان إيجابيًا أو سلبيًا، فيكون الأثر على النفس إيجابيًا إذا كانت درجة الانفعالات معتدلة، لأنها تشحنه بالطاقة والنشاط، وتدفعه للعمل، وتدفع عنه الأخطار، وكذلك فإن لها قيمة تعبيرية تربط بين الناس والأشخاص، وبهذا تزداد أواصرهم وعلاقاتهم الاجتماعية، فتظهر معاني الألفة والحب والفرح والسرور بينهم، لأن الحياة في هذا الجو من الانفعالات تمتلئ بالطاقة الإيجابية، وتكتسب معناها الحقيقي، ومن دونها تصبح قاسية جافة، مضطربة، مليئة بالقلق والخوف والتوتر[3]. فالانفعالات لها أهمية كبيرة في التواصل مع الآخرين، وتوجيه السلوك، والمحافظة عليه.

وقد يكون للانفعالات جانب سلبي في التأثير على السلوك والتصرف وفقدان السيطرة على النفس فيؤدي ذلك إلى تحطيم أشياء، أو إيذاء للآخرين كالضرب، أو حدوث جرائم.

رابعًا: خصائص الانفعالات

ذكر بعض علماء النفس[4] عددًا من خصائص الانفعالات النفسية، من أبرزها ما يأتي:

1- الانفعال حالة تغير مفاجئ واستجابة عامة تشمل الفرد كله دون أن يختص بها جزء معين من جسمه.

2- للانفعال مظهر داخلي وعضوي يعمل على تنشيط الكيان العضوي للفرد ويجعله في حالة تهيؤ.

3- للانفعالات استجابات خارجية للجسم والعضلات كأسلوب خارجي يعبّر عن الحالة.

---

[1] الختاتنة، سامي محسن، وأبو أسعد، أحمد عبد اللطيف، والكركي، وجدان خليل، مبادئ علم النفس، ط4، الأردن: دار المسيرة، (ص266)

[2] انظر: المشيخي، غالب محمد، (1435هـ-2014م) أساسيات علم النفس ط3، الأردن: دار المسيرة، (ص213)

[3] انظر: الختاتنة وآخرون، مبادئ علم النفس، (ص225 وما بعدها)، ربيع، أصول علم النفس، (ص151)، منصور وآخرون، أسس علم النفس، (ص146 وما بعدها)، المشيخي، أساسيات علم النفس، (ص220)، راجح، أصول علم النفس، (ص138)، نجاتي، الحديث وعلم النفس، ط5، 1425هـ-2005م، القاهرة (ص116)

[4] انظر: بني يونس، سيكولوجيا الدافعية والانفعالات (ص233-234)، ربيع، أصول علم النفس (ص151)، المشيخي، أساسيات علم النفس (ص215)

4- يكون الانفعال مصحوبًا بتغيرات فسيولوجية، وسلوكية، وشعورية.

خامسًا: سبب الانفعالات

إن التأثر من الخير والشر سبب تولد الانفعالات، وهذه الانفعالات هي الدافعة والمحركة لتصرفات الشخص وسلوكه وتعامله مع الآخرين، فلا يمكن أن يصدر عن الشخص أي تصرف أو سلوك إلا إذا كان شيء يدفعه إليه، وهذا الدافع هو الذي يقود صاحبه إما إلى الخير والتعامل بالبر والإحسان إلى الآخرين، وإما إلى الشر والسوء والإيذاء في علاقاته الاجتماعية وسلوكه وتصرفه مع من حوله من الناس. قال ديكارت: "من اعتبار الخير والشر تولد جميع الانفعالات "[1].

فالانفعال النفسي مرتبط بأمرين: سبب الانفعال والاستجابة؛ فالسبب هو الذي في نفسية الإنسان، والاستجابة هي ما يظهر على هذا الإنسان من حركات أو تصرفات أو تغيرات جسدية، بحسب شدة المثير.

[1] ديكارت، انفعالات النفس، ص47

المبحث الثاني: أقسام الانفعالات النفسية وآثارها

المطلب الأول: أقسام الانفعالات النفسية

إن الانفعال هو حالة شعورية، وغالبًا ما تكون مصحوبة باضطرابات نفسية، يصاحبها تغيرات في جسم الإنسان، كتغيرات في ملامح الوجه كحمرة في الوجه، باعتبار أن الوجه هو المرآة الصادقة التي تعكس أحاسيس النفس، أو انفعالات داخلية يخفيها الشخص فتبقى شعورًا قلبيًا، ككظم الغيظ، وهذه الانفعالات تؤثر على الجسم، كسرعة دقات ضربات القلب وقوتها، وعدم انتظام عملية التنفس، واضطراب الأمعاء، وارتفاع ضغط الدم، وارتعاش اليدين والرِّجلين، وجحوظ العينين واتساع حدقتيهما، ورفع وخفض مستوى الصوت، وسرعة الكلام وحدته، وغير ذلك من العوارض. فالانفعالات النفسية على اختلاف ألوانها تصاحبها مظاهر جسمية خارجية تبدو على قسمات الوجه وملامح العين ونبرات الصوت وهيئة البدن وحركات الجسم[1].

إن أكثر مظاهر الانفعالات تبدو على الوجه، لأن تعبيرات الوجه تؤدي دورًا مهمًا في عملية التواصل بين المرسِل والمرسَل إليه، فهذه التعبيرات تنقل رسائل المرسِل النفسية إلى الطرف المتلقي، تعبيرًا وانعكاسًا لما في داخله، ولذلك فإن مشاهدة الوجوه معتبرة، وجعلها دليلًا على ما في النفوس، لأنها "تكون مصاحبة بطريقة فطرية لبعض الانفعالات الأساسية مثل الخوف والحزن والسعادة والغضب، ويعني ذلك أنه إذا حدثت تعبيرات الوجه التي تميز انفعالًا معيّنًا، فإن ذلك يؤدي إلى حدوث الاستجابات الفسيولوجية الداخلية المصاحبة لهذا الانفعال"[2].

---

[1] انظر تلخيص هذا الكلام عند: منصور وآخرون، أسس علم النفس، 150، الجبوري، محمد محمود، المدخل في علم النفس، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة صلاح الدين، 1984م، ص131، الشعبيني، محمد مصطفى، مقالات في علم النفس، مكتبة النهضة المصرية، ط2، 1964م، ص139

[2] نجاتي، محمد عثمان، علم النفس والحياة، ص127، دار القلم، الكويت، 1420هـ.

وقد أكدّ ابن جني[1] دور تعبيرات الوجه في عملية التواصل بين المرسِل والمرسَل إليه بقوله: "قال لي بعض مشايخنا رحمه الله: أنا لا أحسن أن أكلم إنسانًا في الظلمة"[2]. لأن ملامح الوجه لها قدرة تعبيرية كبيرة، عن حالات وانفعالات النفس البشرية المختلفة، وفي الظلمة لا يرى انفعالات الشخص الآخر كما هي في النور.

إن الانفعالات النفسية تنقسم إلى أقسام؛ حسب شدّتها وتأثيرها وتركيبها، أما من حيث شدّتها فتنقسم إلى قسمين: ضعيفة وقوية، وكذلك من حيث تأثيرها فتنقسم إلى قسمين: إيجابية وسلبية، وكذلك من حيث بساطتها وتركيبها.

أولًا: الانفعالات من حيث الشِّدّة[3]:

1- انفعالات ضعيفة: وهي الانفعالات التي تتميز باستثارة منخفضة، وتؤثر على النشاط والحيوية، بحيث تكون شدتها ضعيفة، وتكون سببًا في تقليل ضربات القلب، ووتيرة عمل الحركات التنفسية ويصعب تحديدها لقلة وعدم وضوح أعراضها الفسيولوجية والخارجية.

2- انفعالات قوية: وهي الانفعالات التي تتميز باستثارة عالية، بحيث تكون شدتها قوية، وتزيد في النشاط والحيوية والطاقة، وتظهر في صورة تغيرات ومؤشرات فسيولوجية مثل الزيادة في ضربات القلب، ووتيرة عمل الحركات التنفسية، ومظاهر خارجية على درجة عالية من الشدة.

---

[1] ابن جني أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي: إمام العربية، كان أبوه مملوكًا روميًا لسليمان بن فهد الموصلي، لزم أبا علي الفارسي دهرًا، وسافر معه حتى برع وصنف، وسكن بغداد، وتخرج به الكبار، توفي في صفر، سنة اثنتين وتسعين وثلاث مائة. [انظر: سير أعلام النبلاء ط الرسالة (17/ 17)].

[2] ابن جني، أبو الفتح عثمان، الموصلي، (ت: 392هـ)، الخصائص، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط:4، (248/1)

[3] انظر هذا الكلام عند: بني يونس: سيكولوجية الدافعية والانفعالات، 239-240. عبد الخالق، أحمد، علم النفس أصوله ومبادئه، ص331. دار المعرفة الجامعية، دون ذكر السنة والطبعة. الشهري، عزة بنت عابس بن محمد، مبادئ التربية النفسية في القرآن الكريم وتطبيقاتها المعاصرة، رسالة دكتوراه جامعة أم القرى، كلية التربية المملكة العربية السعودية, 1436هـ-2015م، ص150.

ثانيًا: الانفعالات من حيث التأثير[1]:

1- انفعالات إيجابية: وهذه الانفعالات هي قوة محركة للإنسان نحو حياة هادئة مفعمة بالطمأنينة، وتشبع فينا الرضا والارتياح، وتجعل الحياة آمنة وممتعة، وهي قوة داعمة لتحقيق الأهداف والنجاح والإنجازات، وهذه الانفعالات عواقبها حسنة، ونتائجها حميدة مرغوبة، ولها انعكاسات مريحة على نفسية الشخص وصحته، وباعثة للسعادة والمتعة واللذة، وتعمل على زيادة النشاط والحيوية، ومن هذه الانفعالات الحب والسرور والفرح والحنين.

2- انفعالات سلبية: وهذه الانفعالات عواقبها سيئة، ونتائجها غير حميدة، وانعكاساتها سلبية على نفسية الشخص وصحته، وباعثة للتعاسة والانزعاج والاسترخاء والكبت والألم، وتؤدي إلى انعدام الحيوية أو تقليلها، ومن هذه الانفعالات الكره والضجر والغضب والقلق والرهاب (الخوف الضعيف) والذعر (الخوف القوي).

ثالثًا: من حيث التركيب:

1- الانفعالات البسيطة: هي تلك الانفعالات القائمة بذاتها والمحددة مثيراتها[2].

2- الانفعالات المركبة: هي تلك الانفعالات المعقدة في تكوينها حيث تقوم على امتزاج انفعالين أو أكثر من مركب انفعالي واحد، مثل الغيرة الناجمة عن مجموعة من الأسباب، أو الدهشة من موقف يتضمن مجموعة من المثيرات غير الواضحة[3].

وهذه التقسيمات تفيدنا في تحديد نوعية الانفعالات التي حصلت للكافرين وشدتها وقوتها وتأثيرها على نفوسهم وتصرفاتهم، ومن خلال ذلك نستطيع معرفة من كان منهم حاد المزاج، قوي الانفعال، سريع الغضب، كثير المواجهة.

---

[1] انظر هذا الكلام عند: بني يونس: سيكولوجية الدافعية والانفعالات، 239-240. عبد الخالق، علم النفس أصوله ومبادئه، ص331. الشهري، مبادئ التربية النفسية في القرآن الكريم وتطبيقاتها المعاصرة، ص 150.

[2] منصور، طلعت وآخرون، أسس علم النفس العام ص167، بتصرف بسيط.

[3] المرجع السابق، ص167، بتصرف بسيط.

المطلب الثاني: آثار الانفعالات النفسية

حينما ينفعل الشخص فإن ذلك يظهر عليه، ويترجمه إلى سلوك بحسب شدة تأثيره، فإن كان الانفعال شديدًا فإن تأثير ذلك على التصرف والسلوك والتفكير يكون كبيرًا، ويكون أكثر هيجانًا وتوترًا، وبالتالي فهو يُفرّغ توتره وانفعاله من خلال تصرفاته وسلوكه.

قال ديكارت: "النتيجة الرئيسة للانفعالات على البشر أنها تحث النفس وتعدها لتقبل الأشياء، وهكذا فإن الشعور بالخوف يحث النفس على الهمّ بالهرب، أما الشعور بالإقدام فيحثها على إرادة المقاتلة، وهكذا مع بقية الانفعالات"[1].

[1] ديكارت، رينيه، انفعالات النفس ص34

الفصل الثاني

انفعال الخوف عند الكافرين في القرآن الكريم

الخوف انفعال فطري، جعله الله تعالى في النفس الإنسانية عند توقع الأذى أو المكروه، فيتولد هذا الانفعال لدفع المكروه أو الأذى المتوقع، والنفوس متفاوتة في ذلك ومختلفة.

المبحث الأول: معنى الخوف ودلالاته في السياق القرآني

المطلب الأول: الخوف في اللغة

(خوف): "الخاء والواو والفاء أصل واحد يدل على الذعر والفزع"[1]. يقال: خفت الشيء خوفًا وخيفةً، ومنه التخويف والإخافة والتّخوُّف. والنعت: خائف، وهو الفزع[2]. "وخاف الشخص: شعر بنوع من الاضطراب بسبب اقتراب مكروه أو توقعه، أي تهيَّب، وارتعب، وفزِعَ... والخوّاف: صيغة مبالغة من خافَ، والمعنى: كثير الخوف، فهو فزِعٌ، جبان"[3].

المطلب الثاني: الخوف في الاصطلاح

هو "حالة تعتري عند انقباض من شر متوقع"[4]، قال الراغب: "الخوف: توقّع مكروه عن أمارة مظنونة، أو معلومة، ويضادّ الخوف الأمن، ويستعمل ذلك في الأمور الدنيوية والأخروية"[5]. وأما المناوي فقد قال: "الخوف: توقع مكروه أو فوت محبوب"[6]. والخوف شعور نفسي مؤلم مزعج، كما عرّفه التفتازاني: "غم يلحق

---

[1] ابن فارس، مقاييس اللغة، (230/2)

[2] انظر: الفراهيدي، كتاب العين (312/4)، الأزهري، تهذيب اللغة، (242/7)، ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، (305/5)، ابن منظور، لسان العرب، (99/9)، الزَّبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، (504/2)، إبراهيم مصطفى، وآخرون، المعجم الوسيط مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الدعوة، من دون ذكر الطبعة والسنة، (687/2)

[3] مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة (708/1)

[4] الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني (ت: 1270هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، المحقق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية –بيروت، ط1، 1415هـ، (453/1)

[5] الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن (ص: 303)

[6] المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف (ص: 161)

الإنسان مما يتوقعه من السوء"[1]. وإلى ذلك أشار الغزالي حينما قال: "عبارة عن تألم القلب واحتراقه بسبب توقع مكروه في الاستقبال"[2]. وهو خاصة من خواص النفس، وقد عرّفه ابن القيم بأنه: "اضطراب القلب وحركته من تذكر المخوف، والخوف هرب القلب من حلول المكروه عند استشعاره. مسبوق بالشعور والعلم، فمحال خوف الإنسان مما لا شعور له به"[3].

يظهر مما سبق أن الخوف هو "انفعال يحدث في النَّفس"[4]، وشعور سيء مزعج يؤدي إلى اضطراب وغمّ في القلب وتألم واحتراق، يحدث لتوقع مكروه أو أذى، أَو فوت محبوب، في الحال أو المستقبل، وهو سلوك يتميز بصبغة انفعالية غير سارّة، تصحبه ردود فعل حركية مختلفة، في أمور دنيوية وأخروية.

المطلب الثالث: الخوف في السياق القرآني

ورد لفظ الخوف في القرآن الكريم كثيرًا، حيث وردت ألفاظ الخوف مائة وأربعة وعشرين مرة (124)[5]، ولفظة الخوف جاءت في كتب الوجوه والنظائر على عدة معان ووجوه، جعلها ابن الجوزي[6] خمسة وهي: الخوف نفسه، العلم، الظن، القتال والنكبة تصيب الْمُسلمين من قتل أَو هزيمة. وكذلك جعلها الفيروزآبادي[7] وهي: القتل والهزيمة، الحرب والقتال، العلم والدّراية، النقص، الرُّعب والخشية من العذاب والعقوبة.

---

[1] المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف، (ص: 161)

[2] الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، (ت505هـ)، إحياء علوم الدين، دار المعرفة –بيروت، (155/4)، من دون ذكر الطبعة والسنة

[3] ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد (ت: 751هـ)، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي –بيروت، ط3، 1416هـ–1996م، (508/1)، وانظر: الفيروزآبادى، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، (577/2)

[4] انظر: مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة، (708/1)، إبراهيم مصطفى، وآخرون، المعجم الوسيط مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (262/1)

[5] انظر: عبد الباقي، محمد فؤاد، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، مادة (خ و ف)، ص246

[6] ينظر: ابن الجوزي، نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر (ص: 279)

[7] ينظر: الفيروزآبادى، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (578/2)

ويمكن الجمع بين ما ذكره العالمان من الوجوه كالآتي: الخوف، العلم، الظن، القتال، النكبة، النقص، العذاب. وهذه بعض الآيات الدالة على تلك الوجوه[1]:

1- الخوف نفسه. ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾[الأعراف:56]، وقوله سبحانه: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾[السجدة:16].

2- العلم والدّراية: ومنه قوله تعالى: ﴿فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾[البقرة:182] أي عَلِم[2]، وقوله: ﴿إِلَّا أَن يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾[البقرة:229] أي يعلما[3]، ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾[البقرة:229]، أي علمتم[4]. وقوله سبحانه: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ﴾[النساء:3] أي: علمتم[5]، وقوله تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾[النساء:3]، أي علمتم[6]، وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا﴾[النساء:35] أي علمتم[7].

---

[1] انظر: ابن الجوزي، نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر (ص: 279) وما بعدها، الفيروزآبادى، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (578/2) وما بعدها.

[2] البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء الشافعي (ت: 510هـ)، معالم التنزيل في تفسير القرآن، المحقق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي -بيروت، ط1، 1420هـ، (213/1)

[3] الواحدي، الوسيط في تفسير القرآن المجيد (336/1)

[4] الماتريدي، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور (ت: 333هـ)، تأويلات أهل السنة، المحقق: د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية -بيروت، لبنان، ط1، 1426هـ-2005م، (167/2)، السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم (المتوفى: 373هـ)، بحر العلوم، المكتبة الشاملة، من دون ذكر الطبعة والسنة ودار النشر، (151/1)، البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن (213/1)، و (305/1)

[5] مكي، بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني (ت: 437هـ)، الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، (4697/7)، المحقق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي -جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، مجموعة بحوث الكتاب والسنة -كلية الشريعة والدراسات الإسلامية -جامعة الشارقة، ط1، 1429هـ-2008م، (1219/2)

[6] البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن (565/1)

[7] الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر (ت: 310هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط1، 1420هـ-2000م، مؤسسة الرسالة، (318/8)، الماتريدي، تأويلات أهل السنة (167/3)

3- الظَّن. ومنه قوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ۖ ﴿٢٢٩﴾﴾[البقرة:229]. أي ظنّا. قال الطبري: "والعرب قد تضع "الظن" موضع "الخوف"، "والخوف" موضع "الظن" في كلامها، لتقارب معنييهما"[1].

4- الحرب والقتال: ومنه قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ ﴿١٩﴾﴾[الأحزاب:19] أي الحرب، وحضر البأس. وفي الآية نفسها: ﴿فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ ﴿١٩﴾﴾[الأحزاب:19] أي إذا انجلى الحرب، وانقطعت الحرب واطمأنوا. قال ابن عاشور: "ولا يعرف إطلاق الخوف على الحرب قبل القرآن"[2].

5- النكبة تصيب الْمُسلمين من قتل أَو هزيمة: وَمِنْه قَوْله تَعَالَى فِي سُورَة النِّسَاء: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ ﴿٨٣﴾﴾[النساء:83]. قال البغوي: "الخوف: القتل والهزيمة"[3].

6- النقص ﴿ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ ﴿٤٧﴾﴾[النحل:47]، أي تنقُّص. قال مجاهد: "يأخذهم بنقص النعم"[4]. قال الطبري: "يعني: أو يهلكهم بتخوّف، وذلك بنقص من أطرافهم ونواحيهم الشيء بعد الشيء حتى يهلك جميعهم"[5]. ولم يأت (الخوف) في القرآن الكريم بهذا المعنى إلا في هذا الموضع.

7- العذاب والعقوبة: ومنه قوله تعالى: ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾[يونس:62].

وأكثر ما جاء بمعنى (الخوف) نفسه، وهو الحالة النفسية التي تنتاب الإنسان جراء توقع ما يَرِدُ من المكروه، أو يفوت من المحبوب.

---

[1] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (550/4)

[2] ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: 1393هـ)، التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، الدار التونسية للنشر –تونس، 1984هـ، من دون ذكر الطبعة، (470/2)

[3] البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن (667/1)

[4] مجاهد، بن جبر، (ت: 104هـ)، تفسير مجاهد، المحقق: الدكتور محمد عبد السلام أبو النيل، دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر، ط1، 1410هـ-1989م، (ص: 422)

[5] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (213/17)

المطلب الرابع: الخوف عند علماء النفس

الخوف انفعال وحالة طبيعية تصيب الإنسان، وهو رد فعل طبيعي نتيجة التعرض لشيء مثير، كالشعور بالقلق أو الهلع، أو بوجود خطر يتهدده، وتترافق مشاعر التهديد بتغيرات جسدية ونفسية، إذ يشعر الشخص بالتعرق، وبرودة الأطراف والغثيان والدوار وسرعة خفقان القلب، لذلك عدّه علماء النفس أنه حالة من حالات التوتر، تدفع الخائف للتصرف أمام الموقف الذي استثار خوفه.

وانفعال الخوف من الانفعالات المهمة في حياة الإنسان، لأنه يعينه على اتقاء الأخطار التي تهدده مما يساعده على الحياة والبقاء[1]. وانفعال الخوف "حالة من الاضطراب الحاد الذي يشمل الفرد كله"[2]. وقد ذهب علماء النفس إلى أن الخاصية المميزة لاستجابة الخوف هي الانكماش والانسحاب وغالباً ما يبلغان الذروة في استجابة هروبية[3]. فهو "انفعال نفسي حادٌّ يصيب الإنسان إثر شعوره بالأخطار التي تحدق به، فيهز كيانه هزاً شديدًا، وقد يشل حركته ويخرجه عن وضعه الطبيعي حاملاً إياه على اتقاء تلك المخاطر ما استطاع إليه سبيلًا"[4].

قال ديكارت: "الشعور بالخوف يحث النفس على إرادة الهرب"[5]، وقال أيضًا: "وهكذا فحين يصور الخوفُ الموتَ كشرٍّ مستطير لا يمكن تجنبه إلا بالهرب"[6].

ولقد عرّفه بني يونس: "الخوف: هو ظاهرة طبيعية أو سوية، ولا يدل على أي اضطراب نفسي أو انحراف في الشخصية، طالما أن هناك أسبابًا معقولة له، وأن مستوى الخوف الذي يبديه الشخص الخائف يتناسب مع حجم المثير المخوف، والخوف في حد ذاته ليس شيئًا رديئًا يجب القضاء عليه، أو يجب الاستغناء عنه

---

[1] انظر: نجاتي، محمد عثمان، القرآن وعلم النفس ص68، دار الشروق، بيروت، ط9، 1427هـ-2006م.

[2] المرجع السابق ص69

[3] انظر: منصور، أسس علم النفس العام ص153، نجاتي، القرآن وعلم النفس ص66

[4] عزيز، صالح ملا، تصوير الانفعالات النفسية في القرآن الكريم دراسة فنية، جامعة صلاح الدين، 2019م، ص3

[5] ديكارت، انفعالات النفس ص34

[6] المرجع السابق ص39

تمامًا في مجالات التربية والمجالات الاجتماعية العادية"[1]. فالخوف من الأعراض النفسية والجسمية الأكثر شيوعًا، ولا يخلو أحدنا منها دون أن يُعدّ ذلك مرضًا أو انحرافًا، لأن الإنسان مفطور على مثل هذه الانفعالات.

وتصاحب انفعال الخوف "تغيرات كثيرة تحدث في الوظائف الفسيولوجية، وفي ملامح الوجه، ونبرات الصوت، وهيئة البدن"[2].

وبهذا يمكن تلخيص المعنى لانفعال الخوف بأنه حالة انفعالية طبيعية تصيب الإنسان، وهو رد فعل طبيعي نتيجة التعرض لشيء مثير، كالشعور بالقلق، أو بوجود خطر يتهدده، وتترافق مشاعر التهديد بتغيرات جسدية ونفسية.

[1] بني يونس، سيكولوجية الدافعية والانفعالات، ص 244-245.

[2] نجاتي، محمد عثمان، القرآن وعلم النفس ص70

المبحث الثاني: مشاهد انفعال الخوف عند الكافرين في السياق القرآني

المطلب الأول: خوف الكافرين في الحروب

أولًا: دوران عيون المنافقين عند المواجهة

قال تعالى: ﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا۟ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾﴾[الأحزاب:18-19].

هذا مشهد من مشاهد الانفعالات النفسية عند المنافقين المعوّقين الذين يصدون عن "شهود الحرب، نفاقًا منهم، وتخذيلًا عن الإسلام وأهله"[1] -عند اقتراب وقت القتال والالتحام مع أعداء المسلمين- والمشهد يرسم صورة نفسياتهم بشكل مبدع ودقيق للغاية، كأنه ماثل أمام القارئ أو السامع، ليلحظ شدة الخوف والفزع والهلع والجبن الظاهر في وجوههم، ولم يكن التعبير بانفعال واحد فقط بل بعدة انفعالات، فلم يكتف بتحديق النظر، وهو بحد ذاته علامة من علامات الخوف، بل زاد على ذلك دوران العيون، وهو علامة قطعت مبلغًا كبيرًا من الخوف في قلوبهم، ثم يأتي مشهد يبيّن فعل انفعال الخوف في قلوبهم وهو يجسد أكبر علامات الخوف كحال الذي أحاط به الموت من كل جوانبه، فصار في أقصى دركات الوهن والخوف والفزع، "والتعبير القرآني يرسم هذه الصورة في لمسات فنية مبدعة لا سبيل إلى استبدالها أو ترجمتها في غير سياقها المعجز... وهي صورة شاخصة، واضحة الملامح، متحركة الجوارح، وهي في الوقت ذاته مضحكة، تثير السخرية من هذا الصنف الجبان، الذي تنطق أوصاله وجوارحه في لحظة الخوف بالجبن المرتعش الخوار"[2].

والتعبير {تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ} لم يرد إلا مرة واحدة في القرآن الكريم، وهو من أهم الأعراض التي تصيب الإنسان عند الخوف الشديد، وتعدّ العين نافذة القلب ومرآته، حيث تعكس حالته المزاجية النفسية؛ كالغضب والحزن

[1] انظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (230/20)

[2] سيد قطب، إبراهيم حسين الشاربي (ت: 1385هـ)، في ظلال القرآن، (2840/5)، ط17، 1412هـ، دار الشروق -بيروت -القاهرة،

أو الفرح والسرور، وبنظرة سريعة إلى عين الشخص يمكن قراءة حالته النفسية، إن كان يتعرض لضغط نفسي، أو يشعر بارتياح وانبساط.

ودوران العيون بحاجة إلى اتساع العينين مما يؤدي إلى ارتفاع العين وجحوظ الحدقة، وهذا يدل على الحيرة والخوف الشديد، والقلق الكبير الذي يصيب الشخص المضطرب المرعوب، فتجده ينظر في كل الاتجاهات من حوله، ومردّ ذلك أن الشخص الخائف يتوقف عن تفكيره فلا يعرف من أين يأتيه الخطر، فعيناه في دوران مستمر لا تقرّ ولا تهدأ، وعند جحوظ العينين يتجلى الهلع الشديد، بحيث تتسع فتحة الجفون فيظهر بياضها من الأعلى، وهذا من علامات الخوف الشديد المثبتة في كتب لغة الجسد[1].

والآية التي بين أيدينا تصور شدة الخوف عند المنافقين، حيث جاء في ختامها مشهد نظرهم كالذي يغشي عليه من الموت من شدة الهلع، هذه الآية تشبه قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوۡلَا نُزِّلَتۡ سُورَةٞۖ فَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ مُّحۡكَمَةٞ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلۡقِتَالُۙ رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ نَظَرَ ٱلۡمَغۡشِيِّ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡمَوۡتِۖ فَأَوۡلَىٰ لَهُمۡ ٢٠﴾[محمد:20]، وفي الآية وصف لحالتهم وانفعالاتهم النفسية من جبن وخوف شديدين، حيث بلغوا النهاية فيهما، يعني: "تدور أعينهم كدوران الذي هو في غثيان الموت، ونزعاته جبنًا وخوفًا"[2]. وهذا الوصف يشير إلى سيكولوجية الخائف، والعلامات المصاحبة له من رعب واضطراب وقلق وجبن وفزع، كالنازل به الموت، حيث يكون في حال الاحتضار يُعاني من آلام النزع أشدها، ويذوق من سكرات الموت أمرّها، فيكون فحالة تدل على عدم التركيز والاتزان، وربما مات من أجل ذلك، ومن علامات مَن نزل به الموت دوران عينيه، وذهاب عقله، وشخوص بصره، فلا يطرف، "كذلك هؤلاء تشخص أبصارهم وتحار أعينهم لما يلحقهم من الخوف، ويقال للميت إذا شخص بصره: دارت عينه ودارت حماليق عينه"[3].

---

[1] انظر: المسيهيج، خالد بن محمد، لغة الجسد في القرآن الكريم، ط1، 1441هـ – 20202م، منشورات دار لوتس للنشر الحر، ص68.

[2] انظر: الماتريدي، تأويلات أهل السنة، (366/8)، السمرقندي، بحر العلوم (53/3)

[3] الواحدي، الوسيط في تفسير القرآن المجيد (463/3)

وهذا الوصف الدقيق لحال المنافقين واقعي ومباشر، لأن أكثر ما يميز الخائف حركة عينيه، ويمكن للشخص أن يتحكم في أي حركة من حركات جسمه، إلا حركة العينين، مهما بلغت قوة أعصابه، وقوته في التحكم، فلا بدّ وأن تغلبه حركة عينيه، بل وتظهر فيهما انفعالاته من حزن أو فرح، وخوف أو اطمئنان، ورعب وفزع وقلق أو ارتياح وهدوء وطمأنينة.

ومما يلفت النظر ويثير الانتباه أن النص القرآني أسند الدوران والحركة إلى العيون، ليلقي المشهد المتكامل في قلب القارئ وخياله؛ أن العيون تدور باستمرار دائم، وهي تدور كلها وليس الأحداق فقط، وهذا يشير إلى كثرة الدوران، وسرعة الحركة وتتابعها من دون توقف.

ثانيًا: رعب الكافرين عند القتال

الرعب "هو أشد الخوف"[1]. وهو "الخوف الذي يرعب الصدر، أي يملؤه"[2]. فالرعب انفعال نفسي شديد، يملؤ النفس خوفًا وفزعًا، مما يسيطر على تصرفات المرعوب.

ولقد ذُكر الرعب لدلالة انفعالية في خمسة مواطن في القرآن الكريم[3]، وكلها في مبنى المصدر، أربعة منها تبيّن أن الله تعالى قذف الرعب في قلوب الذين كفروا، لأنهم أشركوا بالله تعالى، وصدوا عن سبيله، وحاربوا رسوله صلى الله عليه وسلم، وهذه الآيات كما يأتي: الأولى: ﴿سَنُلۡقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ بِمَآ أَشۡرَكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗاۖ وَمَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۚ وَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلظَّٰلِمِينَ ١٥١﴾[آل عمران:151]. الثانية: ﴿إِذۡ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمۡ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ سَأُلۡقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ فَٱضۡرِبُواْ فَوۡقَ ٱلۡأَعۡنَاقِ وَٱضۡرِبُواْ مِنۡهُمۡ كُلَّ بَنَانٖ ١٢﴾[الأنفال:12]، الثالثة: ﴿وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمۡ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَ فَرِيقٗا تَقۡتُلُونَ وَتَأۡسِرُونَ فَرِيقٗا ٢٦﴾[الأحزاب:26]، الرابعة: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَخۡرَجَ

[1] الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس (504/2)

[2] الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (499/4)

[3] وهي قوله تعالى: (ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ) [آل عمران:151]، و(ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ) [الأنفال:12]، و(ڳ ڳ ں ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ) [الكهف:18]، و(گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ)[الأحزاب:26]، و(ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ) [الحشر:2]

ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمۡ لِأَوَّلِ ٱلۡحَشۡرِۚ مَا ظَنَنتُمۡ أَن يَخۡرُجُواْۖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمۡ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنۡ حَيۡثُ لَمۡ يَحۡتَسِبُواْۖ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَ يُخۡرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيۡدِيهِمۡ وَأَيۡدِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴿٢﴾ [الحشر:2].

وهذه الآيات الكريمة تبيّن الرعب الذي أصاب الكافرين، وتُظهر شدة الخوف في مواجهة المسلمين. حتى قال عنه الطبري: "وهو الجزع والهلع... بشركهم بالله وعبادتهم الأصنام، وطاعتهم الشيطان، وهذا وعدٌ من الله جل ثناؤه أصحابَ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنصر على أعدائهم، والفلج عليهم، ما استقاموا على عهده، وتمسكوا بطاعته"[1].

فالله تعالى ملأ قلوب الكافرين رعبًا وخوفًا وهلعًا وجبنًا وفرقًا، حتى انهزموا وولوا مدبرين، وذلك في غزوة حمراء الأسد بعد غزوة أحد، حينما أراد أبو سفيان أن يرجع لاستئصال المسلمين[2]، وكذلك في غزوة الأحزاب، والله تعالى خص نبيه صلى الله عليه وسلم بخصائص لم تكن لأحد من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، من هذه الخصائص أنه نصره بالرعب، لقوله صلى الله عليه وسلم: (أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ مِنَ الأَنْبِيَاءِ قَبْلِي: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِي الأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، وَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلاَةُ فَلْيُصَلِّ، وَأُحِلَّتْ لِي الغَنَائِمُ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ)[3].

الدروس والقيم التربوية المستفادة

- المنافقون أشد الناس خوفًا وأكثرهم فزعًا، وخاصة أثناء المواجهة والقتال مع المؤمنين، حيث يصيبهم الفزع والهلع والرعب والجبن والخوف الشديد، حتى تظهر كل هذه الانفعالات على وجوههم، وعيونهم، فتأخذ بالدوران المستمر.

[1] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (279/7)

[2] انظر: المرجع السابق (280/7)

[3] البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله الجعفي، (ت:256هـ)، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه (صحيح البخاري) –تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط1، 1422هـ، دار طوق النجاة (95/1)، حديث رقم (438)، وانظر: حديث رقم (2977)، (54/4)، وحديث رقم (6998)، (33/9)، وحديث رقم (7013)، (36/9)، وحديث رقم (7273)، (91/9)

- أكثر ما يميز الكفار من انفعالات في الحروب مع المؤمنين هو الرعب، وذلك لأن الله تعالى تولى بنفسه إلقاء الرعب وقذفه في قلوبهم، وهذا درس عظيم للمؤمنين ألا يخافوا من أعدائهم، ولا يهنوا، لأن الله تعالى معهم، وهو ناصرهم ومعزّهم، وهو هازم أعدائهم ومذلّهم.
- الكافرون مهما بلغت قوتهم من عدة وعتاد وآليات وراجمات صواريخ وطائرات، إلا أنهم شديدو الخوف من المؤمنين، لأن السلاح الأول الذي يحمي ويدفع الأذى والخطر هو الإيمان بالله تعالى، فإذا كان القلب عامرًا بالإيمان فقد انتصر في المعركة، لأنه لا غالب إلا الله، والله تعالى غالب على أمره، وإليه يرجع الأمر كله، وما النصر إلا من عنده، حتى لو كان المؤمنون قلة أو ضعفاء، لأن الله سبحانه يدافع عن الذين آمنوا.
- ينبغي للمؤمن ألا يخاف إلا الله تعالى، ولا يخاف أحدًا سواه، وألا يهاب الكافرين ولو اشتدت قوتهم، وعظمت دولتهم، وكثرت معدّاتهم، لأن الخوف منه سبحانه من لوازم الإيمان، كما قال تعالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[آل عمران:175]، فالمؤمن لا يخشى ولا يخاف من مواجهة أعداء الله تعالى، مهما كثر عددهم، وزاد عتادهم، واتحدت أحزابهم، ولن يستطيعوا أن يلحقوا به الأذى أو الضر أو النكبة، لأن قلبه موصول بالله تعالى، وما الظفر إلا من عنده وبيده سبحانه.
- المؤمن يقول الحق ولا يخشى في الله لومة لائم، كما قال تعالى: ﴿يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٍۚ ﴿٥٤﴾﴾[المائدة:54]، وأعظم الجهاد أن يقول المؤمن كلمة الحق ولو أمام السلطان أو رئيس الدولة، حتى لو كان ظالمًا، ولما سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن أفضل الجهاد قال: (كَلِمَةُ حَقٍّ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ)[1].
- الخوف من الناس يجلب المذمة، ويجعل صاحبه جبانًا، ضعيفًا، أما الخوف من الله تعالى يجعل المؤمن قويًا عزيزًا، يُخيف الله منه أعداءه، ويُلقي الرهبة في قلوبهم، حتى لو كان بعيدًا عنهم. وفي القادسية قال

[1] النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، (ت: 303هـ)، المجتبى من السنن (السنن الصغرى للنسائي)، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية –حلب ط2، 1406هـ–1986م، حديث رقم (4209)، (161/7)، وصححه الألباني في، صحيح الجامع الصغير وزياداته، المكتب الإسلامي، من دون ذكر السنة والطبعة، (248/1)

رستم قائد الفرس: "أكل عمر كبدي"[1]. وعمر رضي الله عنه في المدينة، كان نائمًا تحت شجرة آمنًا مطمئنًا.

- شتان بين الخوف عند المؤمن والخوف عند الكافر، لأن الخوف ينعكس على وجه صاحبه حسب الباعث عليه، لأن الوجوه مرآة مشاعر الإنسان وانفعالاته وأحاسيسه، فالكافر يربدّ وجهه ويسودّ، وتعلوه الكآبة والغبرة، بينما المؤمن يكون وجهه مشرقًا منيرًا، لأنه خاف من الله فأطاعه واتقاه، واقترب منه، فآواه.
- الخوف من الله تعالى من أعظم منازل المتقين، ومقامات المؤمنين، وأكثر العبادات نفعًا في الدنيا والآخرة، وللخوف من الله تعالى ثمرات كثيرة، من أهمها: التحفيز على فعل الخيرات، والأعمال الصالحات، والإكثار من الطاعات والقربات، والابتعاد عن الشبهات والمحرمات.

المطلب الثاني: خوف الكافرين في مشاهد الآخرة

كثيرة هي الآيات الكريمة التي بيّنت انفعال خوف الكافرين يوم القيامة، في مواقف متعددة، وذلك لأن الكافر يعلم يقينًا أنّ عذابًا ينتظره، ولن يفلت أو ينجو منه، فمن ذلك:

أولًا: زرقة وجوه الكفار من الخوف

قال تعالى: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾﴾[طه:102] أي زرق الوجوه من شدة الخوف وما هم فيه من الأهوال والغم والكرب والرعب، وما يظهر جليًا على وجوههم من آثار هذا الخوف يومئذ، لأن الوجوه مرآة مشاعر الإنسان وانفعالاته وأحاسيسه، فيظهر فيها الألم أو الحزن أو الخوف أو القلق بصورة سيئة مكفهرّة سوداء، ويظهر فيها كذلك السرور والفرح والسعادة بصورة مشرقة نضرة وضيئة. قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ ﴿١٠٦﴾﴾[آل عمران:106]، وقال عز وجل: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٌ

[1] الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر (ت: 310هـ)، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط1، 1960م، (532/3)

يَوۡمَئِذِۭ بَاسِرَةٞ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفۡعَلَ بِهَا فَاقِرَةٞ ﴿٢٥﴾﴾[القيامة:25]، وقال سبحانه: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ مُّسۡفِرَةٞ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٞ مُّسۡتَبۡشِرَةٞ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٞ يَوۡمَئِذٍ عَلَيۡهَا غَبَرَةٞ ﴿٤٠﴾ تَرۡهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾﴾[عبس:38-41].

ومما ورد من معان للكلمة {زُرْقًا}: "شخوص البصر من شدة الخوف"[1]. "والأزرق شاخص لأنه لضعف بصره يكون محدقًا نحو الشيء يريد أن يتبينه وهذه حال الخائف المتوقع لما يكره"[2] وهو كقوله: ﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمۡ لِيَوۡمٖ تَشۡخَصُ فِيهِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ ﴿٤٢﴾﴾[إبراهيم: 42].

وقيل: عنى بالزرق في هذا الموضع: "ما يظهر في أعينهم من شدة العطش الذي يكون بهم عند الحشر"[3]، أي عطاشًا، "لأنهم من شدة العطش يتغير سواد أعينهم حتى يزْرَق"[4]. والزرقة في جلد الإنسان منظرها قبيح تدل على تشويه البدن، لأنها تشبه لون من أصابه حرق نارٍ، وهذا كله مما يصيب الكافر من خوف شديد يغيّر لون جسده، كأنه من قوة انفعالاته المركبة يحترق داخليًا، فيتغير لونه إلى أزرق، قبل أن يُحرق في نار جهنم.

الدروس والقيم التربوية المستفادة

- حال الكافرين يوم القيامة حالٌ مخيف، وأشكالهم مرعبة، وهو خائفون مرعوبون فزعون من شدته وكربه وهوله، فعلى المؤمنين أن يجدّوا في الطاعات، ويتسابقوا إلى الخيرات، كي ينعكس ذلك إشراقًا في وجوههم، ونضرة وطمأنينة وفرحًا.

---

[1] الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، (ت: 450هـ)، النكت والعيون، (424/3)، المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية –بيروت/لبنان

[2] الرازي، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) (98/22)

[3] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (369/18)، الماوردي، النكت والعيون (424/3)

[4] الزجاج، معاني القرآن وإعرابه

الزجاج، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق، (ت: 311هـ)، معاني القرآن وإعرابه، (376/3)، عالم الكتب –بيروت، ط1، 1408هـ–1988م. مكي، الهداية إلى بلوغ النهاية (4697/7)، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (244/11)

ثانيًا: إشفاق الكافرين من كتاب الأعمال

قال تعالى: ﴿ وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلۡمُجۡرِمِينَ مُشۡفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيۡلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلۡكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحۡصَىٰهَاۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرٗاۗ وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا ﴿٤٩﴾ ﴾[الكهف: 49].

الإشفاق هو "الخوف"[1]. والآية التي بين أيدينا تبيّن انفعال الخوف لدى الكافرين المجرمين عند الحساب، وحين نصب الموازين، وفتح الكتب التي كتبت الملائكة فيها أعمالهم وأقوالهم، وما قدمت أيديهم، وما عملوا في الدنيا، فتوضع هذه الكتب في أيديهم، فالمؤمنون يأخذون كتبهم بأيمانهم، فيفرحون بما قدموا، ويسعدون بما يجدونه من أعمال صالحة وطاعات مقبولة، فينادي كل واحد منهم، مستبشرًا فرحًا مبتهجًا، قال عز وجل: ﴿ فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقۡرَءُواْ كِتَٰبِيَهۡ ﴿١٩﴾ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهۡ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٖ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٞ ﴿٢٣﴾ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَآ أَسۡلَفۡتُمۡ فِي ٱلۡأَيَّامِ ٱلۡخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ ﴾[الحاقة: 19–24]، وأما الكافرون فيأخذون كتبهم بشمائلهم، ويدعون على أنفسهم بالويل والهلاك، ويندمون على ما فرّطوا في جنب الله تعالى، قال سبحانه: ﴿ وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُوتَ كِتَٰبِيَهۡ ﴿٢٥﴾ وَلَمۡ أَدۡرِ مَا حِسَابِيَهۡ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيۡتَهَا كَانَتِ ٱلۡقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغۡنَىٰ عَنِّي مَالِيَهۡ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلۡطَٰنِيَهۡ ﴿٢٩﴾ ﴾[الحاقة: 25–29]، فحينما يرون صحائف أعمالهم، وسِجل أفعالهم، ويجدونه دقيقًا شاملًا، قد وُضعت فيه جميع الأعمال، كبيرها وصغيرها –ولو كانت مثقال ذرة– ترى الخوف والإشفاق باديًا في وجوههم، ويقولون على سبيل التحسر والتوجع يا ويلتنا، والويلة: حلول الشر والهلاك، قال سيد قطب: "وهي قولة المحسور المغيظ الخائف المتوقع لأسوأ العواقب"[2].

وبالجملة فإن إشفاق المجرمين يعني خوفهم ووجلهم وفزعهم من أشياء كثيرة؛ منها أن يُكشف أمرهم بين الخلائق في الموقف فيفتضحون، وخوفهم من العقاب والعذاب، وفزعهم من هول الحساب، لأن كتاب الأعمال دقيق الإحصاء، صحيح الكتابة، ليس فيه أخطاء، حيث لم يترك شيئًا من الذنوب والآثام إلا وهي

[1] انظر: الفراهيدي، كتاب العين (44/5)، ابن منظور، لسان العرب (179/10)

[2] قطب، في ظلال القرآن (2274/4)

مسطورة مكتوبة، لا ظلم فيه ولا حيف، كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ۝١١ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ۝١٢﴾[الانفطار:10-12]، وفي قوله تعالى: ﴿لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً ۝٤٩﴾[الكهف:49] يلاحظ أن الصغيرة قدّمت على الكبيرة، اهتمامًا بها، وتنبيهًا عليها، لئلا يُستهان بها، ويُتساهل في فعلها، قال ابن عطية: "وقدم الصغيرة اهتمامًا بها، لينبّه منها، ويدل أن الصغيرة إذا أحصيت، فالكبيرة أحرى بذلك"[1].

ثالثًا: إشفاق الكافرين مما كسبوا

قال تعالى: ﴿تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا۟ وَهُوَ وَاقِعٌۢ بِهِمْ ۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى رَوْضَٰتِ ٱلْجَنَّٰتِ ۖ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ۝٢٢﴾[الشورى:22]

هذه الآية تشبه الآية السابقة، حيث تبيّن خوف الكافرين من أن يحل بهم غضب الله تعالى وعقابه على ما كسبوا من أعمالهم السيئة الخبيثة، وهذا انفعال يصاحبهم في مواقف القيامة الكثيرة، لأنهم عاينوا العذاب، وعلموا ما هو نازل بهم من العقاب، وما هو واقع بهم من العقوبة الأليمة التي يستحقونها، وحالّ عليهم ما يحذرون، هذا حالهم لا يخفى على أحد، وهم في هذا الخوف والجزع والرعب والإشفاق.

قال سيد قطب: "يَعرِض هؤلاء الظالمين في مشهد من مشاهد القيامة، يعرضهم مشفقين خائفين من العذاب وكانوا من قبل لا يشفقون، بل يستعجلون ويستهترون: {تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ واقِعٌ بِهِمْ} والتعبير العجيب يجعل إشفاقهم {مِمَّا كَسَبُوا} فكأنما هو غول مفزع وهو هو الذي كسبوه وعملوه بأيديهم وكانوا به فرحين! ولكنهم اليوم يشفقون منه ويفزعون {وَهُوَ واقِعٌ بِهِمْ} وكأنه هو بذاته انقلب عذابًا لا مخلص منه، وهو واقع بهم!"[2].

[1] ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (521/3)

[2] قطب، في ظلال القرآن (3153/5)

الدروس والقيم التربوية المستفادة

- لا بد للمؤمن حينما يتلو هذه الآية أن يتلوها بتدبر عميق، ويكررها مرة بعد مرة، ويقف عندها مليًا، فلا يستعجل بالانتقال إلى التي بعدها حتى يتعلم الدروس التي فيها، ويأخذ بالقيم التربوية المكنونة في أعماقها، فيحذر من أن يعمل بعمل الكافرين، حتى لا يكون حاله مثل حالهم في الكرب والإشفاق.
- كتاب الأعمال يوضع فيراه الجميع، فمن عمل خيرًا وجد ثوابًا عظيمًا، ومن فعل شرًا فلا يلومنّ إلا نفسه.
- كتاب الأعمال أحصى صغير الأعمال وكبيرها، فلا بد للمؤمن أن يحذر من الاستهانة بالذنب ولو كان صغيرًا، لأن محقرات الذنوب تجتمع على المرء فتهلكه، فاعتياد الصغائر يقود إلى الكبائر، وعدم المبالاة بذلك سبب الوقوع في الهلكة.
- المؤمن لا يعمل ما لا تحمد عقباه حتى لا يندم ويتحسر كما يتحسر الكافر يوم يرى ما فعله حاضرًا.
- لا يُنسب الظلم إلى الله تعالى، بل العدل المطلق عنده سبحانه، فهو تعالى حرّم الظلم على نفسه، وأمر عباده بألا يظلم بعضهم بعضًا. والله تعالى لا يؤاخذ أحدًا بجريرة أحد ولا وزره، ولا يبخس ثواب أحد ولا أجره.

رابعًا: فزع الكافرين من عذاب يوم القيامة

الفَزَع: الذُعْر والفَرَق[1]. وفَزَّعَه: "أَخافَه ورَوَّعَه"[2]. وهو: "انقباض ونفار يعتري الإنسان من الشيء المخيف"[3]. ويفسر علم النفس الفزع بأنه انفعال شديد يؤدي إلى نوبات فجائية تبدأ بإحساس شديد مرعب يصعب تفسيره والسيطرة عليه، وتكون هذه النوبات مصحوبة بصعوبة التنفّس ورعشة وغثيان، وإفرازات زائدة للعرق[4].

[1] انظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (1258/3)، ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم (529/1)، الفيروزآبادي، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (191/4)، الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس (496/21)

[2] ابن منظور، لسان العرب (251/8)

[3] الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن (ص: 635)

[4] انظر: محمد، جاسم محمد، علم النفس الإكلينيكي، ط1، مكتبة دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، 2004م، ص 271

ولقد ورد الأصل (فزع) وما يشتق منه لدلالة انفعالية في ستة مواضع من القرآن الكريم، أربعة منها في أمور الآخرة، حيث جاء مسندًا إلى الأحداث الجِسام العظيمة التي تذهل العقول، وتأخذ بالأفئدة من أهوال ذلك اليوم العظيم، وقد جاء الأصل بصيغتي الماضي والمصدر فقط.

فالفزع: "انفعال نفسي سلبي، يدل على شدة الخوف بحيث تظهر على الشخص المفزوع علامات مؤلمة، ويحدث بسبب دوافع خارجية مؤثرة ومفاجئة"[1].

قال تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُواْ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُواْ مِن مَّكَانٖ قَرِيبٖ ﴿٥١﴾ ﴾[سبأ:51]. هذه الآية الكريمة تُظهر مدى خوف الكفار وفزعهم حين معاينتهم عذاب الله تعالى، وهذا في وقت بعثهم، وخروجهم من قبورهم، يوم القيامة[2]، فلا سبيل لهم يومئذ للهرب، ولا أمل بالنجاة، حتى لو أرادوا ذلك فلن يستطيعوا، ولا يفوت منهم فائت، ولا يفلت منهم أحد، ولا ينجو منهم كافر ولا ظالم، ذلك اليوم الذي يأخذ بمجامع القلوب ويفزعها، ويسكت الألسنة ويخرسها، حيث يصور هذا المشهد انفعال الكافرين ونفوسهم الفزعة، وقلوبهم الخائفة، فلا صوت لهم من شدة الخوف، كما قال تعالى: ﴿ يَوْمَئِذٖ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُۥۖ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسٗا ﴿١٠٨﴾ ﴾[طه:108]، وهذا مشهد يُظهر انفعال الخائف الفزِع الذي يخرج من قبره، ويصف ملامحه الكئيبة الخاشعة الخائفة، وهو في جملة الذين يتبعون الداعي، في خضوع وفزع، فلا كلمة تُسمع، بل ولا يُنطق بها، من شدة الفزع، ويسود المكان صمت رهيب، وفزع عجيب، حيث خفضت الأصوات وخفتت، فلا تسمع إلاّ تحريك الشفتين همسًا، وصوت نقل الأقدام.

---

[1] ياسين، زين حسين، ألفاظ أحوال النفس وصفاتها في القرآن الكريم، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، 2009م. ص294

[2] انظر: الطبري، جامع البيان (424/20)، الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (258/4)، السمرقندي، بحر العلوم (96/3)، الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (592/3)، ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت: 597هـ)، زاد المسير في علم التفسير، (503/3)، المحقق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي –بيروت، ط1، 1422هـ، ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي البصري ثم الدمشقي، (ت: 774هـ)، تفسير القرآن العظيم –المحقق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2، 1420هـ–1999م، (528/6)

بينما المؤمنون يكونون في أمن وأمان من الفزع، لا يخافون ولا يفزعون، لأنهم أسلموا لله تعالى، وآمنوا به، وأطاعوه فيما أمر، واتبعوا المرسلين، وعملوا صالحًا، وسبقت لهم من الله الحسنى، قال تعالى: ﴿ لَا يَحۡزُنُهُمُ ٱلۡفَزَعُ ٱلۡأَكۡبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُۖ هَٰذَا يَوۡمُكُمُ ٱلَّذِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ١٠٣ ﴾ [الأنبياء:103]، وقال سبحانه: ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيۡرٞ مِّنۡهَاۖ وَهُم مِّن فَزَعٖ يَوۡمَئِذٍ ءَامِنُونَ ٨٩﴾[النمل:89].

الدروس والقيم التربوية المستفادة

- المؤمن في مأمن يوم القيامة، لا يفزع، ولا يخاف، ولا يحزنه الفزع الذي يصيب الكافرين يوم البعث من القبور، وفي ساحات الحساب.
- على المؤمن أن يعمل الصالحات، ويُكثر من أنواع الطاعات، التي تزيد الحسنات، وترفع الدرجات، وتثقّل الموازين، حتى يطمئن قلبه، فلا يخاف ولا يجزع، لأنه في أمان من الله تعالى، ومن كان كذلك يوم القيامة فلا يفزع، ولا يخاف، بل مُنح الطمأنينة والسلام والنجاة والراحة الأبدية.

خامسًا: خشوع وجوه الكافرين وأبصارهم من شدة الخوف

قال تعالى: ﴿وَتَرَىٰهُمۡ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرۡفٍ خَفِيّٖۗ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَأَهۡلِيهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِي عَذَابٖ مُّقِيمٖ ٤٥﴾[الشورى:45]

هذا الخطاب موجّه للنبي صلى الله عليه وسلم، أن يرى حال الكافرين يوم القيامة، أي: وترى يا محمد الظالمين يعرضون على النار {خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ} يقول: خاضعين متذللين، والخشوع: "الخوف والخشية لله، أي: قد أذلهم الخوف الذي نزل بهم، وخشعوا له"[1]. خاضعة أجسامهم للذل والعار والهوان، بسبب ما أسلفوا في الدنيا من العصيان، ومخالفة أمر الله تعالى، أذلهم الخوف الذي حلّ بهم، وأسكتهم الرعب الذي نزل بهم، يُساقون إلى النار، خاضعين من الحزن ساكتين ذليلين حقيرين مهانين، ينظرون إليها من طرف خفي،

[1] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (16/1)

مسارقة، يسرقون إليها النظر، من شدة الذل والخوف والانكسار، من طرف ذليل ضعيف، "ووصفه الله جلّ ثناؤه بالخفاء للذلة التي قد ركبتهم، حتى كادت أعينهم أن تغور، فتذهب"[1]. لا يجرؤون على فتح أعينهم كاملة، إنما ينظرون ببعضها خوفًا وإشفاقًا، وهذا شأن الرهبة من العقاب، وما هذا الانفعال المركب الذي يعتريهم، ويظهر عليهم، إلا لشدة هولهم وفزعهم في ذلك اليوم حيث لا يرفعون رؤوسهم، ولكنهم ينظرون نظر التلصص والتغفل، "قد غضوا أبصارهم من الذل"[2]، كما ترى المصبور –أي المحبوس للقتل– "ينظر إلى السيف، وهكذا نظر الناظر إلى المكاره: لا يقدر أن يفتح أجفانه عليها ويملأ عينيه منها، كما يفعل في نظره إلى المحاب"[3]، "وجملة ينظرون من طرف خفي في موضع الحال من ضمير خاشعين لأن النظر من طرف خفي حالة للخاشع الذليل، والمقصود من ذكرها تصوير حالتهم الفظيعة"[4].

لا تنفعهم ندامة، ولا تُسعفهم نجدة، ولا تُقبل لهم شفاعة، ولا تُسمع لهم دعوة، قد استنزفوا كل ما بوسعهم من الوسائل للنجاة، ولكن محاولاتهم باءت بالفشل والخسران الكبيرين، فوجوههم مسودة، كالحة، ذليلة، يعلوها الخشوع والذل والهوان، يتوقعون نزول العذاب كل لحظة عليهم، ولذلك يسرقون النظر إلى النار لما هم فيه من سوء الحال، ينظرون إليها بأنصاف عيونهم أو أقل، خوفًا منها، وذلة في نفوسهم وصغارًا، لأنهم حتمًا واقعون فيها، كما قال تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ۝٢ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝٣ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ۝٤ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ۝٥﴾[الغاشية: 2-5]، لأنهم قد سمعوا حسيسها، وزفيرها، من بعيد، قبل أن يصلوا إليها، كما قال تعالى: ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ۝١٢﴾[الفرقان:12].

وكذلك هي أبصارهم خاشعة خاضعة ذليلة، منكسرة من شدة الخوف والأهوال، ومن الخزي والهوان والصَّغار، تغشاهم المذلة عند معاينة العذاب، كما قال عز وجل: ﴿خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ

[1] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (554/21)
[2] الماتريدي، تأويلات أهل السنة (136/9)
[3] الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (231/4)
[4] ابن عاشور، التحرير والتنوير (127/25)

سَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [القلم:43]، وكقوله تعالى: ﴿خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۚ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمُ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾﴾[المعارج:44]، وقوله سبحانه: ﴿قُلُوبٞ يَوۡمَئِذٖ وَاجِفَةٌ ﴿٨﴾ أَبۡصَٰرُهَا خَٰشِعَةٞ ﴿٩﴾﴾[النازعات:8-9].

والخشوع في البصر الخضوع والخفض والسكون وإظهار الذل والذلة، وأضاف الخشوع إلى الأبصار لأن أثر العز والذل يتبين في ناظر الإنسان[1]. والذلة: "الحالة في النفس تبدو وتظهر من الأبصار"[2]. "ونسبة الخشوع إلى الأبصار لظهور أثره فيها"[3]، فلا يرفعون أبصارهم للنظر رفعًا تامًا، لأنهم ناكسو الرؤوس. "والعرب تصف الذليل بغض الطرف، كما يستعملون في ضده حديد النظر إذا لم يتهم بريبة"[4]. ولأن "الخشوع هو الخوف الدائم اللازم في القلب، دل هذا أن الخشوع هو آثار ذلّ من خوف يظهر في الوجه والجوارح كلها"[5]. قد أحاطت الذلة بهم من كل جهة، حتى أثرت في العيون والوجوه، إنه ذل الحسرة والندامة، والتأسف الكبير ولكن بعد فوات الأوان، حيث يساقون إلى النار، تغشاهم الذلة والمهانة والكآبة، ويعلوهم الانكسار والسواد والكسوف، منخفضة رؤوسهم، خاشعة أبصارهم، من شدة خوفهم وفزعهم.

الدروس والقيم التربوية المستفادة

- الخسارة الكبرى هي خسارة النفس والأهل يوم القيامة، لأنها الخسارة الفادحة، التي هي أكبر الخسارات، فالخاسر يخسر أقرب الناس إليه وأحبهم إلى قلبه، فلا خسارة أشد منها، حيث أنهم مخلدون في النار، فالواجب على أهل الإيمان أن يعملوا جادين في الطاعات والأعمال الصالحات، ويعلّموا أهليهم العبادات ويعينوهم عليها، ويحرصوا على أن يؤدوها، ويصبروا على ذلك صبرًا جميلًا، كما قال تعالى: ﴿وَأۡمُرۡ

[1] انظر: الرازي، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) (293/29)، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (129/17)، ابن عجيبة، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (المتوفى: 1224هـ)، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، (228/5)، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الدكتور حسن عباس زكي –القاهرة، 1419هـ، من دون ذكر الطبعة

[2] الماتريدي، تأويلات أهل السنة (217/10)

[3] أبو السعود، محمد بن محمد بن مصطفى (ت: 982هـ)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (18/9)، دار إحياء التراث العربي –بيروت، ابن عجيبة، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد (115/7)

[4] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (45/16)

[5] الماتريدي، تأويلات أهل السنة (451/7)

أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَاۖ لَا نَسۡـَٔلُكَ رِزۡقٗاۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكَۗ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلتَّقۡوَىٰ ١٣٢﴾[طه:132]، حتى ينجوا جميعًا من عذاب النار، وقد أطاعوا أمره سبحانه حينما قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ٦﴾[التحريم:6]. وقوله: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُۖ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ٢٤﴾[البقرة:24]

- خشوع الكافرين هنا خشوع ذلّ، وليس خشوع طاعة وتعظيم لله جل وعلا، لأن ذلك لم يكن من شأنهم في الدنيا[1].
- الآية فيها لفتة مهمة إلى الحذر من اقتراف المعاصي، والتمادي فيها، ودعوة إلى إنقاذ النفس والأهل من النار حتى لا يقفوا في موقف الذل والإهانة التي يقفها الكافرون.
- استعلاء أهل الإيمان يوم القيامة، وعلوهم وشموخهم، بينما أهل الكفر في موقف الذل والمهانة والخسران.

[1] انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (127/25)

الفصل الثالث

انفعال الندم عند الكافرين في القرآن الكريم

المبحث الأول: معنى الندم ودلالاته في السياق القرآني

المطلب الأول: الندم في اللغة

الندم: "النون والدال والميم كلمة تدل على تَفَكُّنٍ[1] لشيء قد كان"[2]. والندم هو الأسف والحزن والتحسر على ما فات. "ونِدِمَ على ما فعل ندمًا إذا حزن أو فعل شيئًا ثم كرهه"[3]، وتندَّم: أسِفَ[4]. "والتندُّم: التحسّر، وهو أن يتّبع الإنسان أمرًا ندمًا"[5]. والحسرة: "أن يركب الإنسان من شدة الندم ما لا نهاية بعده"[6]. "وحقيقة الندم أن يلوم نفسه على تفريط وقع منه، وقيل: غم يصحب الإنسان يتمنى أن ما وقع منه لم يقع"[7]، أي: الشعور بالذنب والألم النفسي يعد رجوعًا عن هذا الذنب، فإذا ندم المرء على ما فعل يعني أنه أسِف وحزِن وتاب.

يتبين مما سبق أن الندم في اللغة هو الأسف، والتحسر، والحزن على فعلٍ ما، والتوبة منه.

المطلب الثاني: الندم في الاصطلاح

المعنى الاصطلاحي للندم هو التأسف والتحسر، فقد عرّفه الجرجاني أنه "غم يصيب الإنسان، ويتمنى أن ما وقع منه لم يقع"[8]. وقريب منه قول الزمخشري حيث عرّفه بأنه "من الغم اللازم إذ يندم صاحبه لما يعثر

---

[1] التفكُّن: التندُّم [جمهرة اللغة (2/ 969)]، وهو التَّلَهُّفُ على ما فات. [تهذيب اللغة (10/ 155)]

[2] ابن فارس، مقاييس اللغة (411/5)

[3] الفيومي، أحمد بن محمد بن علي الحموي، (ت: نحو 770هـ)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المكتبة العلمية –بيروت، من دون ذكر الطبعة والسنة، (598/2)

[4] ينظر: ابن منظور، لسان العرب (572/12)، الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس (485/33)، الفيروزآبادي، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (31/5)

[5] الفراهيدي، كتاب العين (53/8)

[6] ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم (181/3)

[7] الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس (485/33)

[8] الجرجاني، كتاب التعريفات (ص: 240)

عليه في العاقبة من سوء آثاره"[1]. وقد عرّفه الراغب الأصفهاني بأنه التحسر من تغيّر رأي في أمر فائت، وذكر قوله تعالى: ﴿فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ﴾[المائدة:31] وقوله: ﴿قَالَ عَمَّا قَلِيلٖ لَّيُصۡبِحُنَّ نَٰدِمِينَ﴾[المؤمنون:40] ثم قال: "وأصله من مُنادمة الحزن له"[2].

فالندم تحسّر القلب وتأسفه وتوجعه على أمر قد فات تمنى صاحبه لو لم يفعله، لما يرى من سوء عواقبه وآثاره.

المطلب الثالث: الندم في السياق القرآني

وردت لفظة الندم سبع مرات[3] في القرآن الكريم، وكلها بمعنى التأسف والحسرة والتوجع على ما فات، وفي القرآن الكريم وردت ألفاظ قريبة من الندم تحمل معناه وهي: الحسرة، الأسف، السقوط في اليد وتقليب الكفين.

المطلب الرابع: الندم عند علماء النفس

الندم: "حالة انفعالية تنشأ عن شعور الإنسان بالذنب، وأسفه على ارتكابه، ولومه لنفسه على ما فعل، وتمنيه لو أنه لم يفعل ذلك"[4]. وهو: "شعور بالأسى على ما ارتكبه الشخص، وهو مصطلح مكافئ لوخز الضمير"[5]. فالندم يرتبط ارتباطًا وثيقًا بالشعور بالذنب، "والشعور بالذنب حالة نفسية تتضمن مشاعر الأسف والندم والضيق والحزن مصحوبة بلوم الذات او تأنيبها أو إدانتها ناجم عن أفعال أو تصرفات قام بها الفرد يرى أنها كانت خاطئة أو مشينة، أو إخفاق في تحقيق غاية أو هدف فاتت عليه فرصة"[6].

---

[1] الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، (ت: 538هـ)، الفائق في غريب الحديث والأثر، تحقيق: علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة –لبنان، ط2، (418/3)

[2] الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن (ص: 796)

3 ستة في سياق الحديث عن الكافرين، وهي في المواضع الآتية: [المائدة: 31]، [المائدة: 52]، [يونس: 54]، [المؤمنون: 40]، [الشعراء: 157]، [سبأ: 33]، ومرة واحدة في سياق تنبيه المؤمنين [الحجرات: 6]

[4] نجاتي، محمد عثمان، القرآن وعلم النفس ص104

[5] طه، فرج عبد القادر، موسوعة علم النفس والتحليل النفسي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 2009م، ص790

[6] صالح، قاسم حسين، الشعور بالذنب وعلاقته بالأمراض النفسية الجسمية المظهر: بحث ميداني –بحث محكم، جامعة بغداد -كلية الآداب، مجلة الآداب، ع 61، 2002م، ص11

وبناء على ما سبق من تعريفات فإن الندم عند علماء النفس حالة انفعالية عميقة، تبدو آثارها على الشخص، لها علاقة كبيرة بالشعور بالذنب والأسى من قبل الشخص النادم، بحيث يجعله يتأسف على فعل خطأ بدَرَ منه، فيحصل له حزن مصحوب بالتأنيب، وهذا بحد ذاته قيمة مهمة وضرورية في محاسبة النفس وتقويمها.

المبحث الثاني: مشاهد انفعال الندم عند الكافرين في السياق القرآني

المطلب الأول: ندم قوم صالح لما عقروا الناقة

قال تعالى: ﴿فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ ﴿١٥٧﴾﴾[الشعراء:157]

ندمهم هنا في الدنيا قبل الآخرة، حينما خالفوا أمر الله تعالى، وعصوْا نبيهم صالحًا عليه الصلاة والسلام، وعقروا الناقة التي نُهوا عن إساءتها، وقد أُمروا بألا يتعرضوا لها ولا يمسوها بسوء، ويتركوها تأكل من أرض الله تعالى، وتشرب في يومها المعلوم، فلما ظلموا أنفسهم وعقروها ندموا على عقرها، فأصبحوا نادمين، ولم ينفعهم ندمهم، لأن الله تعالى أخذهم بعذاب أليم.

وقد ذكر الله تعالى قصتهم في أكثر من موضع في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ هَٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾﴾[الأعراف:73]، وقال سبحانه: ﴿وَيَا قَوْمِ هَٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ۖ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴿٦٥﴾ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴿٦٧﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا ۗ أَلَا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ ﴿٦٨﴾﴾[هود:64-68]، وقال سبحانه: ﴿قَالَ هَٰذِهِ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٦﴾ فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ ﴿١٥٧﴾ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٥٩﴾﴾[الشعراء:155-159].

وندمهم كان بعد فوات الأوان عند معاينة العذاب، حيث لا ينفع الندم ولا تنفع التوبة عند نزول العذاب أو هجوم الموت وتحققه، كما قال تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ

ٱلۡمَوۡتُ قَالَ إِنِّي تُبۡتُ ٱلۡـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمۡ كُفَّارٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾[النساء:18].

وقال صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُ تَوْبَةَ العَبْدِ مَا لَمْ يُغَرْغِرْ)[1]. قال الزمخشري: "ندموا ندم تائبين ولكن في غير وقت التوبة، وذلك عند معاينة العذاب"[2]. وقال القرطبي: "وندموا ولم ينفعهم الندم عند معاينة العذاب"[3].

الدروس والقيم التربوية المستفادة

- الندم هو التحسر على ما فات، أي الشعور بالذنب والألم النفسي يعد رجوعا عن الذنب.
- الندم تحسّر القلب وتأسفه وتوجعه على أمر قد فات تمنى صاحبه لو لم يفعله، لما يرى من سوء عواقبه وآثاره، وهو شعور بالأسى على ما ارتكبه الشخص، وهو مصطلح مكافئ لوخز الضمير.
- الندم حالة انفعالية عميقة، تبدو آثارها على الشخص، لها علاقة كبيرة بالشعور بالذنب والأسى من قبل الشخص النادم، بحيث يجعله يتأسف على فعل خطأ بدر منه، فيحصل له حزن مصحوب بالتأنيب، وهذا بحد ذاته قيمة مهمة وضرورية في محاسبة النفس وتقويمها.
- الندم لا ينفع بعد فوات الأوان، ولا تنفع التوبة عند معاينة العذاب، أو هجوم الموت وتحققه.
- يجب على المؤمن أن ينظر إلى أحوال الأمم السابقة فيأخذ العبر والدروس، فيتعظ ويعتبر، حتى لا يصيبه ما أصابهم من العذاب، فيندم حيث لا ينفع الندم.
- على المؤمن أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ولا يترك ذلك في حال الاستطاعة والقدرة، وعدم السكوت عن المنكرات الشائعة في المجتمعات، فإن المنكر ينتشر فيها كانتشار الهشيم في النار، فإذا وقع ولم يكن من يوقفه وينكره ويحذّر منه، نزل العقاب على الجميع، وكانوا شركاء في العذاب الأليم،

---

[1] الترمذي، سنن الترمذي، كتاب الدعوات، باب في فضل التوبة والاستغفار وما ذكر من رحمة الله بعباده حديث رقم (3537)، (438/5)، وقال: حديث حسن غريب، وحسنه الألباني، انظر: الألباني، صحيح الجامع الصغير وزيادته، رقم (1903)، (386/1)، الألباني، صحيح وضعيف سنن الترمذي، برنامج منظومة التحقيقات الحديثية، المكتبة الشاملة، من دون ذكر السنة والطبعة (37/8)

[2] الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (329/3)

[3] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (131/13)، وانظر: الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله اليمني (ت: 1250هـ)، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، ط1، 1414هـ، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب –دمشق، بيروت، (130/4)، قطب، في ظلال القرآن (2612/5)

فالذين خططوا لعقر الناقة مجموعة صغيرة، والمنفّذ للجريمة واحد، ولكن العقاب شمل القوم جميعهم، ذلكم لأن أثر المعصية يعم القرى والمدائن.

- المؤمن ينصح إخوانه، فهو لهم ناصح أمين، إذا رأى خطأ من أحدهم نبّهه، وأرشده، وذكّره، وأمره بالخير والمعروف، ونهاه عن الشر والمنكر، ولا يكون كقوم صالح الذين لم يجرؤوا على نصح الرهط الذين تآمروا على عقر الناقة، فلما تركوا التناصح ورضوا بالمنكر هلك القوم، وأصبحوا نادمين، وفي ديارهم جاثمين.
- من يتق الله تعالى، ويتبع المرسلين، ينجو من العذاب، ويجعل الله له مخرجًا، وينصره على أعدائه، ولو بعد حين.
- من يتجرأ على مخالفة أمر الله تعالى، ويصد الناس عن اتباع الأنبياء ويكذّبهم، ويغتر بقوته وماله ومؤيديه، فالعقوبة الموجعة جزاؤه، والعذاب الأليم عقابه عاجلًا أم آجلًا.
- على الدعاة توطين أنفسهم على مواجهة الاتهامات والشائعات التي يطلقها المخالفون للدعوة، فيتسلح بالصبر والإيمان والتوكل، فيواجه التكذيب والتشهير والتنفير باحتساب الأجر عند الله تعالى، حتى يأتي الله بأمره، ويقضي أمرًا كان مفعولًا.
- على الداعية أن يرقى في تعامله مع القرآن الكريم، ويعيش معه في كل آية من آياته، وقصة من قصصه، فيعلم ويوقن أنه مهما بلغت قوة أعداء الرسالة السماوية، ومهما سادت دولتهم، وملكت الجيوش الكثيرة، وتمتعت بقوة اقتصادية وعسكرية وعمرانية، فإن عاقبتها إلى زوال، ومآلها إلى دمار وخراب.
- الداعية المستقيم لا يتأثر ولا يتغيّر بتغيّر نظرة الناس إليه، فهو ثابت على صراط مستقيم، ومنهج قويم، فنبي الله صالح عليه السلام كان مرجوًا فيهم قبل أن يدعوهم، وكان عزيزًا ذا مكانة عظيمة، فلما دعاهم إلى عبادة الله وحده وطاعته تغيرت نظرتهم تجاهه، وبدلوا رأيهم فيه، لكنه لم يعبأ برأيهم، ولم يتراجع عن دعوته ولم يخذلها ولم يتركها إرضاء لهم، حتى تبقى مكانته محفوظة عندهم، فعلى الداعية أن يعي ذلك.

وللداعية هنا أن يقرأ سِيَر الصادقين مع الله تعالى، المتمسكين بدينهم، الثابتين على دعوتهم، كقصة إسلام عبد الله بن سلام رضي الله عنه[1].

المطلب الثاني: ندم صاحب الجنتين

الآية: قال تعالى: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصۡبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيۡهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُشۡرِكۡ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا ٤٢﴾[الكهف:42]

تقليب الكفين: أي ضرب أحدهما بالآخر، وهو كناية عن الندم والتحسر[2]، وهو من فعل الأَسِف النادم[3].

ولم يرد مشهد في تقليب اليدين في القرآن الكريم إلا مرة واحدة، في الآية الكريمة المذكورة من سورة الكهف، عند ذكر قصة صاحب الجنتين.

وهذا الشخص أنعم الله تعالى عليه ورزقه جنتين من أعناب يحيط بهما أشجار النخيل وفجّر الله خلالهما نهرًا، وقد أثمرت الجنتان ثمرًا طيبًا، وأعطت محصولًا كبيرًا، ولما رأى هذا الخير والنعيم اغتر وتكبّر، وكان يتملكه الشعور بالفوقية، ونسب كل ما تراه عيناه من الخير والنعم إلى نفسه، ولم يُرجِع الفضل إلى الله تعالى المُنعم المتفضل المعطي، وظنّ أن كل ذلك لن يبيد ولن يزول، بل وأنكر قيام الساعة والبعث، ووصل به الأمر بأن يدعي أنه إذا رُدّ إلى الله تعالى فستكون له المكانة العالية، والمنزلة الرفيعة، وسيجد أفضل مما عنده الآن من الجنتين.

---

[1] انظر: البخاري، صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب خلق آدم صلوات الله عليه وذريته (3329)، (132/4)

[2] انظر: الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، (ت: 538هـ)، أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط1، 1419هـ-1998م، دار الكتب العلمية، بيروت -لبنان (95/2)، الكفوي، الكليات (ص: 992)، مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة (1848/3) و(1945/3)، أبو حبيب، سعدي، القاموس الفقهي لغة واصطلاحًا، ط2، دار الفكر. دمشق -سورية، 1408هـ-1988م، (ص: 321)

[3] انظر: الفيروزآبادي، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (288/4)

إنه الغرور الذي أعمى قلبه، والكِبر الذي كان يستحق به العقاب السريع، فأرسل الله تعالى على جنتيه الهلاك الذي دمّرهما وأهلكهما، وأتلف ثمارهما، وغار النهر في باطن الأرض، فلما رأى ذلك الكافر ندم على كفره وغروره فأصبح يقلب كفيه ظهرًا لبطن، ويصفق بيديه، حسرة وأسفًا وندمًا على خسارته وذهاب نفقته.

وقد ذكر كثير من المفسرين[1] في تفسير الآية أن تقليب الكفين كناية عن الندم والتحسر، فإن مَن عظمت حسرته يصفق بإحدى يديه على الأخرى، ولأنّ النادم يقلب كفيه ظهرًا لبطن، كما كنّى عن ذلك بعضّ الكف والأصابع، والسقوط في اليد، وهي فعلة النادم المتحسّر على شيء قد فاته، المتأسف على فقدانه.

الدروس والقيم التربوية المستفادة

- المؤمن دأبه وهمّه الدعوة إلى الله تعالى، وتذكير الناس بعبادة الله وطاعته، فينصح غيره ويرشدهم إلى الخيرات، ويحثهم على الأعمال الصالحات، ويصحح اعوجاجهم، ويعِظهم كي تصلح قلوبهم، فتستقيم أعمالهم، وتقوّم سلوكياتهم، فهو يقوم بدور الدعاة والمصلحين الناصحين الصادقين، ولا يتخلى عن دعوة غيره ولو كان عاصيًا أو مقصرًا، فيحاوره بأدب وحكمة، ويحاول تغيير المنكر بقدر استطاعته.
- المؤمن يعلم جيدًا أن المال مال الله تعالى، يعطيه من يشاء، وينزعه ممن يشاء، وقت ما يشاء، وكيفما يشاء، بأي وسيلة شاء، فالنِّعم ملك لله تعالى وحده، وهي وديعة يضعها في يد من يريد سبحانه وتعالى.
- المؤمن يتعظ ويعتبر من حال من غرّته الأموال، وخدعته زينة الحياة الدنيا، وهذا يقوده لطاعة الله تعالى، والزهد في الدنيا وملذاتها، وعدم التعلق والتمسك بها، وتسخير نِعم الله فيما يريد الله تعالى.

---

[1] انظر على سبيل المثال: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (27/18)، الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (724/2)، الرازي، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) (465/21)، البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي (ت: 685هـ)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (282/3)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1418هـ، النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين (ت: 710هـ)، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، ط1، 1419هـ-1998م، دار الكلم الطيب، بيروت، (302/2)، أبو حيان، محمد بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت: 745هـ)، البحر المحيط في التفسير، (139/7)، تحقيق: صدقي محمد جميل، 1420هـ، دار الفكر، بيروت، من دون ذكر الطبعة، أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (223/5)

- المؤمن مهما بلغت ثروته وأمواله فإنها لا تطغيه، ولا تلهيه، ولا تصده عن ذكر الله تعالى، وشكره وطاعته، فهو الذي يمد بالنعم، ويزيدها بالشكر.
- المؤمن يعلم أن الله تعالى قد ينعم على العبد ليبتليه ويختبره، هل يشكر؟ أم يكفر؟ فالأموال والثروات والبساتين وسائر التجارات قد تكون محل اختبار وابتلاء للعبد، فليحذر المؤمن من معصية الله تعالى، لأن عاقبة العصيان موجعة أليمة، تجعل العاصي يندم في وقت لا ينفع الندم، وبعد فوات الأوان.
- المؤمن يفتخر بإقرار الربوبية والألوهية لله تعالى، وانتسابه إلى الإسلام، وطاعته لربه وعبادته له، حتى لو افتخر غيره بالمال والولد والعشيرة والثروة والمنصب، فالمؤمن قوي بالله ولو كان ضعيفًا، عزيز بالله ولو كان وحيدًا، غني بالله ولو كان فقيرًا.
- أعظم النعم نعمة الإيمان بالله تعالى، واتباع الرسل عليهم الصلاة والسلام، والتوفيق للأعمال الصالحة، واجتناب المحارم وما يغضب وجه الله تعالى، وكل ذلك متعلق بالآخرة، والآخرة باقية لا تزول ولا تبيد.
- كل النعم المادية معرضة للزوال والتلف؛ مهما عظمت وكثرت وكبرت، لأنها جاءت مصاحبة للحياة في الدنيا، والحياة الدنيا زائلة، ويزول معها كل ما كان متعلقًا بها.
- كفران النعم وعدم إخراج حق الله تعالى منها سبب محقها، وذهاب بركتها.
- المؤمن عزيز بإيمانه، قوي بإسلامه، ثابت على عقيدته، ولو كان فقيرًا معدمًا، لا يتمنى لغيره زوال النعمة، ولا يحسده عليها، ولا يتغيّر موقفه، فهو ناصح أمين للجميع، يقول الحق ولو كان مرًا، أو لا يُرضي الآخرين، ومع ذلك فهو يعِظ ويدعو بالحكمة واللطف والشفقة والموعظة الحسنة.
- المال وسيلة وليس غاية؛ وسيلة يحفظ الإنسان به كرامته، ويتعفف عما في أيدي الناس، ويُحسّن مستوى معيشته، ويقضي به حوائج المحتاجين، وينفقه في وجوه الخير الكثيرة، ويطرق به أبواب الإحسان والبر، وليس غاية للكنز والتعالي، فيصبح همه الاستكثار والازدياد، فيوصله إلى الشقاء والتعاسة، وقد تعس عبد الدرهم والدينار، لأنه يقضي حياته يجمع ثروته وأمواله، بينما المؤمن صاحب المنهج القويم لا

يتأثر بغنى ولا فقر، فتستوي عنده كثرة الأموال وقلتها، فهو يعبد الله تعالى في الحالتين، متعلق به في كل زمان ومكان.

- من ينكر نعم الله تعالى يظلم نفسه، لأن الله تعالى غني عنه، وعن العالمين، والناس فقراء ولو اجتمعوا أجمعين، وهو يعرّض نفسه للمقت والغضب والهلاك.
- الرضى بالقليل مع الإيمان والتقوى والتوكل، خير من الاغترار بالكثير الذي يقود للكِبْر والتعالي، وليست قلة المال دليلًا على الإهانة والإقصاء.
- الكبر والتكبر من أبغض الصفات وأشنعها، وهذه الصفة مدعاة لاحتقار الغير، والاستهانة بهم، واستعظام النفس والاعتداد بها، وإنزالها فوق منزلتها، والنظر إلى الناس من علو، ولأجل ذلك فهي آفة عظيمة، وسبب كل بلية، ومفتاح كل شر وشقاء، فالمؤمن يترفع عن الاتصاف بهذه الصفة، لأنه متواضع لأهله وإخوانه وللمسلمين، رحيم بهم، ولا يتكبر عليهم.
- العُجب الذي أصاب صاحب الجنتين كان وبالًا عليه، فهو الذي أورده المهالك، حيث ركن إلى النعمة، ولم ينسبها إلى الله تعالى، فسلبه الله تعالى النعمة التي كان مغترًا ومعجبًا بها، وسببه كبْره، فلم يستمع لنصيحة ولم يتأدب مع الله تعالى، والأصل: "مجانبة الكبر والإعجاب لأنهما يسلبان الفضائل، ويكسبان الرذائل. وليس لمن استوليا عليه إصغاء لنصح، ولا قبول لتأديب"[1]، فالمؤمن لا يتصف بالعجب ولا بالغرور، بل يردّ الفضل إلى الله تعالى، ولا يركن لقوته وعلمه وماله وثروته وجنوده وولده.
- كثرة الأموال والأولاد لا تعني محبة الله تعالى للعبد ولا دليلًا على الإكرام، بل قد يكون استدراجًا له، فإذا تمادى ولم يتب، أخذه الله تعالى، وأخذُهُ أليم شديد، والله سبحانه يُعطي الدنيا لمن يحب ومن لا يحب، ولا يعطي الدين والإيمان والآخرة إلا من يحب.
- الابتلاء بالغنى قد يسقط فيه كثير من الناس، ولا يعبرون هذه القنطرة بسلام، لأنه أشد من الابتلاء بالفقر، فالله تعالى يبتلي كثيرًا من الناس بالنعم، فيفتح لهم أبوابًا كثيرة منها، حتى يألفوها، ويعتادوا

[1] الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، (ت: 450هـ)، أدب الدنيا والدين، دار مكتبة الحياة، 1986م، بدون ذكر الطبعة، (ص: 236)

عليها، ويتقلبوا في ملذاتها، مما يورثهم الغفلة، ويُنسيهم شكرها، فيستعينون على الذنوب بها، فيتجرؤون على فعل ما يُغضب الله تعالى، لأن طبيعة بعض الناس يبتعدون عن منهج الله تعالى وقت الرخاء والسراء والسعة، وينهمكون في اقتراف المعاصي، ولا يذكرون الله تعالى إلا عند المحن والشدائد والضر، فيجأرون بملء أفواههم، ويندمون بعد فوات الأوان.

المطلب الثالث: ندم المنافقين على فوات الغنيمة

قال تعالى: ﴿ وَلَئِنْ أَصَٰبَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ ٱللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُنۢ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُۥ مَوَدَّةٌ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٣﴾ ﴾[النساء:73]

هذا خبر عن المنافقين، أنهم يندمون على فوات الغنيمة إذا انتصر المسلمون على أعدائهم وأصابوا منهم، ومنّ الله تعالى عليهم بالنصر والظفر، وندم المنافقين وتحسّرهم الشديد على فوات الغنيمة، وليس لتخلفهم عن الجهاد في سبيل الله تعالى.

عن مقاتل بن حيان قال: "المنافق نادم في التخلف، يتمنى يا ليتني كنت معهم"[1]. فيقول هذا المنافق قول نادم حاسد لو كان معهم في الغزوة حتى يفوز فوزًا عظيمًا ويأخذ نصيبًا وحظًا وافرًا من الغنيمة[2]. قال القرطبي: "وقول المنافق (يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ) على وجه الحسد أو الأسف على فوت الغنيمة"[3].

[1] انظر: ابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي (ت: 327هـ)، تفسير القرآن العظيم، (1000/3)، تحقيق: أسعد محمد الطيب، ط3، 1419هـ، مكتبة نزار مصطفى الباز –المملكة العربية السعودية

[2] انظر: الثعلبي، أحمد بن محمد بن إبراهيم (ت: 427هـ)، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، (343/3)، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، ط1، 1422هـ–2002م، دار إحياء التراث العربي، بيروت –لبنان، البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن (662/1)، الشوكاني، فتح القدير (562/1)، القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق (ت: 1332هـ)، محاسن التأويل، (222/3)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط1، 1418هـ، دار الكتب العلميه –بيروت

[3] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (277/5)

الدروس القيم التربوية المستفادة

- المؤمن لا يتأخر عن الجماعة المؤمنة ولا عن برامجها ومشاريعها وفعّالياتها إلا لعذر قاهر، أو مرض يمنعه ويحبسه عن الخروج معهم، والانخراط في صفوفهم، ويعتذر لقائده ومسؤوله عن ذلك.
- المؤمن يعتبر نفسه أنه هو الوحيد في الميدان، وهو الوحيد الواقف على الثغور، وأن المسؤولية ملقاة عليه، وأنه المُكَّلف الأول لإنجاز المهمات، ونجاح المشاريع والفعّليات موقوف عليه، فإن تأخر فشل العمل، وخسرت الدعوة كثيرًا، وحلّ محلها قوم أخرون، وهذا شعور كل فرد من أفراد الجماعات المؤمنة، والحركات الإسلامية الثابتة، والمجموعات الإيمانية المستقيمة، فلو تأخر الجميع لانهارت الجماعات، وتصدع بنيانها، وتزعزعت أركانها، وخارت قوتها، وكانت آيلة للسقوط.
- المؤمن لا يقاتل أو يشارك أو يخدم من أجل الغنائم أو الهبات أو الهدايا أو العطايا، بل من أجل أن ينال رضوان رب العالمين، ولتكون كلمة الله هي العليا، وليكون الإسلام هو الحاكم والمشرع وصاحب السلطة والقانون.
- المؤمن لا يندم على مشاركته في الفعّاليات والبرامج إذا لم يحصل على مقابل كمنصب أو مكسب دنيوي زائل، ولا يتحسر إذا لم يُعطَ من الغنائم والمناصب والوظائف، ولا يتشوّف لذلك.
- المؤمن همه الأكبر مرضاة الله عز وجل، ويجاهد نفسه بالطاعات حتى لا يتخلف عن ذلك، فإن حصل منه تقصير أو تأخير ندم وتحسّر، وتاب واستغفر.
- المؤمن كبير الهمة، لا يتمنى أمنيات صغيرة، بل يتطلع إلى المعالي، وينظر إلى القمم، وأمنياته تحوم حول النجوم، ولا يكون كالذين أمنياتهم صغيرة، ويتحسرون على العرض الزائل، ويندمون على عدم حصولهم على الفتات الذي يتلف وينتهي بعد ساعة أو اثنتين.

المطلب الرابع: الندم على إنفاق المال للصدّ عن سبيل الله

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾[الأنفال:36]

هذا مشهد من مشاهد الندم للكافرين الذين ينفقون أموالهم ليحاربوا الإسلام ويصدوا عن سبيل الله تعالى بكل محفل وكل مجمع وتجمع، بشتى الوسائل والسبُل، وعلى رأسها إنفاق الأموال الطائلة من أجل إطفاء نور الله تعالى، وإعلاء كلمة الكفر، وإخماد صوت الدعوات والدعاة، ستكون عليهم هذه الأموال حسرة وندامة وخيبة، لأنهم خسروا أموالهم فلم ينتفعوا بها، ولم تتحقق غاياتهم وأمنياتهم ورغباتهم فغُلبوا في الدنيا وهُزموا، ويوم القيامة يُحشرون إلى جهنم للعذاب.

قال الطبري: "فأعظم بها حسرة وندامة"[1]. ومما قاله الماوردي في تفسيره: "يكون إنفاقها عليهم حسرة وأسفًا عليها"[2]. أي: "تكون عاقبة إنفاقها ندمًا وحسرة، فكأنّ ذاتها تصير ندمًا وتنقلب حسرة"[3]. قال الحسن: "أشد الناس حسرة يوم القيامة من يرى ماله في ميزان غيره {وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ}"[4]. وقال إبراهيم التيمي: " من الحسرات يوم القيامة أن يرى الرجل مالَه الذي آتاه الله عز وجل يوم القيامة في ميزان غيره قد ورثه وعمل فيه بالحق كان له أجره وعلى الآخر وِزْرُه"[5].

الدروس والقيم التربوية المستفادة

- المؤمن ينفق ماله في سبيل نشر دين الله تعالى بين الناس، ويحتسب ذلك عند الله عز وجل، وله الثواب الكبير، والفضل العظيم، والأجور الكثيرة، والدرجات الرفيعة.

---

[1] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (529/13)

[2] الماوردي، النكت والعيون (317/2)

[3] الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (219/2)

[4] السمعاني، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى التميمي (ت: 489هـ)، تفسير القرآن، المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض –السعودية، ط1، 1418هـ-1997م، (264/2)

[5] مكي، الهداية الى بلوغ النهاية (10/ 6365)، وانظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (15/ 271)

- يكون المال نعمة إذا أُحسن استخدامه، ويكون نقمة إذا أُسيء استعماله، والمؤمن يُحسن استخدام المال، لأنه ينفقه في وجوه البر والخير، ونِعم المال الصالح في يد الرجل الصالح، حيث يسخّره في منفعة نفسه وأهله، ومنافع مجتمعه ودعوته، ويضعه في نصرة الإسلام والمسلمين، فيعود بفوائد عظيمة، على الفرد والجماعة.
- سوف يُسأل الإنسان عن كل ماله؛ من أين اكتسبه؟ وفيما أنفقه؟ فإن أنفقه في الصدّ عن سبيل الله تعالى، فسيكون حسرة وندامة وخسارة كبيرة، وإن أنفقه في سبيل الله تعالى سيكون أجرًا عظيمًا ومضاعفًا.
- مهما تنوعت أساليب الكافرين لصد الناس عن الإسلام، ومهما كثرت أموالهم من أجل تحقيق غاياتهم، فإن عاقبتهم الخسران والندم والحسرة، لأنهم لن ينجحوا في ذلك، ولن يتحقق مرادهم، لأن الله متم نوره ولو كره الكافرون، ومهما حرّضوا وتآمروا على قتال المسلمين وقتلهم، وسلب أرضهم، ونهب خيراتهم، وتصفية أفرادهم، واغتيال قياداتهم، وطمس هويتهم، وتغيير أجيالهم، من خلال الغزو الفكري، والثقافة الماكرة، والاستعمار الجديد، فلن يفلحوا، وسيكون الفشل حليفهم، وهم يجرون أذيال الخيبة والتأسف والحسرة، وهم يرون أموالهم التي أهلكوها في ميزان سيئاتهم، وأنها سبب في خذلانهم ودخولهم إلى النار.

المطلب الخامس: الندم على عدم اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم

الآية الأولى: قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ ﴾[الفرقان:27]

يُعدّ العض على اليدين تعبيرًا عن الندم الشديد، كأن يأكل أصابعه ندمًا على ما فرّط في اغتنام الفرصة، وأسفًا على ما قصّر في أمر ما، "لأن من اشتد به الندامة والحسرة والغيظ على شيء كاد أن يعض يديه غيظًا منه على ذلك"[1]. "وعض اليدين هو فعل النادم الملهوف المتفجّع"[2]. وهو فعل النادم الحزين[3]. ولقد

[1] الماتريدي، تأويلات أهل السنة (22/8)

[2] ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب الأندلسي (ت: 542هـ)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، (208/4)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط1، 1422هـ، دار الكتب العلمية –بيروت.

[3] ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (26/13)

تحدث الزمخشري عن عض اليدين فقال: "عض اليدين والأنامل، والسقوط في اليد، وأكل البنان، وحرق الأسنان والأرم، وقرعها: كنايات عن الغيظ والحسرة"[1].

وانفعال الندم في هذه الآية واضح جليّ، بل هو ندم تلازمه الحسرة والأسف، مع تعبير بليغ ألا وهو العض على اليدين، وهو من دلالات لغة الجسد، فيكاد أن يأكل لحم يديه حتى يبلغ العضد والمرفق من الندامة[2].

فحسرة الظالم كبيرة، وندمه شديد، لأنه لم تبق له فرصة للتوبة والإنابة، فجاء التعبير بعضّ اليد، وهذا أبلغ من عضّ الأنامل، وأشد حسرة، لأن السياق في العضّ على الأنامل يتحدث عن المنافقين، وهو أخفّ من العضّ على اليدين لأن الفرصة متاحة لهم بالتوبة، وأنّ بإمكانهم إصلاح ما بدرَ من خلل.

فالآية تتحدث عن ندم الظالم على ما فرّط في جنب الله تعالى، وعلى عدم اتباعه لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وندمه هنا بعد فوات الأوان، حيث لا ينفع الندم ولا التأسف والحسرة. وهذه الآية نزلت في عقبة بن أبي معيط[3]، لأنه ارتدّ بعد إسلامه، طلبًا منه لرضا أُبيّ بن خلف. وقيل نزلت في أبيّ[4]، وقيل فيهما لأنهما كانا متحالفين خليلَيْن[5].

---

[1] الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (276/3). قوله «وحرق الأسنان والأرم» قال الجوهري: " وحرقت الشئ حرقا: بردته وحككت بعضه ببعض. ومنه قولهم: حَرَقَ نابه يَحْرُقُهُ ويَحْرِقُهُ، أي سَحَقه حتى سُمِعَ له صريف. وفلان يَحْرِق عليك الأُرَّمَ غيظاً ". [الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (1457/4)]. وقال أيضًا: "والأرم: الاضراس، كأنه جمع آرِمٍ. يقال: فلان يَحرُق عليك الأُرَّمَ! إذا تَغَيَّظَ فحَكَّ أضراسه بَعضَها ببعض". [الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (5/ 1860)]

[2] انظر: السمرقندي، بحر العلوم (536/2)، الواحدي، الوسيط في تفسير القرآن المجيد (339/3)، السمعاني، تفسير القرآن (17/4)

[3] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (262/19)، ابن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم (2683/8)، الماوردي، النكت والعيون (143/4)

[4] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (262/19)، ابن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم (2684/8)، الماوردي، النكت والعيون (143/4)

[5] انظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (262/19)، ابن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم (2684/8)، الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت: 468هـ)، أسباب نزول القرآن، (ص: 333)، المحقق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، دار الإصلاح –الدمام، ط2، 1412هـ–1992م

وهذه الآية عامة[1] في كل من لم يتبع الرسول صلى الله عليه وسلم، وتنكّب عن سنته، ولم يرض بشريعته، واختار منهجًا غير منهجه، فمن أراد السعادة والسلامة فعليه اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فالنجاة والفوز والفلاح والهدى في ذلك، بل ونيل محبة الله تعالى في اتباع رسوله صلى الله عليه وسلم، وفي ذلك يقول الله جل وعلا: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[آل عمران:31]، وقال سبحانه: ﴿وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾[الأعراف:158].

الآية الثانية: قال تعالى: ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا ﴿٦٦﴾﴾[الأحزاب:66]

هذه الآية تشابه الآية التي سبقتها، حيث يظهر فيها انفعال الندم جليًا واضحًا من قِبل الكافرين لعدم طاعتهم لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم، وذلك حينما تقلّب وجوههم في النار، وتحرق أجسامهم فيها، فلو أنهم أطاعوا وآمنوا لكانوا من أهل الجنة، فيا لها من خسارة فادحة، وندامة كبيرة، وحسرة أليمة، حيث لا ينفع الندم الآن. قال الطبري: "يا لها حسرة وندامة، ما أعظمها وأجلها"[2]. فيندمون ويتحسرون، قال السمرقندي: "فيندمون على فعلهم ويوبخون أنفسهم"[3].

وتقليب الوجوه في النار مشهد بائس أليم، حيث يتم تحويلها وتصريفها في الجهات، وتشبيهها بقطع اللحم في قِدرٍ تغلي، كي يشمل العذاب جميع الوجه، فينشوي ويسودّ، ويتغير لونه بلفح النار، فيُرى انفعال الندم

---

[1] قال الكرماني: "إنما ذكر بلفظ الكناية ليصير اللفظ عاماً لكل ظالم اتخذ خليلاً مفصلًا". انظر: الكرماني، محمود بن حمزة بن نصر، (ت: نحو 505هـ)، غرائب التفسير وعجائب التأويل، دار القبلة للثقافة الإسلامية –جدة، مؤسسة علوم القرآن –بيروت، (814/2). وقال ابن عطية: "ويظهر أن {الظَّالِمُ} عام وأن مقصد الآية تعظيم يوم القيامة وذكر هوله بأنه يوم تندم فيه الظلمة وتتمنى أن لو لم تطع في دنياها خلانها الذين أمروهم بالظلم". ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (208/4)، وانظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (26/13). ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (108/6). "وَكَنَّى سبحانه عن هذا الظالم، ولم يُصَرّحْ باسمه ليكون هذا الوعيدُ غيرَ مخصوصٍ به ولا مقصور عليه بل يتناول جميعَ مَنْ فعل مثل فعله". الثعالبي، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف (ت: 875هـ)، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، (208/4)، المحقق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي –بيروت، ط1، 1418هـ.

[2] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (330/20)

[3] السمرقندي، بحر العلوم (75/3)

على وجهه حسرة وتأسفًا، وإنما خُصت الوجوه بالذكر في الإحراق لأنها أكرم ما في الجسد. قال الزمخشري: "وخصت الوجوه بالذكر، لأن الوجه أكرم موضع على الإنسان من جسده"[1].

والوجه أشرف ما في الإنسان، وبه يُعرف من غيره، ولأن لهيب النار وحرّها يؤذي الوجوه أكثر من أي عضو آخر، لأن فيها اجتماع الحواس الرقيقة والحسنة، فإذا أُحرق وجهه كان ذلك أكثر خزيًا له، وأشد حسرة عليه، وخاصة أنه كان في الدنيا يدفع الأذى عن وجهه بيديه، ليبقى حسنًا جميلًا بلا ضربات ولا كدمات ولا جروح أو آثار ضربات، فيوم القيامة لا يستطيع أن يدفع العذاب عن أعز وأكرم ما في جسمه، وهو الوجه، بل يُقصد إذلاله، وفي هذا مزيد الهوان، وتفظيع الأمر، وتهويل للخطب، قال تعالى: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾﴾ [القمر:48]، وقال سبحانه: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾﴾[الزمر:60]، وقال تعالى: ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾﴾[النمل:90]، وقال سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُو۟لَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٣٤﴾﴾[الفرقان:34]، وقال جل وعلا: ﴿تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾[المؤمنون:104]. قال الرازي: "فيتحسرون ويندمون حيث لا تغنيهم الندامة والحسرة، لحصول علمهم بأن الخلاص ليس إلا للمطيع"[2].

الدروس والقيم التربوية المستفادة

- مخالفة أمر الرسول صلى الله عليه وسلم وعدم اتباعه في الدنيا سبب الحسرة والندامة يوم القيامة، لذلك وجب على المؤمن طاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأن بطاعته يدخل الجنة، فقد قال تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ

[1] الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (562/3)

[2] الرازي، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) (185/25)

فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾﴾[النساء:13]، وقال سبحانه: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾﴾[الفتح:17]

وقال النبي عليه الصلاة والسلام: (كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى)، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَنْ يَأْبَى؟ قَالَ: (مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى)[1].

- يعلم المؤمن أن معصية الرسول صلى الله عليه وسلم عاقبتها في الدنيا الضلال والفتنة والعذاب الأليم؛ قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾[الأحزاب:36]، وقال سبحانه: ﴿لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾[النور:63].

ويعلم كذلك أن معصية الرسول صلى الله عليه وسلم عاقبتها يوم القيامة دخول النار؛ قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾[النساء:14]، وقال سبحانه: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾﴾[الجن:23]

- المؤمن لا يخالف رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأن في مخالفة أمره حسرة كبيرة، وندامة حيث لا يندفع الندم، فيسعى جاهدًا لطاعته واتباعه صلى الله عليه وسلم.
- في طاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم الرحمة؛ قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾[آل عمران:132]، وقال سبحانه: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ

[1] البخاري، صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم، حديث رقم (7280)، (92/9)

ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾[التوبة:71]، وقال عز وجل: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴿٥٦﴾﴾[النور:56].

وفي طاعته صلى الله عليه وسلم الهداية؛ قال تعالى: ﴿قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيۡكُم مَّا حُمِّلۡتُمۡۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهۡتَدُواْۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿٥٤﴾﴾[النور:54].

وفي طاعته صلى الله عليه وسلم الفوز العظيم؛ قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ﴿٦٩﴾﴾[النساء:69].

المطلب السادس: الندم على اتخاذ الصحبة السيئة

قال تعالى عن الكافر في اتخاذه الصحبة السيئة: ﴿يَٰوَيۡلَتَىٰ لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانًا خَلِيلٗا ﴿٢٨﴾﴾[الفرقان:28]

هذه الآية لاحقة لآية سابقة[1]، وترتيبها بعدها مباشرة، وهي تتحدث عن ندم ذلك الظالم وحسرته وتأسفه الشديد، على أنه اتخذ له خليلًا وصاحبًا يصده عن سبيل الله تعالى، ويأمره بمعاداة الرسول صلى الله عليه وسلم، ويحرّضه على مخالفته ومحاربة دعوته، وتكذيب كتابه، فأضله عن الإيمان والقرآن، وهو الذكر المذكور في الآية التي تليها حيث يقول تعالى: ﴿لَّقَدۡ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكۡرِ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَنِيۗ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِلۡإِنسَٰنِ خَذُولٗا ﴿٢٩﴾﴾[الفرقان:29]. فأخبرت الآية عن هذا النادم ما بدر منه في الدنيا من عداء للدعوة، ومعصية لله تعالى في إرضاء خليله وطاعته، وإضلاله عن القرآن وصده عنه. وقد بدأت الآية بدعاء ذلك النادم على نفسه بقوله: {يَا وَيْلَتَا} وهو دعاء بالويل والثبور والهلاك، لأنه حالف خليله وتابعه. "والتمني هنا: كناية عن التندم على ما فات"[2]. ولقد ذكر جمع من العلماء[3] أن الخليل هنا هو الشيطان، لأن الآية

---

[1] المقصود هنا: ﴿وَيَوۡمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيۡهِ يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي ٱتَّخَذۡتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلٗا ﴿٢٧﴾﴾[الفرقان: 27]

[2] ابن عاشور، التحرير والتنوير (116/22)

[3] انظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (263/19)، الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (65/4)، ابن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم (2686/8)، السمرقندي، بحر العلوم (536/2)، الماوردي، النكت والعيون (143/4)، الكرماني، غرائب التفسير وعجائب التأويل (814/2).

التي بعدها خُتمت بقوله سبحانه: {وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا} أي يخذله ويتبرأ منه وهو في أمس الحاجة للعون والغوث، فتنقلب الخلة إلى عداوة، كما قال تعالى: ﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾﴾[الزخرف:67]. وكقوله سبحانه: ﴿ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ ﴿١٦﴾﴾[الحشر:16]، وقوله: ﴿ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا ﴿٢٥﴾﴾[العنكبوت:25].

إن الصاحب السوء والخليل المُضِل هو شيطان من شياطين الإنس، يعمل مثل شياطين الجن، لأنه يجالسه ويحدثه ويأمره بالمنكر، وينهاه عن الإيمان والخير والبر، ويصده عن سبيل الله تعالى، ويأمره بمخالفة منهج الشريعة الذي جاء به الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

الدروس والقيم التربوية المستفادة:

- هذه الآية تنبيه للعقلاء كي لا يقعوا فيما وقع به هذا النادم المتأسِّف على اختيار صديق سوء، ورفيق مضل، حتى لا يندموا مثل ندمه، ولا يتحسروا مثل حسرته.
- في الآية تحذير من الصحبة السيئة لأنها توصل إلى النار، حيث لا ينفع الندم، فكم من صاحب سوء أورد صاحبه المهالك، وصده عن سبيل الله تعالى، وغمسه في كبائر الذنوب، فكان وبالًا عليه يوم القيامة، وندم على صحبته، وتمنى أنه لو ما عرفه أو صاحبه أو جالسه ساعة من نهار.
- المؤمن لا يتخذ الكافر صاحبًا أو خليلًا، لأنه يشجّعه على فعل المنكرات، ويزيّن له فعل السيئات، ويسحبه إلى الشر والفساد ويعينه عليه، ويدعوه إلى أعمال توقفه على أبواب جهنم، ويهوّن عليه أفعالًا تورده فيها، فيكون من ألدّ أعدائه، فيدرك أنه انخدع في صحبته، ولكن بعد فوات الأوان، فيعض كلتا يديه ندمًا وأسفًا وحسرة.
- المؤمن حريص على نجاة نفسه وأهله، فلا يتخذ له قرين سوء، ولا يرضى ذلك لأحد من أهله، فهو حريص على انتقاء الرفقاء والجلساء بعناية فائقة، وحكمة بالغة، لأنه يعلم أن رفيق السوء يعبث في

الأفكار، ويأمر بالفساد الأخلاقي، ويعين على الشرور، ويثبّط عن فعل الخيرات، ويشجّع على إقحام النفس في الآثام، ويجرؤها على الخطايا، فالشخص يتأثر بجليسه، ويعمل بعمله، ويأخذ من أخلاقه وطبعه، فالنجاة بصحبة الأبرار وترك صبحة الأشرار.

- المؤمن يصاحب الأتقياء، الذين يريدون وجه الله تعالى، ويعملون ما يرضيه، لا ما يغضبه، الذين يتبعون الرسول صلى الله عليه وسلم، ويطيعونه ويحبونه، ويأتمرون بأمره، ويتخلقون بأخلاقه، ويهتدون بهديه، ويتصفون بسمْته، ويحيون سنته، ويعملون بشريعته، الذين يعينوه على الطاعة، ويردوه عن المعصية، ويجتمعون على حب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، ويتجالسون ويتزاورون على ذلك، ويعملون لنشر الدين بين الناس بالرفق واللين والأسلوب الحكيم، والموعظة الحسنة الموجزة، فتتضاعف أجورهم، وتثقل موازينهم، وترتفع في الجنان درجاتهم، فيحمدون الله تعالى على الصحبة الحسنة، ويجلسون على منابر من نور، ويتكئون على سرر متقابلين.

المطلب السابع: الندم على التفريط في جنب الله تعالى، وعند دخول النار

قال تعالى: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۗ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٣١﴾﴾[الأنعام:31]

هذه الآية تبيّن حجم الخسارة التي حظي بها الذين كذّبوا وكفروا، فلما علموا خسارة الصفقة ظهرت انفعالات الحسرة والندم والتأسف عليهم، حتى تلفظوا قائلين: {يَا حَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا} أي: يا ندامتنا على ما ضيّعنا فيها. "تندُّمًا وتلهُّفًا على عظيم الغَبْن الذي غبنوه أنفسهم، وجليل الخسران الذي لا خسران أجلّ منه"[1].

وهذا الندم الشديد لأنهم فرّطوا في جنب الله تعالى، من طاعات وأعمال صالحات، وتركوا المحاسن والفضائل، فندموا على تضييعهم العمل الذي يوصل إلى الجنة، وتركهم لما يكون سببًا في دخولها والتنعم بما فيها.

[1] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (325/11)

و{يَا حَسْرَتَنَا} أي "يا ندامتنا على ما فرّطنا"[1]. والتفريط: التضييع والترك والتقصير، أي: على ما تركنا "وضيعنا من عمل الآخرة في الدنيا"[2]. وحقيقة التفريط التقصير مع القدرة على تركه[3]. "والنداء في {يَا حَسْرَتَنَا} للمبالغة، كقولهم: يا عجبًا، وقول القائل: يا عجبًا، أبلغ من قوله: أنا متعجب؛ فكذلك قوله: {يَا حَسْرَتَنَا} أبلغ من قوله: أنا متحسر... كأنه يقول: أيتها الحسرة هذا أوانك وأيها العجب جاء أوانك"[4]. "والعرب إذا اجتهدت في الإخبار عن عظيم تقع فيه جعلته نداءً، فلفظه لفظ ما ينبَّه، والمنبَّه غيره... أي انتبهوا على أننا قد خسرنا"[5]. "ومثله قولهم: لا أرينّك ها هنا. لفظه لفظ الناهي لنفسه، والمعنى للمنهي، ومن هذا قولهم: يا خيل الله اركبي، يراد: يا فرسان خيل الله"[6]. "فنداء الحسرة على تعظيم الأمر وتشنيعه، وكأن الذي ينادي الحسرة يقول: اقربي أو احضري فهذا وقتك وزمنك، وفي ذلك تعظيم للأمر على نفس المتكلم وعلى سامعه"[7].

فوقوع النداء على الحسرة يدل على كثرة التحسر وشدة الندم، كمن يقول: يا للعجب، ويا للرخاء، فإنه في الحقيقة لا ينادي العجب ولا الرخاء، ولكن ذلك "يدل على كثرة التعجب والرخاء"[8]. فالآية تصور مشهدًا مؤلمًا للذين فرّطوا ورفضوا الإيمان، بأن خسارتهم كبيرة، وحسرتهم شديدة، وندمهم لا ينفع في ذلك اليوم العظيم، وفوق ذلك فإنهم يحملون أوزارهم الثقيلة على ظهورهم، فالعاقل من اتعظ بغيره، حتى لا يفعل ما يندم عليه، فيبادر للعمل، ويسابق القوم، حتى لا يأتي يوم القيامة نادمًا متحسرًا على تقصيره في الطاعات، أو تضييعه للأوقات، أو تركه للصالحات، كما قال تعالى: ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾﴾[الزمر:56].

---

[1] السمرقندي، بحر العلوم (443/1)

[2] الواحدي، الوسيط في تفسير القرآن المجيد (264/2)، وانظر: البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن (120/2)

[3] أي: على ترك التقصير. انظر: ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (284/2)، البحر المحيط في التفسير (482/4)

[4] انظر: السمعاني، تفسير القرآن (98/2)، البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن (120/2)

[5] الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (241/2)

[6] ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير (21/2)

[7] انظر: ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (284/2) – بتصرف يسير.

[8] انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (412/6)

وما أكثر الحسرات يوم القيامة! حتى إن الله تعالى سمى ذلك اليوم بيوم الحسرة؛ قال تعالى: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾﴾[مريم:39]، فحسرات الناس كثيرة جدًا وذلك لكثرة غفلتهم وتقصيرهم وتفريطهم في أمر الله تعالى، فيندمون أشد الندم، ويتلهفون على ما فات، ويتأسفون على ما مضى، فيعبّرون عن الفاجعة والمصيبة التي وقعت بالحسرة، وقد انقطعت بهم الحيَل، ولم يبق هناك صديق ولا خليل، ولا قادة ولا أتباع، فيتبرؤون من بعضهم، وذلك حينما يرون العذاب، ويعاينون النار، ويتيقنون أنهم داخلوها بما كسبت أيديهم من ذنوب وكبائر وآثام، إنه مشهد أليم، تحيطه الحسرة والندامة والتأسف على ما فعلوا من أجل أسيادهم، قال تعالى: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا۟ مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾﴾[البقرة:166-167]. وأي حسرة أعظم وأشد من حسرات الكافرين حينما يأتيهم الخبر أنهم مخلدون في النار، وما هم بخارجين منها، فلا أمل في النجاة، ولا طمع في الخروج، ولا أمل حتى في الموت، وقد أخبرنا النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك الموقف العظيم فقال: (يُؤْتَى بِالْمَوْتِ كَهَيْئَةِ كَبْشٍ أَمْلَحَ، فَيُنَادِي مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ، فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ، فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا المَوْتُ، وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ، ثُمَّ يُنَادِي: يَا أَهْلَ النَّارِ، فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ، فَيَقُولُ: وهَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا المَوْتُ، وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ، فَيُذْبَحُ ثُمَّ يَقُولُ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ خُلُودٌ فَلاَ مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ فَلاَ مَوْتَ)[1] ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ ﴿٣٩﴾﴾[مريم:39].

يا لها من حسرة، ويا له من ندم، ويمكن أن يكون الندم ظاهرًا علنًا، أو أن يكون مخفيًا سرًا، كما قال تعالى: ﴿وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ۚ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٥٤﴾﴾[يونس:54]، وكقوله: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ

[1] البخاري، صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب قوله: {وأنذرهم يوم الحسرة} [مريم: 39] (4730)، (93/6)، وانظر: مسلم، بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: 261هـ)، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم (صحيح مسلم)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي –بيروت، من دون ذكر الطبعة والسنة، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء، (2849)، (2188/4)

ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ بَلۡ مَكۡرُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ إِذۡ تَأۡمُرُونَنَآ أَن نَّكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجۡعَلَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ وَجَعَلۡنَا ٱلۡأَغۡلَٰلَ فِيٓ أَعۡنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ هَلۡ يُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٣٣﴾﴾[سبأ:33]. والإسرار يأتي بمعنى الإخفاء أو الإظهار. والعرب توجّه الإخفاء والإسرار "إلى معنى الإظهار"[1]. يقال: "أسررت الشيء إذا كتمته، وأسررته إذا أظهرته"[2]. ومن ذلك قوله تعالى عن الساعة: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخۡفِيهَا لِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا تَسۡعَىٰ ﴿١٥﴾﴾[طه:15] أي: أُظهرها[3]. وقوله تعالى: {وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ} جاء في تفسيرها معنيان: الأول: أسَروا ندامتهم[4]، والثاني: أظهروها[5]. أي: "أظهروا الندامة والحسرة"[6]. وبناء على هذا المعنى فإن الأتباع والرؤساء أخفوا الندامة وكتموها عن بعضهم، أو أظهروها وكشفوها لبعضهم[7].

ولكثرة حسراتهم وندمهم في ذلك اليوم يتمنوا أن يرجعوا إلى الدنيا ليتداركوا ما كان من تقصير، فيعملوا ويُحسنوا. وهذا كثير في القرآن الكريم، كقوله تعالى: ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيۡتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٢٧﴾﴾[الأنعام:27]، وكقوله سبحانه: ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلۡمُجۡرِمُونَ نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ رَبَّنَآ أَبۡصَرۡنَا وَسَمِعۡنَا فَٱرۡجِعۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾﴾[السجدة:12]. بل ومن شدة ندمهم تكثر أمنياتهم أن لو قدموا في حياتهم الفانية لحياتهم الباقية الأبدية التي لن تزول ولن تبيد؛ كقوله تعالى: ﴿يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي ﴿٢٤﴾﴾[الفجر:24]، أو أنهم لم يُبعثوا للحساب، كقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُوتَ كِتَٰبِيَهۡ ﴿٢٥﴾ وَلَمۡ أَدۡرِ مَا حِسَابِيَهۡ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيۡتَهَا كَانَتِ ٱلۡقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾﴾[الحاقة: 25–27] يتمنى أن ليت المِيتة التي ماتها في الدنيا كانت دائمة عليه فلم يُبعث لما يرى ما هو أشد وأدهى، فيزداد ندمه، وتكثر حسرته.

---

[1] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (290/18)

[2] الماوردي، النكت والعيون (398/3)

[3] انظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (290/18)

[4] الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (25/3)

[5] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (291/18)

[6] السمرقندي، بحر العلوم (92/3)

[7] انظر: الماوردي، النكت والعيون (438/2)

بل ويتمنى من هول المصيبة التي عاينها –حينما لا ينفع ندمه ولا تأسفه وحسرته– أن يكون ترابًا حتى لا يُحاسب ولا يُعذب، ولا يُلتفت إليه، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنذَرۡنَٰكُمۡ عَذَابٗا قَرِيبٗا يَوۡمَ يَنظُرُ ٱلۡمَرۡءُ مَا قَدَّمَتۡ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلۡكَافِرُ يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ تُرَٰبَۢا ٤٠﴾[النبأ:40]

الدروس والقيم التربوية المستفادة:

- المؤمن دائم العمل للآخرة، لا يمل ولا يسأم، بل هو شعلة وقادة، وذو عزيمة ماضية، لا يترك العمل، يواصل الليل بالنهار، يزاحم القوم، ويسابقهم إلى الوصول، وينافسهم على ارتقاء القمم، فلا تراه إلا مجتهدًا نشيطًا، إذا فرغ من عمل شرع في آخر، وإن انتهى من مهمة بدأ في أخرى، لا يفرّط بأي شيء من الطاعات، بل دائم الزيادة من القربات، حتى لا يندم يوم القيامة على التفريط والتقصير.
- المؤمن يتطلع إلى معالي الأمور، ولا يتطلع إلى سفسافها، فلا يلهو ولا يلغو مع كل من يلهو ويلغو، ولا يضيّع وقته على توافه الأشياء، بل يعلم أن الوقت هو الكنز الثمين، وهو رأس المال الذي يتاجر به مع الله تعالى، فإن ضاع وقته خسر التجارة، وإن استثمره في الصفقات الكبرى مع الله تعالى ربح البيع، وتضاعف الأجر، وامتلأت خزائن حسناته بالكنوز الثمينة يوم القيامة، فلا ندم ثمة ولا حسرة، ولكن فرحة أبدية وسعادة لا تنتهي ولا تنقضي.
- المؤمن يعلم أن علو الهمة هو حياة القلب، وهو ميدان الأبطال، ليس فيه للبطّالين نصيب ولا حظ، وأن الناس ترتفع أقدارهم، وتسمو مكانتهم بعلو هممهم، وعالي الهمة دائم العمل، لا يفتر ولا يقعد، ومن أحيا قلبه بالعمل تعلق بالآخرة، ولم يرض بالدون، وارتقت نفسه إلى مقامات المجد، ومراتب الخلود، وحامت حول الفضائل، وترفعت عن الرذائل، وتنزهت عن الحضيض، فأخذ الأمر بكل جد وحزم، فانشغل بالعمل الصالح، وانهمك بما يُثقل ميزانه.
- المؤمن يعلم جيدًا أنه إن قصّر في العمل، أو فرّط في الطاعة، فسيصيبه ما يصيب الكافرين من الندامة والحسرة، لأجل ذلك فهو جاد في المسير والارتقاء، نفسه شريفة عزيزة لا يلوثها بالخسيس والدنيء من الأعمال، أو بما يبعده عن الله تعالى، فكل ما يُبعد عن الله تعالى خسيس وضيع لا يُلتفت إليه.

الفصل الرابع

انفعال الغضب عند الكافرين في القرآن الكريم

المبحث الأول: معنى الغضب ودلالاته في السياق القرآني

المطلب الأول: الغضب في اللغة

الغضب: "نقيض الرضا"[1]. وهو: اشتداد السخط. قال ابن فارس: "الغين والضاد والباء أصل صحيح يدل على شدة وقوة. يقال: إن الغضبة: الصخرة الصلبة. ومنه اشتق الغضب، لأنه اشتداد السخط"[2]. لأن الشخص إذا غضب فإنه ينفعل انفعالًا شديدًا قويًا، قد أثّر فيه كلام أو موقف فخالفه، ومن هنا جاءت كلمة الغَضْبة، وهي: "الصخرة الصلبة المتراكمة في الجبل"[3]، المخالفة له[4]. وغضِب، انفعل بشدَّة، وثار، والغضب: "استجابة لانفعال تتميّز بالميل للاعتداء وبتغيّرات تبدو على الوجه"[5]. والغَضْب: "الأحمر الشديد الحُمرة"[6]، وأحمر غَضْب: شديد الحمرة؛ وقيل: هو الأحمر في غِلَظ[7]، والمرء إذا غضب وكان انفعاله شديدًا قويًا فإنه يُرى ذلك في وجهه، فيتغير لونه إلى الحُمرة، فجاء المعنى اللغوي موافقًا للانفعال.

والغضبان يُرى عليه العبوس، ومنه جاءت الغَضوب: وهي "الناقة العبوس"[8]، والغضوب سريع الغضب، وشديده وكثيره، قال أهل اللغة: رجل غَضُوبٌ وغَضِبٌ وغُضُبَّة وغُضُبٌّ أي كثير الغضب شديده[9]، إذا كان

---

[1] انظر: ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم (411/5)، ابن منظور، لسان العرب (648/1)

[2] ابن فارس، مقاييس اللغة، (428/4)

[3] الفراهيدي، كتاب العين (369/4)

[4] انظر: الأزهري، تهذيب اللغة (56/8)

[5] مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة (1624/2)

[6] الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (195/1)، الرازي، مختار الصحاح الرازي، مختار الصحاح (ص: 227)

[7] انظر: ابن منظور، لسان العرب (650/1)، الفيروزآبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب (ت: 817هـ)، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، ط8، 1426هـ-2005م، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت -لبنان، (ص: 120)

[8] الفراهيدي، كتاب العين (369/4)، الأزهري، تهذيب اللغة (56/8)

[9] ينظر: الفراهيدي، كتاب العين (369/4)، ابن منظور، لسان العرب (649/1)

يغضب سريعًا[1]. ورجل غضْبان وامرأة غضْبى، وقوم غضبى وغضابى[2] وغِضاب[3]. "والغضب منه محمود ومذموم: فالمذموم: ما كان في غير الحق، والمحمود: ما كان في جانب الدين والحق"[4].

المطلب الثاني: الغضب في الاصطلاح

قال الراغب: "الغضب: ثوران دم القلب إرادة الانتقام"[5]. وقريب منه تعريف الغزالي حيث يقول: "غليان دم القلب بطلب الانتقام"[6]. وزاد الجرجاني على تعريف الغزالي فقال: "الغضب: تغير يحصل عند غليان دم القلب؛ ليحصل عنه التشفي للصدر"[7]. وقال التّهانوي: "هو حركة للنفس مبدؤها إرادة الانتقام، وقيل: كيفيّة نفسانيّة تقتضي حركة الروح إلى خارج البدن طلبًا للانتقام"[8]. ولعل تعريف الثعالبي قريب جدًا من الحالة النفسية حيث يقول: "والغضب غليان القلب بسبب ما يؤلم"[9].

وهذه التعريفات تدور على معنى واحد هو: غليان دم القلب وثورانه، بسبب ما يؤلم، مع طلب الانتقام، ليحصل التشفي، وأصل هذا الغليان والثوران الذي يتولد في القلب هو انفعال نفسي طلبًا للانتقام. فالانتقام له صلة بالغضب؛ لأن الغضبان يتوق إلى الانتقام ممن يغضب منه غالبًا، من شدة سخطه عليه. وقد جاء في بعض الآثار أن الغضب جمرة توقد في القلب، تسبب في انتفاخ الأوداج وحمرة العينين [10].

---

[1] انظر: الأزهري، تهذيب اللغة (56/8)، الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (194/1)، الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس (485/3)

[2] ينظر: الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (194/1)

[3] ينظر: ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم (411/5)

[4] الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس (485/3)

[5] الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن (ص: 608)، وانظر: الفيروزآبادي، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (135/4)

[6] الغزالي، إحياء علوم الدين (167/3)

[7] الجرجاني، كتاب التعريفات (ص: 162)

[8] التهانوي، محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد الفاروقي الحنفي (ت: بعد 1158هـ)، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم، تحقيق: د. علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون –بيروت، ط1، 1996م، (1254/2)

[9] الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن (78/3)

[10] انظر: ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (ت: 241هـ)، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط –عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط1، 1421هـ-2001م، حديث رقم (11143)، (227/17)، ط الرسالة، وهو ضعيف. قال الأرنؤوط في الهامش: إسناده ضعيف. (228/17)، وقال الألباني: ضعيف. انظر: الألباني، ضعيف الجامع الصغير وزيادته (ص: 179)

ولقد صوّر الغزالي مشاهد انفعال الغضب وكيف يجري في النفس ويُسبب حمرة الوجه، فقال: "خلق الله طبيعة الغضب من النار وغرزها في الإنسان وعجنها بطينته، فمهما صد عن غرض من أغراضه ومقصود من مقاصده اشتعلت نار الغضب، وثارت ثورانًا يغلي به دم القلب، وينتشر في العروق، ويرتفع إلى أعالي البدن، كما ترتفع النار وكما يرتفع الماء الذي يغلي في القدر، فلذلك ينصب إلى الوجه فيحمر الوجه والعين والبشرة لصفائها تحكي لون ما وراءها من حمرة الدم كما تحكي الزجاجة لون ما فيها"[1].

المطلب الثالث: الغضب في السياق القرآني

وردت كلمة الغضب في القرآن الكريم أربعًا وعشرين[2] مرة باشتقاقات مختلفة. وقد عبر القرآن الكريم عن الغضب في أكثر من لفظ، إذ تعددت إشارات انفعال الغضب، ومن هذه الألفاظ: الغضب، الغيظ، السخط.

وجاء الغضب في القرآن الكريم بمعناه اللغوي الدال على ثوران دم القلب وإرادة الانتقام، وإذا أضيف إلى الخالق سبحانه فهو صفة له لائقة بذاته سبحانه، ومن لوازمها الانتقام والعقاب، وذلك "إذا انتهكت حرماته، تظهر آثارها في المغضوب عليهم"[3]. أي أثر غضب الله تعالى في المغضوب عليهم.

والمتتبع لألفاظ الغضب في القرآن يجد أنه يُقسم إلى قسمين:

1. غضب الله سبحانه وتعالى: الغضب صفة ثابتة لله تعالى على الوجه اللائق به، وهي من صفاته الفعلية[4]. قال القرطبي: "ومعنى الغضب في صفة الله تعالى إرادة العقوبة، فهو صفة ذات، وإرادة الله تعالى من صفات ذاته، أو نفس العقوبة"[5]. "وإذا وصف الله تعالى به فالمراد به الانتقام دون غيره"[6]،

---

[1] الغزالي، إحياء علوم الدين (167/3)

[2] انظر: عبد الباقي، محمد فؤاد، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ص499، جلغوم، عبد الله، المعجم المفهرس الشامل لألفاظ القرآن الكريم، مركز تفسير للدراسات القرآنية، الرياض، ط1، 1436هـ-2015م، ص849.

[3] الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار الجكني (ت: 1393هـ)، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت -لبنان، 1415هـ-1995م، (76/4)

[4] ينظر: العثيمين، محمد بن صالح بن محمد (ت: 1421هـ)، شرح العقيدة الواسطية، تحقيق: سعد فواز الصميل، دار ابن الجوزي، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط5، 1419هـ، (ص: 262)

[5] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (150/1)

[6] الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن (ص: 608)

كقوله تعالى: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾[البقرة:61]، ﴿وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ﴾[آل عمران:112]، ﴿وَٱلْخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾[النور:9]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوْاْ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ﴿١٣﴾﴾[الممتحنة:13]، وغير ذلك من الآيات.

وقد ثبت في كثير من الأحاديث غضب الله تعالى، كقوله صلى الله عليه وسلم: (اشْتَدَّ غَضَبُ اللَّهِ عَلَى قَوْمٍ فَعَلُوا بِنَبِيِّهِ، يُشِيرُ إِلَى رَبَاعِيَتِهِ، اشْتَدَّ غَضَبُ اللَّهِ عَلَى رَجُلٍ يَقْتُلُهُ رَسُولُ اللَّهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ)[1].

2. غضب الإنسان: وهو ظاهرة انفعالية طبيعية لدى الإنسان، ويقسم إلى قسمين: محمود ومذموم، فالمحمود ما كان في الحق والعدل، وهو كغضب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فإنهم كانوا يغضبون لله تعالى، وإذا انتهكت حرماته، ويكون محمودًا إذا تم توجيهه بالطريقة السوية السليمة، ولم يخرج عن ضوابط الشرع والعقل. قال سيد قطب: "والله يعلم أن الغضب انفعال بشري ينبع من فطرته، وهو ليس شرًا كله. فالغضب لله ولدينه وللحق والعدل غضب مطلوب وفيه الخير، ومن ثم لا يحرم الغضب في ذاته ولا يجعله خطيئة، بل يعترف بوجوده في الفطرة والطبيعة"[2].

وأما المذموم فما كان في غير الحق، كأن يكون للدنيا، ولهوى النفس، وما كان فيه تجاوز للشرع والعقل، بحيث يفقد صاحبه السيطرة على النفس، فيتصرف بلا وعي، وربما ضرب –من شدة الانفعال– أو شتم أو قتل. فيصبح الغضب في هذه الحالة مدمّرًا، يجلب المشاكل الكثيرة والمعقدة، والتي لا تحل إلا في المحاكم أو السجون وغير ذلك.

[1] البخاري، صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب ما أصاب النبي صلى الله عليه وسلم من الجراح يوم أحد، حديث رقم (4073)، (101/5)، مسلم، صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب اشتداد غضب الله على من قتله رسول الله صلى الله عليه وسلم، حديث رقم (1793)، (1417/3)

[2] قطب، في ظلال القرآن (3164/5)

وهذا النوع من الغضب نهى عنه النبي صلى الله عليه وسلم، لأنه يوصل إلى المهالك، ويفضي إلى قطيعة الأرحام، والعدوان والاقتتال والبغضاء. فقد جاءه رجل يطلب النصيحة وأن يوصيه، قائلًا له: أوصني، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا تَغْضَبْ)، فردّد مرارًا، قال: (لا تَغْضَبْ)[1].

المطلب الرابع: الغضب عند علماء النفس

الغضب انفعال مهم يؤدي وظيفة مهمة للإنسان حيث إنه يساعده على حفظ ذاته، فحينما يغض الإنسان تزداد طاقته على القيام بالمجهود العضلي العنيف، مما يمكنه من الدفاع عن النفس أو التغلب على العقبات التي تعوقه عن تحقيق أهدافه المهمة[2]. وحينما يتملك انفعال الغضب الإنسان تتعطل قدرته على التفكير السليم، وقد تصدر عنه بعض الأفعال والأقوال العدوانية التي قد يندم عليها فيما بعد حينما يهدأ غضبه[3].

ويصنف انفعال الغضب ضمن الانفعالات القوية، وتعمل هذه الانفعالات على زيادة النشاط والطاقة والحيوية والحماس والحميّة، كما تعمل على زيادة ضربات القلب وضغط الدم ووتيرة عمل الحركات التنفسية، أي زيادة بعض المؤشرات الفيسيولوجية[4]، التي من بينها إفراز هرمون الأدرينالين الذي يؤثر على الكبد ويجعله يفرز كميات زائدة من السكر مما يسبب زيادة الطاقة في الجسم ويجعله متهيئًا لبذل المجهودات العنيفة التي يتطلبها الدفاع عن النفس أثناء الغضب، أو الجري أثناء الخوف[5].

وهو انفعال نفسي ينشأ إذا ما أحسَّ الإنسان بأن هناك عائقاً ما يقف دون تحقيق غاياته، ففي هذه الحالة يندفع الإنسان ويثور ويعبئ قواه وتزداد طاقاته العضلية للتغلب على العقبات التي تعترض الوصول إلى أهدافه[6].

---

[1] البخاري، صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب، حديث رقم (6116)، (28/8)

[2] ينظر: نجاتي، القرآن وعلم النفس ص76

[3] المرجع السابق ص78

[4] انظر: بني يونس: سيكولوجية الدافعية والانفعالات. ص232. وانظر: نجاتي، محمد عثمان، علم النفس في حياتنا اليومية، دار النهضة العربية، القاهرة، ط 5، 1999م، ص91،

[5] ينظر: نجاتي، محمد عثمان، القرآن وعلم النفس ص79

[6] ينظر: الشعبيني، محمد مصطفى، مقالات في علم النفس، ص152، جلال، سعيد، المرجع في علم النفس، دار المعارف بمصر، 1974م، ص333.

ولقد ذكر بني يونس عدة تعريفات للغضب عند علماء النفس؛ منها: أنه حالة انفعالية حادة تثيرها مواقف تهديد وغيره، وتتحدد بوجود إثارة فسيولوجية، وعنصر إدراكي معرفي. وهو شعور قوي بعدم الرضا، موجه نحو شخص ما أو شيء ما[1].

وللغضب أكثر من شكل للتعبير، فتارة نراه يحمل الإنسان على أن يستشيط غضبًا ويحطّم الأشياء التي حوله، ونراه تارة أخرى يعبّر بطريقة أكثر حذقًا ومهارة، وينص العرف الاجتماعي على أن التعابير العنيفة للغضب تحصل بتقطيب الوجه، ولكن العرف يسمح مع ذلك بأن يتفجر الغضب إهانة وازدراءً وتهديدًا أو ما هو أكثر من ذلك[2]. والغضب الشديد يُخرِج صاحبه عن الاتزان والهدوء، وقد يفقد صوابه في بعض الأحيان، والآثار المترتبة على انفعال الغضب غالبًا ما تكون غير منضبطة، لأنها تصدر في حالة ثورانٍ وهيجانٍ نفسي. ولذلك فإن الغضب من أسوأ الانفعالات النفسية التي تؤثر على سلوك الإنسان، فتفقده توازنه العقلي والنفسي، ويمكن أن يتصرف أو يقوم بأعمال تؤثر على شخصيته وسمعته[3].

بناء على ما سبق فإن تعريف علماء النفس ينسجم مع التعريف اللغوي والاصطلاحي، حيث إنه حالة انفعالية حادة نتيجة لشعور بعدم الرضا، يشتد ويقوى أو يضعف حسب طبيعة الشخص المنفعل.

---

[1] انظر: بني يونس: سيكولوجية الدافعية والانفعالات ص 248-247.

[2] انظر: برنهارت، علم النفس في الحياة العملية، ترجمة: د. إبراهيم عبد الله محي، ص87، مطبعة العاني، بغداد، ط 3، 1386هـ-1967م، السيد، فؤاد البهي، الأسس النفسية للنمو من الطفولة إلى الشيخوخة، ص205، دار الفكر العربي، ط4، دون تاريخ.

[3] ينظر: مصطفى، إبراهيم عبد الرحيم محمد، الانفعالات النفسية عند الأنبياء في القرآن الكريم، ص105، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، 2009م.

المبحث الثاني: مشاهد الغضب عند الكافرين في السياق القرآني

المطلب الأول: غضب الكفار من نبي الله نوح عليه السلام وتهديدهم له بالرجم

قال تعالى: ﴿ قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾ ﴾[الشعراء:116]

يظهر في هذه الآية تهديد قوم نوح له، والتهديد: التخويف، والوعيد، وهو التوعد بالعقوبة. وهدّدَهُ: أوعده وأنذره، وخوّفه[1]. وإذا هدّد الشخص خصمه ظهر ذلك في تصرفه، كالإشارة بيده، والتكشير عن أنيابه، وغير ذلك، ومن المجاز: أكشر له عن أنيابه أي هدّده[2]، وكشف عنها عند الغضب. فالتهديد الإخافة والتوعّد بالعقوبة[3]. وبالتالي فإنه يُحدث في النفس اضطرابًا وقلقًا وخوفًا شديدًا.

ولم ترد لفظة (التهديد) بهذا الجذر بتاتًا في السياق القرآني، وإنما ورد التهديد بصيغة التوعد بالرجم والإخراج وغيرهما من الصيغ.

والآية ﴿ قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾ ﴾[الشعراء:116] تبيّن فورة غضب كفار قوم نوح في نوع العقاب والأذى الذي يريدون أن يلحقوا به نبيهم، وهو عقاب قاس وأليم وشديد، تتمثل شدته وقسوته في التهديد بالتصفية الجسدية، التي هي الرجم حتى الموت، وما هذا التهديد والتصميم على الرجم، إلا نتاج انفعالات مركبة كانت تسيطر على نفوسهم، كالغضب والكره والبغض والغيظ.

وسيدنا نوح عليه الصلاة والسلام هو أول رسول يرسله الله تعالى إلى البشر بعد آدم عليه السلام[4]، وقد أُرسل إلى قومه خاصة، لأن الأنبياء يبعثون إلى أقوامهم خاصة، إلا رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم فقد بُعث للناس عامة.

---

[1] انظر: الرازي، مختار الصحاح، (327/1)، ابن منظور، لسان العرب 432/3، الفيروزآبادي، القاموس المحيط (330/1)، الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس (339/9).

[2] انظر: الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، (ت: 538هـ)، أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط1، 1419هـ-1998م، دار الكتب العلمية، بيروت -لبنان (95/2)، الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس (45/14).

[3] أبو حبيب، سعدي، القاموس الفقهي لغة واصطلاحًا، ط2، دار الفكر. دمشق -سورية، 1408هـ-1988م، (ص: 321)، قلعجي، محمد رواس، معجم لغة الفقهاء، دار النفائس للطباعة والتوزيع، ط:2، 1408هـ-1988م، ص149.

[4] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (431/3)

قال قتادة: "كان بين آدم، ونوح عشرة قرون، كلهم على الهدى، وعلى شريعة من الحق، ثم اختلفوا بعد ذلك فبعث الله نوحًا، وكان أول رسول أرسله الله إلى أهل الأرض"[1].

وكان الناس في الفترة ما بين آدم ونوح على الحق والهدى. وكان في الزمن الذي قبل نوح رجال صالحون، فلما ماتوا وجاء الذين من بعدهم صنعوا لهم تماثيل، ليتذكروهم وينشطوا في العبادة، ويقتدوا بهم، فأضلهم الشيطان، وعبدوهم من دون الله تعالى، فبعث الله تعالى نوحًا إليهم.

ولم يترك سيدنا نوح عليه الصلاة والسلام وسيلة من وسائل الدعوة إلا واستخدمها في دعوة قومه، فدعاهم ليلًا ونهارًا، علانيةً، وسرًا، وجهارًا، ترغيبًا، وترهيبًا، وذلك طمعًا في إسلامهم، وكان لطيفًا في خطابه معهم، فكان يخاطبهم بـ (يا قَوْم)، فهو يُشعرهم بهذه الكلمة بأنهم قومه، وأنه حريص على سلامتهم ونجاتهم، وأنه يريد الخير لهم، وأنه يظهر الشفقة والخوف عليهم، وكان لهم ناصحًا أمينًا.

ولقد عبّر الله تعالى عن علاقة نوح مع قومه بأنها علاقة أخوة، فقال: ﴿أَخُوهُمْ نُوحٌ ۝١٠٦﴾[الشعراء:106]. لتثير فيهم عاطفة الأخوة، وتوحي بأنه قريب منهم، ليس غريبًا عنهم، بل يريد الخير لهم كما يحبه لنفسه، وهذا أدعى وأقرب لأن يصدّقوه ويستجيبوا له ويؤمنوا بما جاءهم به.

لقد استمر نوح عليه الصلاة والسلام يعِظ قومه، ويدعوهم، ويرغبهم في الإيمان، وأن الله تعالى سيغفر لهم، ويفتح لهم أبواب النِّعم الكثيرة في الدنيا، ويعدهم بالجنان التي لن تزول ولن تبيد في الآخرة.

وعرضَ دعوته على الكبير والصغير، والذكر والأنثى، على اختلاف أعمارهم، وطبائعهم، وشخصياتهم، دون كلل ولا ملل، وعلى اختلاف المناسبات والأوقات والأماكن، متقنًا طريقة العرض متفننًا فيها، مراعيًا جميع الظروف، تزيده الأيام همة ونشاطًا في التبليغ، وتزيده الليالي حرصًا على إيمان قومه وشفقة عليهم، لم تُثنه اتهامات قومه له، ولم يفتر عن الوعظ، ولم يستسلم للواقع الصعب الذي يعيش فيه، لأن القوم كانوا يتوارثون

[1] ابن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم (2025)، (380/7)، وانظر: (14135)، (51/47). وصححه الألباني، انظر: الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، رقم: (2668)، 1832/7.

الكفر والفجور والعصيان جيلًا بعد جيل، ويوصي الكبار بهذا أحفادهم الصغار، فلم ييأس، ولم يقعد عن الدعوة، بل يزيده عنادهم إصرارًا على السير في هذا الطريق، مستعينًا بالله تعالى، مستخدمًا ألطف العبارات وأحسنها في خطابه معهم، رجاء أن يستجيبوا ويؤمنوا.

بقي نوح فيهم دهرًا طويلاً، وقرونًا عديدة وهو يدعوهم إلى الله تعالى، ورغم ذلك ما آمن معه إلا قليل، بينما الأكثرية من قومه آثروا الغواية على الهداية، وأبوا إلا أن يكونوا في الضلالة والكفر.

لقد طالت المدة في دعوة القوم، وما ازدادوا إلا بُعدًا، ورفضًا، وفرارًا، وصدودًا، واستكبارًا، وجدالًا، وإصرارًا، وإعراضًا، وإدبارًا.

وبدأت المضايقات الجسدية تلوح في الأفق، بعدما عج الزمان والمكان بالمضايقات الكلامية، والاتهامات الباطلة، والكلمات النابية القاسية؛ إذ اتهموه بالضلال، والكذب، وأنه يبغي المال منهم، وأنه يريد أن يتفضل عليهم، وتعالت الأصوات بإسكاته، وأنه يجب عليه الكف عن دعوتهم، ووعظهم، ونصحهم، فما عادوا يطيقون كلامه، ولا سماع صوته، فإن لم ينته فهو مهدّد من قِبَلِهم بالرجم حتى الموت. قال الله تعالى: ﴿قَالُواْ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾﴾[الشعراء:116].

وهكذا تترجم انفعالات القوم إلى تهديد بالقتل، وما ذلك إلا من شدة الغيظ والغضب الذي كان يتملك قلوبهم وعقولهم، حتى نطقت به ألسنتهم.

الدروس والقيم التربوية المستفادة

- قد يتعرض الداعية للتهديد من قِبَل جماعات أو أفراد، كما تعرض الأنبياء عليهم السلام، فالواجب عليه الصبر والتوكل على الله تعالى وتفويض الأمر إليه.
- الابتلاء سنة من سنن الله تعالى، فلا بد من تربية النفوس على الابتلاءات والمحن، وإعدادها إعدادًا جيدًا للعبور، فقد يمتحن الدعاة ويُبتلون في دينهم، وما تلك المحن والابتلاءات إلا اختبارات ليمحص

الله الذين آمنوا، وليميز الصادق من غيره، فعلى الدعاة أن يكونوا صادقين مخلصين، حتى ينجيهم الله تعالى ويثبتهم ويدافع عنهم، ويجتازوا تلك المرحلة.

- إذا صبر الدعاة وحققوا معنى التوكل والتفويض، نصرهم الله تعالى ومكّنهم ومكّن لهم في الأرض، وانقلبت النقمة إلى نعمة، والمحنة إلى منحة.
- أساليب الكافرين هي ذاتها، وإن تغير الزمان، وتبدّل المكان، وكأنهم توارثوها جيلًا عن جيل، فلا يبتئس الدعاة، ولهم في الأنبياء أسوة في الصبر والتعلق بالله تعالى، والتضرع إليه، ليكشف عنهم ما هم فيه من المحن والهم والغم، وكذلك فعل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فنجاهم الله تعالى ونصرهم على الكافرين من أقوامهم.

المطلب الثاني: غضب آزر من ابنه إبراهيم عليه السلام وتهديده له بالرجم

قال تعالى: ﴿ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَٱهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ ﴾ [مريم:46].

ذُكر آزر في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ ﴾[الأنعام:74]

خطاب إبراهيم عليه السلام مع أبيه آزر كان في بلده وموطنه العراق، قبل أن يهاجر إلى الأرض المقدسة –فلسطين– التي باركها الله تعالى. ويمكن القول: إن هذه المرحلة الأولى من حياة سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام، مرحلة الرشد، والهداية، والاجتباء، والاصطفاء، ومواجهة القوم، ومحاججتهم، ومرحلة تعرضه للمحن والإيذاء والتهديد. ولما كان إبراهيم عليه الصلاة والسلام يرى من أبيه آزر وقومه ما يرى من أعمال كفرية وشركية كعبادة الأصنام والأوثان، وتقديسها وتعظيمها، والاعتقاد بأنها تنفع وتضر، أنكر ذلك، وسألهم عن أفعالهم لعلهم يرجعون ويتوبون، لعل السؤال يعيدهم إلى رشدهم، وعساه أن يزحزح الران الذي غطى قلوبهم، فيبصروا ويعقلوا فيؤمنوا.

ورغم التلطف والأدب في كلام إبراهيم عليه الصلاة والسلام لأبيه، وحرصه على هدايته، والشفقة عليه من عذاب الله تعالى، إلا أن آزر لم يستجب، بل تملكه الغيظ والغضب وهدّد إبراهيم إن لم ينته، وتوعده بالعقوبة... قال الله تعالى: ﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَٱهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴿٤٦﴾﴾[مريم:46]. هدّده بالرجم، وأمره بالخروج من بلده، وأن يهجره وقتًا طويلًا. فرغم الألفاظ الرقيقة، والعبارات اللطيفة، والدعوة الرحيمة التي كان يخاطب بها إبراهيم عليه الصلاة والسلام بها آزر إلا أنه ردّ عليه بالغلظة، والفظاظة، والوعيد، والتهديد، والغضب الشديد، وهذا يدل على قساوة قلبه، وبغضه لإبراهيم وما جاء به، وكرهه لذلك، ومدى فوران الغضب والغيظ في قلبه على إبراهيم، ليوقع به أقسى أنواع العقاب وأشدها إيلامًا، وأبشعها صورًا، تتمثل بالتصفية الجسدية من خلال رجمه بالحجارة.

الدروس والقيم التربوية المستفادة

- يمكن القول إن القيم التربوية المستفادة من هذا المطلب تماثل ما ذُكر في المطلب السابق.

المطلب الثالث: غضب الكفار من نبي الله لوط عليه السلام وتهديدهم له بالإخراج

قال تعالى: ﴿قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾﴾[الشعراء:167]

في هذا المشهد يظهر انفعال الغضب العارم وفوارنه الذي أصاب أهل قرى قوم لوط، ظاهرًا جليًا، على تصرفاتهم وكلامهم، والذي يصور حالة العدوان والهيستيريا التي أصابتهم، حيث تظهر حالتهم النفسية الممتلئة غيظًا وبغضًا وغضبًا من نبيهم لوط ومن دعوته لهم، ونهيهم عن الفعلة الشنيعة التي ملؤوا أنديتهم ومجالسهم بها.

كان لوط عليه الصلاة والسلام يعيش في العراق، وقد آمن بدعوة إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وهو ابن أخي إبراهيم عليه الصلاة والسلام[1]، وهاجر معه إلى الأرض المباركة؛ أرض فلسطين، ثم بعثه الله سبحانه

[1] ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (444/3)، (157/6)، (272/6)، وأيضًا: ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي البصري ثم الدمشقي، (ت: 774هـ)، قصص الأنبياء، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، دار الكتب الحديثة، مطبعة دار التأليف، مصر، ط1، 1388هـ-1968م، (254/1)

إلى أُمَّة تسَّمى (سَدُومَ)، جنوب شرق فلسطين يدعو أهلها إلى عبادة الله تعالى، ويبلغهم رسالته وشرعه، ويأمرهم بالمعروف، وينهاهم عن المنكر والشر والعصيان.

بقي لوط فيهم دهرًا طويلًا يدعوهم، ويأمرهم بالتوبة من الذنوب، والكفّ عن السيئات، والرجوع عن فعل المنكرات، ويخوفهم عاقبة معاصيهم وأعمالهم الفاحشة القبيحة الدنيئة، ولكنهم أبوْا وتمادوا في الطغيان، فقد كانوا منحرفين سلوكيًا، وعندهم شذوذ جنسي، ويجاهرون بأفعالهم القبيحة، ولا يتورعون، فلقد غابت عنهم كل معاني الحياء، وظهر فسادهم في مجتمعاتهم، وصمّوا آذانهم، وما أرادوا سماع مواعظه ونصائحه ودعوته، بل هددوه بالإخراج والنفي من القرية التي يسكنها معهم. قال تعالى يصف حالتهم النفسية المشحونة بالغضب والكُره وحب الانتقام: ﴿قَالُواْ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾﴾[الشعراء:167] أي: ننفيك من بين أظهرنا ومن بلدنا[1]. لقد اتفقوا فيما بينهم على إخراجه من قريتهم، وتعالت أصواتهم لنفيه، واتفقت كلمتهم على طرده، لأنه يأبى أن يكون مثلهم، لأنه يُمثل الطهر والعفة والنقاء والفضيلة. قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾﴾[الأعراف:82]، وقال تعالى: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾﴾[النمل:56]، إنه انقلاب للموازين، ورفض لكل القيم والأعراف، وثورة على الأخلاق والفضائل، وتمرّد على كل معاني الشرف، واعتبار الطهر جريمة، حتى باتت كثير من البرلمانات تقنن تشريع اللواط والسحاق في عصرنا هذا.

الدروس والقيم التربوية المستفادة

- يمكن القول: إن القيم التربوية المستفادة من هذا المطلب تماثل أيضًا ما ذُكر في المطلب الأول.

[1] انظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (389/19)، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (158/6)

المطلب الرابع: غضب الكفار من نبي الله شعيب عليه السلام وتهديدهم له بالإخراج والرجم

المشهد الأول: الغضب والتهديد بالإخراج

قال الله تعالى: ﴿قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ لَنُخۡرِجَنَّكَ يَٰشُعَيۡبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرۡيَتِنَآ أَوۡ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۚ قَالَ أَوَلَوۡ كُنَّا كَٰرِهِينَ ٨٨﴾[الأعراف:88]

في هذا المشهد نرى بوضوح وجلاء انفعال الغضب العارم وشدته الذي أصاب قوم شعيب، من خلال قسوة كلامهم، والذي يصور حالة الهيستيريا والعداء الذي أصابهم، حيث تظهر حالتهم النفسية الممتلئة حنقًا وبغضًا وغيظًا من نبيهم شعيب ومن دعوته لهم.

لقد بعث الله تعالى شعيباً عليه الصلاة والسلام نبياً ورسولاً إلى قوم مدين، وشعيب عليه الصلاة والسلام من الأنبياء العرب، ويسمّيه المفسرون "خطيب الأنبياء، لحُسن مراجعته قومه"[1]، وبراعته في الحوار وإقامة الحجة عليهم. "كان أهل مدين قوما عربًا يسكنون مدينتهم (مدين) التي هي قريبة من أرض معان من أطراف الشام، مما يلي ناحية الحجاز قريبًا من بحيرة قوم لوط، وكانوا بعدهم بمدة قريبة"[2].

والقرآن الكريم عندما يعرض قصة شعيب عليه الصلاة والسلام مع قومه ويسردها بعد ذِكْر قصص أنبياء مع أقوامهم بالترتيب الزمني، وتتابع قصص الأنبياء في سور القرآن الكريم يدل على الترتيب الزمني لهم. فكانت قصة شعيب عليه الصلاة والسلام مع قومه ترِد بعد ذِكْر قصة لوط عليه السلام مع قومه؛ كما في السور الآتية: الأعراف، هود، الحِجر والشعراء. وهذا يدلّ على قُرب قبيلة مدين من قرى قوم لوط زمانًا ومكانًا، ولما كان شعيب عليه الصلاة والسلام يدعو قومه كان يُذكّرهم بحال الأقوام السابقين، قال تعالى على لسانه: ﴿وَيَٰقَوۡمِ لَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شِقَاقِيٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثۡلُ مَآ أَصَابَ قَوۡمَ نُوحٍ أَوۡ قَوۡمَ هُودٍ أَوۡ قَوۡمَ صَٰلِحٖۚ وَمَا قَوۡمُ لُوطٖ مِّنكُم بِبَعِيدٖ ٨٩﴾[هود:89]. وورد في القرآن الكريم اسم آخر لقوم مدين، هو: أصحاب الأيكة. وقد

[1] انظر: الطبري، جامع البيان (567/12)، ابن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم (1522/5)

[2] ابن كثير، قصص الأنبياء (275/1)

ذكرهم الله تعالى في كتابه الكريم بهذه الصفة –أصحاب الأيكة– في أربعة مواضع[1]. وسبب تسميتهم بأصحاب الأيكة لأنهم كانوا يعبدون شجر الأيك[2].

وطبيعة أهل مدين كما أخبر القرآن الكريم عنهم أنهم كانوا كفّارًا، يقطعون السبيل، ويسيئون المعاملة، ويطففون في الميزان، ويبخسون في المكيال، فيأخذون بالزائد، ويدفعون بالناقص.

قال القرطبي: "كانوا مع كفرهم أهل بخس وتطفيف، كانوا إذا جاءهم البائع بالطعام أخذوا بكيل زائد، واستوفوا بغاية ما يقدرون عليه وظلموا، وإن جاءهم مشتر للطعام باعوه بكيل ناقص، وشححوا له بغاية ما يقدرون"[3].

فأرسل الله تعالى إليهم نبيه شعيبًا يدعوهم إلى توحيده وعبادته سبحانه، وعدم ظلم الناس، ويحذرهم من بخس الناس حقوقهم، وخاصة التطفيف في الميزان، وأن يزِنوا بالعدل دون نقصان، ولا يتعرضوا لأحد بسوء أو إيذاء، وعدم الإفساد في الأرض، لقد كان أهل مدين مفسدين فسادًا أخلاقيًا واقتصاديًا وتجاريًا، والفساد في البيع والشراء وعدم العدل فيه سبب إنزال النقم والعذاب والهلاك. والعدل أساس النِّعم وفيه صلاح الناس. قال قتادة: "العدل صلاح الناس"[4].

وظل شعيب يدعوهم إلى عبادة الله تعالى وطاعته، ويحذرهم معصيته، ويذكرهم أن يَزِنُوا بالقسطاس المستقيم، السوي، الذي لا بخس فيه ولا نقصان، ولا تطفيف.

وكان شعيب عليه الصلاة والسلام يُرغّبهم بالتوبة، ويُذكرهم بنِعَم الله تعالى عليهم الكثيرة، وفضله الكبير، إذ كانوا قِلّة فكثّر عددهم، ورزقهم بالبنين والأحفاد.

وبعد كل محاولات شعيب عليه الصلاة والسلام في إقناع قومه بأن يؤمنوا إلا أنهم رفضوا دعوته، وانزعجوا كثيرًا منه، وغضبوا شديد الغضب، وترجموا هذا الغضب إلى التهديد والوعيد، حيث هدّدوه علانية أمام الملأ

---

[1] الشعراء: 176، الحجر:78، ص:13، ق:14.

[2] انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (76/6). بتصرف.

[3] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (85/9)

[4] انظر: الثعلبي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن (178/9)، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (155/17).

بالنفي والإخراج، إلا أن يعود في ملتهم الكافرة المخالفة للشرع الإلهي. قال تعالى عن تهديد أهل مدين لنبيهم: ﴿قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ لَنُخۡرِجَنَّكَ يَٰشُعَيۡبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرۡيَتِنَآ أَوۡ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۚ قَالَ أَوَلَوۡ كُنَّا كَٰرِهِينَ ٨٨﴾[الأعراف:88]

وهذه سُنة الطواغيت الظالمة إذا غُلبوا بقوة الحق والدلائل والبراهين والحجج، فإنهم يلجؤون إلى استعمال القوة، والبطش والتهديد والوعيد.

لقد فات أهل مدين أن الدين لا يُقدّم عليه وطن ولا ولد ولا منصب ولا جاه، لأن أصحاب الرسالات يُضحون من أجل دعواتهم بأغلى ما يملكون، لأن قوة العقيدة والحق لا تتراجع ولا تضعف أمام التهديد والوعيد، فلا تنازل عن العقيدة مهما كان الثمن باهظًا، ولو أدى إلى الإخراج من الأرض والنفي في البلاد.

المشهد الثاني: الغضب والتهديد بالرجم

قال تعالى: ﴿قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ مَا نَفۡقَهُ كَثِيرٗا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفٗاۖ وَلَوۡلَا رَهۡطُكَ لَرَجَمۡنَٰكَۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡنَا بِعَزِيزٖ ٩١﴾[هود:91]

وهذا المشهد كالمشهد السابق، حيث تملك القوم انفعال الغضب الشديد، والغيظ الكبير، والكره والبغض اتجاه نبيهم شعيب عليه السلام، فأرادوا أن يفتكوا به، ويقتلوه رجمًا بالحجارة، حتى يتخلصوا منه ومن دعوته، لولا رهطه.

لقد بلّغ شعيب عليه الصلاة والسلام قومه رسالة ربه، ودعاهم لعبادته سبحانه، وبذل في ذلك جهدًا كبيرًا، وعرض دعوته بأساليب متنوعة، كالترغيب والترهيب وتذكيرهم بنِعم الله تعالى عليهم، حرصًا على إيمانهم، وشفقة عليهم من النقم والعذاب، إضافة إلى ذلك أراد أن يطهّر مجتمعهم من الفساد المالي والاقتصادي الذي كان قد انتشر بينهم، ومع ذلك فقد جادلوه وردوا عليه بالتهديد إن لم يكف عن الاستمرار فيما هو عليه.

بقي نبي الله شعيب عليه السلام يدعوهم للإيمان، ويعدهم مغفرة من الله تعالى وفضلًا ورحمة ورزقًا وهداية، وهم يتوعدونه ويهددونه بالرجم حتى الموت، لولا رهطه وعشيرته، حيث كانوا على ملتهم الفاسدة، وهو ليس بذي منعة وعزة ومنزلة، ولكن مجاملة لعشيرته التي على منوالهم، وهذه عادة المحجوج المغلوب، حيث يقابل الحجج بالسب والتهديد[1].

قال سيد قطب: "وحين تفرغ النفوس من العقيدة القويمة والقيم الرفيعة والمثل العالية؛ فإنها تقبع على الأرض ومصالحها القريبة وقيمها الدنيا؛ فلا ترى حرمة يومئذ لدعوة كريمة، ولا لحقيقة كبيرة، ولا تتحرج عن البطش بالداعية إلا أن تكون له عصبة تؤويه، وإلا أن تكون معه قوة مادية تحميه. أما حرمة العقيدة والحق والدعوة فلا وزن لها ولا ظل في تلك النفوس الفارغة الخاوية"[2].

والرجم هنا القتل، أي: كان قصدهم أن يرموه بالحجارة حتى يموت. لأن الرجم من أبشع أنواع القتل، ففيه ألم شديد، ورهبة أكبر من غيره، فالذي يُقتل بالرصاص أو بالسيف لا يشعر إلا بألم واحد مرة واحدة، وأما القتل بالرجم فإنه يتجرع الموت مع كل رمية حجر، وهو يرى الدماء تنزف من رأسه، ومن وجهه، ومن جنبه. والذي يظهر أنهم كانوا يعاقبون بالرجم، وإذا أرادوا قتل أحدهم رجموه بالحجارة[3].

وهكذا تتجلى انفعالات الغضب عند قوم شعيب والمتمثلة بالغضب بإرادة الانتقام والإجرام من خلال رجم نبيهم بالحجارة.

الدروس والقيم التربوية المستفادة

- يمكن القول: إن القيم التربوية المستفادة من هذا المطلب تماثل أيضًا ما ذُكر في المطلب الأول.

---

[1] انظر: حجاجرة، عرسان غازي، تهديدات الإنسان للإنسان في القرآن الكريم، ص60، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، 2016م.

[2] قطب، في ظلال القرآن (263/4)

[3] انظر: حجاجرة، تهديدات الإنسان للإنسان في القرآن الكريم، ص61.

المطلب الخامس: الغضب عند فرعون

المشهد الأول: غضب فرعون من موسى وتهديده له بالسجن

قال تعالى: ﴿قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾﴾[الشعراء:29]

انفعال الغضب ظاهر على فرعون، لأن موسى ذكّره بالله تعالى، الإله الحق رب العالمين، ورب السماوات والأرض، ورب المشارق والمغارب، والذي بيده الأمر كله والسلطان والقوة، وله الجبروت والكبرياء والحكم... فلما سمع فرعون ذلك أخذته العزة بالإثم، واستشاط غضبًا وحنقًا، فقال له مستكبرًا متماديًا في الغي، مسرفًا في الظلم، مهددًا موسى بالسجن: {لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ} لأنه ادّعى الألوهية في قومه، وأراد منهم أن يعبدوه ويقدسوه ويعتبروه إلهًا يتحكم في أعمارهم وأرزاقهم وكل حياتهم، وأنه بأمره وإرادته تمضي شؤون الناس وتقضى أمورهم، وقد سجّل القرآن الكريم المشهد في سورة النازعات: ﴿فَأَرَىٰهُ ٱلْآيَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾[النازعات:20-24]. وقال سبحانه: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾ وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾﴾[القصص: 38-39].

ذكر بعض المفسرين[1]: "أن سجنه كان أشد من القتل، فإنه كان يحبس الرجل وحده في موضع لا يسمع شيئًا ولا يبصر شيئا، ويهوى في الأرض". قال الزمخشري: "وكان من عادته أن يأخذ من يريد سجنه فيطرحه في هوّة ذاهبة في الأرض بعيدة العمق فردًا لا يبصر فيها ولا يسمع، فكان ذلك أشدّ من القتل وأشدّ"[2]. وهذا كالسجن الانفرادي في زماننا، لا يبصر فيه شيئًا، ولا يسمع فيه صوتًا، حتى يموت. فكان السجن أصعب

[1] انظر: السمعاني، تفسير القرآن (43/4)، البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن (465/3)

[2] الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (309/3)، وانظر: النيسابوري، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي، (ت:850هـ)، غرائب القرآن ورغائب الفرقان، المحقق: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية –بيروت، ط1، 1416هـ، (268/5)

من القتل، لأن القتل ميتة واحدة، وألم واحد، لا كالسجن حتى الموت، فإنه يموت كل يوم ألف مرة، وآلامه لا تحصى، ولربما طالت به الحياة في السجن الانفرادي هذا، فتزداد آلامه، وغصصه، ومعاناته.

قال البيضاوي: "واللام في {الْمَسْجُونِينَ} للعهد أي ممن عرفت حالهم في سجوني فإنه كان يطرحهم في هوة عميقة حتى يموتوا ولذلك جعل أبلغ من لأسجننك"[1]. ولو قيل: "لأسجننك لم يؤدّ هذا المعنى وإن كان أخصر"[2].

والتهديد بعد الغضب الذي تملّك فرعون يدل على انقطاع حجته، لأنه رجع إلى الاستعلاء واستخدام القوة، وعدل إلى التخويف، حيث توعّد موسى عليه السلام بالسجن، وهدده بالحبس، وهنا يظهر ضعفه وانقطاع حجته، وأن قواه التي يتحكم من خلالها بالناس قد خارت أمام نبي الله موسى، فأراد تخويفه وأصدر تهديده.

المشهد الثاني: غضب فرعون من السحرة وتهديده لهم

وهذا الانفعال الفرعوني تكرر في ثلاثة مشاهد في القرآن الكريم، حيث جُنّ جنون فرعون، وارتفعت وتيرة الغضب عنده، حتى أصدر التهديدات بتقطيع أيدي وأرجل السحرة من خلاف وأنه سيصلبنّهم في جذوع النخل، لأنهم آمنوا بموسى عليه السلام، وعلموا أن العصا التي بيد موسى هي معجزة عظيمة، لا يستطيعوا مواجهتها بالتخييل والسحر، وأنها ليست خدعة بصرية كما يفعلون بحبالهم وعصِيّهم التي ألقوها في ميدان المواجهة يوم الزينة.

قال تعالى: ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا۟ مِنْهَآ أَهْلَهَا ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾ ﴾[الأعراف:124-125]

وقال تعالى: ﴿ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾ ﴾[طه:71]

---

[1] البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل (136/4)

[2] النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل (560/2)، وانظر: أبو حيان، البحر المحيط في التفسير (152/8)

وقال تعالى: ﴿قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۚ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾﴾[الشعراء:49]

تُظهر الآيات السابقة حدة فرعون وغضبه العارم، وحالته الانفعالية الحادة، الذي عبّر عنه من خلال غطرسته بعقاب أليم تتمثل شدته في تهديد السحرة بالتصفية الجسدية في أبشع صورة وأقساها، والتي هي تقطيع الأيدي والأرجل من خلاف، لتشويه أجسادهم، والتعبير عن الانتقام منهم لأنهم خذلوه أمام موسى عليه السلام الذي يعتبره فرعون الخطر الحقيقي لزوال ملكه وسلطانه، فلما بانت المعجزة العظيمة، وظهرت أمام الناس عيانًا، وخرّ السحرة ساجدين، وقد آمنوا برب العالمين، وشعر فرعون بالهزيمة النكراء، امتلأت نفسه غضبًا، وبان ثوران دمه على فلتات لسانه، فأخذ يتوعد ويهدد، وهذا ما تكشفه بنية النص لهذا الغضب الجارف، إذ يبدو أنه –بعد أن تملّكه انفعال الغضب وهو أقسى وأشد الانفعالات النفسية– قد علا صوته، واشتدت نبرته، واحمرّ وجهه وما ذلك إلا بعد غليان دم قلبه المتألم بطلب الانتقام، فأعلن متوعدًا ومهددًا أمام الجماهير الغفيرة المجتمعة في يوم الزينة أنه بعد تقطيع الأيدي والأرجل من خلاف سيصلّبنّهم في جذوع النخل ليكون أشدّ في التعذيب والانتقام، وأشفى لصدره الذي يغلي ويفور.

ويكفل المدّان المتتاليان في قول فرعون: (آمنتم، آذن)، وتتابع عناصر التوكيد، وتعاقب الشدّات بعضها في إثر بعض بإيحاء هذه المعاني، وإلى تلك العلاقة بين المعنى في النفس، وتجلّياته في الصوت حرفًا وحركةً أشار بعض الباحثين بقولهم: إن مادة الصوت هي مظهر الانفعال النفسي، وإن هذا الانفعال بطبيعته إنّما هو سبب في تنويع الصوت، بما يخرجه فيه مدًّا أو غنّة أو لينًا أو شدّة، وبما يهيئ له من الحركات المختلفة في اضطرابه وتتابعه على مقادير تناسب ما في النفس من أصولها[1].

[1] ينظر: الرافعي، مصطفى صادق (ت: 1356هـ)، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الكتاب العربي –بيروت، ط8، 1425هـ–2005م، (ص: 149)، وينظر: أنيس، إبراهيم، دلالة الألفاظ، مكتبة الأنلجو المصرية، ط3، 1976م، ص70.

وتصوّر استعارة حرف الجر في قوله تعالى على لسان فرعون: {وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ} بُعدًا آخر من مشاعر الغضب، فهو يوحي بتمكن المصلوبين في جذوع النخل أشد التمكين، وكأن جذوع النخل صارت أوعية يُشدُّ خناقها على السحرة، وفي ذلك إشارة إلى شدة وثاقهم بجذوع النخل، وهذا المعنى بدوره يحيل إلى معنى أعمق وهو شدة الغضب عليهم، وسَورة الاغتياظ منهم، وهيجان نفس فرعون بدافع الانتقام والبغض، يُضاف إلى ذلك أن تصوير الغضب "يتجلّى في الفعل مشدّد العين (أُقطّعنّ، وأصلّبنّكم) كما تضيف نون التوكيد معنى الشدة، وثمة نبرة قوية في الوقوف على الميم الساكنة ثلاث مرات، وفي الوقوف على الباء الساكنة في الكلمة الأخيرة (أبْقى)، وكل هذا يساعد على تجسيم الغضب، وشدة الوعيد"[1].

وكذلك فإن الصيغ التوكيدية المتلاحقة في النص تعمل على انعكاس هذه النفس الثائرة المشحونة بأحاسيس الغضب المستعر، والغيظ الشديد، لتُصدر الوعيد والتهديد.

المشهد الثالث: غيظ فرعون من تحركات بني إسرائيل

قال تعالى: ﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ ﴿٥٦﴾﴾[الشعراء: 53-56]

في هذا المشهد لا بد من تعريف الغيظ حتى يظهر جليًا من خلال انفعالات الكافرين.

الغيظ هو "الغضب المحيط بالكبد، وهو أشد الحنق"[2]، وقيل: "هو أشد الغضب، وقيل: سورته وأوله"[3]. وقيل: "الغيظ غضبٌ كامنٌ للعاجز"[4]. وهو الحرارة التي يجدها الإنسان من فوران دم قلبه[5] وثورانه[6]، "والغيظ يؤلم

[1] ياسوف، أحمد، جماليات المفردة القرآنية، ص252، دار المكتبى –دمشق، ط2، 1419هـ-1999م

[2] الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير (459/2)

[3] الفيروزآبادي، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (155/4) –بتصرف يسير.

[4] ابن منظور، لسان العرب (450/7)

[5] ينظر: الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن (ص: 619)

[6] ينظر: الفيروزآبادي، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (155/4)

القلب""[1]. وهو "موقف عاطفي انفعالي يتميز بالحقد على امرئ والاستياء منه[2]. فهو انفعال نفسي خفي، يحدث كرد فعل على شيء، ويبدو الشخص عاجزًا عن إلحاق الضّرر بالآخرين، فيلجأ إلى إيذاء نفسه، أو إلحاق الضّرر بالآخرين لدرجة الانتقام والتدمير[3].

ولقد ورد لفظ (غيظ) وما يشتق منه، في أحد عشر موضعًا من القرآن الكريم، وقد جاء مسندًا إلى النفس الإنسانية في تسعة مواضع[4]، ويبدو العمق النفسي للغيظ بما يقترن به من دلالات، كالكيد مثلًا، وأيضًا بما يصاحبه من ظواهر كإيذاء النفس كعض الأنامل، الوارد في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ ﴿١١٩﴾﴾[آل عمران:119]، أو الانتقام من الآخرين، كقوله تعالى على لسان فرعون حينما أراد الانتقام من بني إسرائيل: ﴿ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ ﴿٥٥﴾﴾[الشعراء: 54-55].

والغائظون جمع غائظ، وهو الذي يسبب الغيظ لغيره، بسبب أعمال أو تصرفات لا يرضاها، وقد كانت أعمال وأقوال موسى ومن معه من المؤمنين لا تعجب فرعون ولا ترضيه، بل تغيظه وتغضبه، وتُشعل النار في قلبه، وترفع درجة السخط والتوتر في نفسه، فينفعل انفعالًا يؤثر على أفعاله وكلامه، فقد غاظه موسى وهارون ومن تبعهما من بني إسرائيل، لتمردهم عليه، وتحديهم، ومخالفتهم له في الدين، وعصيانهم أمره، إذ نادى في القوم: ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ﴾[النازعات:24]، وهدّد موسى حينما دعاه إلى الله تعالى ﴿قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾﴾[الشعراء:29]، وأغضبه كذلك خروجهم من أرضه رغمًا عنه، فلما سمع أنهم قد تجمعوا وتهيئوا للخروج، زاد حنقه وغضبه في نفسه واشتعلت نيران الغيظ فيه، وقد أكدت الآية هذه المشاهد في أكثر من مؤكد؛ فهي تبدأ بـ (إنّ) التي تفيد التوكيد، ثم جاءت لام التوكيد في كلمة (لَغَائِظُون) لتؤكد الأمر مرة بعد مرة، ولتُعْرض لنا نفسية فرعون الحاقدة المتكبرة التي امتلأت غيظًا وحنقًا

---

[1] ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب (ت: 751هـ)، إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، تحقيق: محمد حامد الفقي، مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية (19/1)

[2] ينظر: رزوق، أسعد: موسوعة علم النفس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط3، 1987م، ص202

[3] ينظر: ياسين، زين، ألفاظ أحوال النفس وصفاتها في القرآن الكريم ص303

[4] انظر الآيات: آل عمران 119 (مرتان)، 134، التوبة 15، 120، الحج 15، الشعراء 55، الأحزاب 25، الفتح 29

وغضبًا، وبهذا المشهد المثير يظهر لنا الانفعال الكبير الذي مرّ به فرعون، ويظهر حجم الغضب والغيظ الذي ملأ نفسه، حتى قال بلسانه: {وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ}.

القيم التربوية المستفادة

- يمكن القول: إن القيم التربوية المستفادة من هذا المطلب تماثل أيضًا ما ذُكر في المطلب الأول.

المطلب السادس: غضب أصحاب القرية من رسلهم وتهديدهم لهم بالرجم

قال تعالى: ﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلًا أَصۡحَٰبَ ٱلۡقَرۡيَةِ إِذۡ جَآءَهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱثۡنَيۡنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزۡنَا بِثَالِثٖ فَقَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَيۡكُم مُّرۡسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُواْ مَآ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَكۡذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُواْ رَبُّنَا يَعۡلَمُ إِنَّآ إِلَيۡكُمۡ لَمُرۡسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيۡنَآ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٧﴾ قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرۡنَا بِكُمۡۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهُواْ لَنَرۡجُمَنَّكُمۡ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١٨﴾﴾[يس: 13-18].

ذكر بعض المفسرين أسماء هؤلاء الرسل[1]، فأعرضت عن ذكرهم، لأنه لم يثبت في القرآن الكريم ولا في السنة المطهرة خبر صحيح بأسمائهم، ومعظم ما ورد فيه من الإسرائيليات التي لا طائل من البحث فيها والخوض في تفاصيلها. وكذلك بالنسبة لاسم القرية، فلم يعينها الله تعالى، ولم يشر إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فعدم الخوض في ذلك أسلم وأنفع، لأن العبرة في القصة أهم من تعيين اسم القرية وأسماء الرسل، واسم ملك القرية.

[1] انظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (500/20). القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (14/15). الكشف والبيان عن تفسير القرآن (124/8). الماوردي: النكت والعيون (272/2)، ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير (189/5). ابن عاشور، التحرير والتنوير (359/23).

قال السعدي: "وتعيين تلك القرية، لو كان فيه فائدة، لعينها الله، فالتعرض لذلك وما أشبهه من باب التكلف والتكلم بلا علم، ولهذا إذا تكلم أحد في مثل هذا تجد عنده من الخبط والخلط والاختلاف الذي لا يستقر له قرار"[1].

ومثل ذلك قال سيد قطب: "ولم يذكر القرآن من هم أصحاب القرية ولا ما هي القرية. وقد اختلفت فيها الروايات. ولا طائل وراء الجري مع هذه الروايات، وعدم إفصاح القرآن عنها دليل على أن تحديد اسمها أو موضعها لا يزيد شيئا في دلالة القصة وإيحائها، ومن ثم أغفل التحديد، ومضى إلى صميم العبرة ولبابها"[2]. فالمهم من قصة أصحاب القرية المذكورة في هذه الآيات أنهم من شدة غيظهم وغضبهم هدّدوا رسلهم بالرجم والعذاب الأليم. قال سبحانه: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرۡنَا بِكُمۡۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهُواْ لَنَرۡجُمَنَّكُمۡ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ ١٨﴾[يس:18]. ففي هذا المشهد يظهر انفعال الغضب العارم وفورانه الذي أصاب أهل القرية جليًا، على تصرفاتهم وكلامهم، حتى بات حديثهم في أنديتهم، واجتماعاتهم، ومجالسهم، فامتلؤوا غيظًا وحنقًا وبغضًا، فاجتمعت كلمتهم على التخلص منهم، من خلال التصفية الجسدية للرسل الكرام عليهم السلام بطريقة بشعة جدًا، وقاسية ومؤلمة وشديدة؛ هي الرجم.

ومعنى {لَنَرْجُمَنَّكُمْ} أي لنقتلنكم[3]، والمقصود: رجمًا بالحجارة حتى تموتوا، وهذا يعكس الانفعال النفسي لدى هؤلاء، والهدف من كل هذا التهديد هو القضاء على الدعوة ودعاتها وحمَلَتِها قضاء نهائيًا، فما فائدة التهديد وما قوته إن كان المعنى فقط أن يُرمى عليهم حجر أو بعض الحجارة دون منعهم عن الاستمرار بالدعوة، فهذا لا يحقق لهم رغبتهم في القضاء على الدعوة، فإن أهلها من الرسل والدعاة سينتقلون إلى مكان آخر يدعون الناس فيه، وإلى مجتمع غير الذي هم فيه ليبلّغوا ما أمروا به[4].

---

[1] السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله (ت: 1376هـ)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ-2000م، (693/1).

[2] سيد قطب، في ظلال القرآن (2961/5)

[3] الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (282/4)، السمرقندي، بحر العلوم (120/3)، الثعلبي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن (125/8)، مكي، الهداية الى بلوغ النهاية (6015/9)، الماوردي، النكت والعيون (12/5)، السمعاني، تفسير القرآن (372/4)، البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن (10/4)، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (16/15)

[4] انظر: حجاجرة، تهديدات الإنسان للإنسان في القرآن الكريم ص62.

الدروس والقيم التربوية المستفادة

- يمكن القول: إن القيم التربوية المستفادة من هذا المطلب تماثل أيضًا ما ذُكر في المطلب الأول.

المطلب السابع: غيظ الكافرين لخيبتهم مما طمعوا به

قال تعالى: ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيۡظِهِمۡ لَمۡ يَنَالُواْ خَيۡرٗاۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلۡقِتَالَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيّٗا عَزِيزٗا ٢٥﴾[الأحزاب:25].

هذا المشهد يُظهر غيظ كفار قريش وغطفان في غزوة الأحزاب، حيث ردّهم الله تعالى بحقدهم وغمهم، وحنقهم، وكمال غضبهم، "بفوتهم ما أمَّلوا من الظفر، وخيبتهم مما كانوا قد طَمِعوا فيه من الغَلَبة والغنيمة، فلم يصيبوا من المسلمين مالًا ولا إسارًا"[1]، وكان قائد جموع الأحزاب يومذاك أبو سفيان، وكفى الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين القتال بجنود من الملائكة والريح التي بعثها على معسكر الكافرين، فانهزموا من غير قتال، وانصرفوا عن المدينة مع غيظ منهم، لم يشف صدورهم بنيل ما أرادوا، قال القرطبي: "ورجعت بنو قريظة إلى صياصيهم، فكفي أمر قريظة- بالرعب"[2].

فرجعوا خائبين يجرون ذيول الخزي والذل والخسارة والهزيمة، لم يحصّلوا إلا عناء السفر، وغرم النفقة، ولم يحتج المؤمنون للاشتباك معهم، ومبارزتهم، وهذا من فضل الله تعالى العزيز القوي الذي بيده الأمر والنصر. فكل ما حصّلوه من هذه الجموع الكثيرة، والقوات الكبيرة، والتحالفات السرية والعلنية، والعتاد والعدة والجيوش المؤلفة، هو هذا الغيظ، الذي ملأ قلوبهم، وأترع نفوسهم، وقد كانوا يأملوا أن يعودوا إلى ديارهم محملين بالهدايا والغنائم والانتصارات، وأن يستقبلوا بالورود والرياحين، والأهازيج والطبول والزغاريد، لكنهم عادوا يحملون الذل والعار والهوان والغيظ والغضب، وكان هذا الغيظ ملاصقًا لهم حينما رجعوا خائبين، فالباء في {بغيظهم} "للملابسة"[3].

---

[1] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (242/20)

[2] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (160/14)

[3] ابن عاشور، التحرير والتنوير (310/21)

الدروس والقيم التربوية المستفادة

- على المؤمن أن يعلم جيدًا أن أعداء الإسلام كثير، وأن الكفر ملة واحدة، وهمهم على مدار قرون طويلة، وعلى امتداد فترات زمنية متتالية، تجييش الجيوش، وحشد الجموع، وإعداد العدة، وقرع طبول الحرب للقضاء على الإسلام، حتى لا تُحكّم شريعته، وحتى لا ينتشر بين الناس، إنهم يريدون أن يشّرعوا الأحكام والدساتير والقوانين بما يتلاءم مع رغباتهم، ويتناغم مع أهوائهم، دون اعتبار لشريعة السماء، المهم أن تبقى أنظمتهم تتحكم في رقاب الناس وأموالهم ودمائهم واقتصادهم وتجاراتهم وأرضهم ومناهج التعليم عندهم وغير ذلك من الأمور.
- على المؤمن أن يعلم جيدًا أنه قد يتحالف مع معسكر الشر ومع الأعداء مَن هم مِن العرب والمسلمين، ضد الجماعات والأقليات المسلمة، والحركات الإسلامية المعتدلة الوسطية، فتجد هؤلاء المتآمرين يشرّعون القوانين التي تحدّ من نشاطات الجمعيات والحركات الإسلامية، وتمنعها من القيام بواجبها الإنساني والدعوي ويضيّقون عليهم كثيرًا، فيسجنون قاداتهم، ويخرجون جمعياتهم عن القانون، ويصفونهم بالإرهاب، ويسومونهم أشد العذاب، ويسهّلوا على أعدائهم القضاء عليهم، ألا فليعلم الدعاة أن هذا تاريخ مقروء، وحاضر مُشاهد، فليوطنوا أنفسهم على الصبر والاحتساب.
- على المؤمنين أن يعلموا أن الله تعالى معهم، ينصرهم ولن يخذلهم أو يضيعهم، وأنه يمدهم بجنود من عنده؛ وجنوده كثيرون، لا يعلمهم إلا هو سبحانه، فما عليهم إلا أن يصدُقوا مع الله تعالى، ويُحسنوا الظن به، يتوكلوا عليه، ويعدوا العدة، ويُجهّزوا للحرب كل ما أمكنهم من وسائل القوة للهجوم والدفاع، ويكونوا صفًا واحدًا، كالبنيان المرصوص.
- المؤمنون الصادقون يعلمون أن القلة والكثرة لا ترتبطان بالهزيمة والنصر، فليست الهزيمة مرتبطة بقلة العدد والعتاد، وليس النصر مرتبطًا بكثرة الجيوش ووفرة السلاح، بل بالروح المعنوية، والقوة الإيمانية التي تقاتل من أجل العقيدة الصافية، التي تنشر دين الإسلام الذي أساس بنيانه العدل والرحمة والأخلاق

الحميدة الحسنة، ومحاربة الطواغيت، والتقاليد والعادات والأعراف السيئة، التي تشجع وتدعم الفساد بكل جوانبه؛ فساد العقيدة والأخلاق والمعاملات.

- قد يكون بين جماعات المؤمنين مخذِّلون مثبِّطون، في قلوبهم مرض، ومن فوائد المحن والشدائد أنها تكشف أولئك المندسّين بين الصفوف، وتُظهر معدنهم وحقيقتهم وانتماءاتهم، فيعرف الناس زيفهم وخبثهم.
- المؤمنون يعلمون أنه مهما اشتدت المحن، وكثرت الأزمات، وتكالبت الأمم، وتجمعت الحشود، وجيشت الجيوش والعساكر، للقضاء على الإسلام وإطفاء نوره، فلن يستطيعوا، فالأمر كله بيد الله، والله متم نوره ولو كره الكافرون، فهي أزمات ثم تمر بتدبير الله تعالى وتأييده ولطفه، وترجع الجموع الظالمة الكافرة بغيظهم وحنقهم يجرون ذيول الهزيمة والخذلان، وتظل راية الحق مرفوعة لا تهوي ولا تسقط، خفاقة عالية، يراها العالم كله من كل زوايا الأرض، ويبقى لواء العقيدة يرفرف فوق الجبال والتلال والصحاري والمنابر والمآذن والمباني والبيوت.

المطلب الثامن: الغضب عند المنافقين

ظهر انفعال الغضب عند المنافقين في أكثر من مشهد في القرآن الكريم، وهي كما يأتي:

المشهد الأول: عض المنافقين أناملهم من الغيظ

قال تعالى: ﴿هَٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾﴾[آل عمران:119].

هذه الآية تُظهر انفعالًا شديدًا للمنافقين[1] –قيل: هم منافقو أهل كتاب[2]، وقيل: هم الكفار[3]، وقيل: هم المشركون من اليهود والمنافقون جميعًا[4]–، حيث ملأ الغيظ قلوبهم، وبلغ بهم كل مبلغ، حتى عضوا أناملهم

[1] ابن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم (746/3)، الثعلبي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن (135/3)، البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن (498/1)، الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (407/1)، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (181/4)

[2] ينظر: الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (462/1)، ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (497/1)

[3] ينظر: السمرقندي، بحر العلوم (242/1)

[4] ينظر: الماوردي، النكت والعيون (419/1)

من كثرة الحقد والغيظ والغضب، وأظهروا فيما بينهم أشد ألوان الغيظ نحو المسلمين، لما يرون من اجتماعهم وائتلافهم وقوتهم وكثرتهم ونصرهم.

وعضهم الأنامل كناية عن شدة غضبهم على المسلمين، وتحسرهم على ما هم فيه من الضعف، وحنقهم على المؤمنين، والعرب تقول عند شدة الغضب: "فلان يعض أنامله على فلان، وذلك إذا بلغ الغضب غايته"[1]، "ويوصف المغتاظ والنادم بعضّ الأنامل والبنان والإبهام"[2]. فهي عبارة عن "شدة الغيظ مع عدم القدرة على إنفاذه... وهذا العض هو بالأسنان، وهي هيئة في بدن الإنسان تتبع هيئة النفس الغائظة، كما أن عض اليد على اليد يتبع هيئة النفس النادمة"[3].

إن علامة الغيظ تُظهر شدة انفعال الغضب في نفوسهم، بسبب ما وصل إليه المسلمون من انتصارات ونفوذ، وبسبب انتشار الإسلام، وظهوره على الدين كله، وهذا الأمر أدى إلى إظهار غضبهم الشديد، وحنقهم وبغضهم للمسلمين وعدم رضاهم عن الحال التي وصل إليها المسلمون، وهم عاجزون عن إيقاف المد الإسلامي ومواجهته، مما اضطرهم إلى النفاق والخداع والكذب، فإذا لقوا أهل الإيمان قالوا آمنا، وإذا خلوا مع أنفسهم ظهر الغضب الشديد، والحقد الدفين، الذي ملأ قلوبهم، وطغى على نفسياتهم، فمن شدة انفعالهم وتوترهم وتعبهم النفسي وقلقهم وغيظهم وهيجانهم عضوا أناملهم، وهذا بدوره يبيّن الحالة النفسية المزرية التي وصلوا إليها.

والنص يعرض منذ البداية نوايا المنافقين البغيضة وأحاسيسهم الغاضبة تجاه المؤمنين بأسلوب الوصف {وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ} بيد أن هذا البغض المضمر سرعان ما يصير من شدته وفورانه غضبًا عارمًا لا يجد منفذًا للتفريغ فيدور على المغتاظ نفسه فيرغمه على توجيه العدوان إلى ذاته في حركة عنيفة تتمثل في عضّ أنامله {وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ}، وتهدف

[1] الماتريدي، تأويلات أهل السنة (465/2)

[2] الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (407/1)

[3] ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (497/1)، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (182/4)

إضافة الضمير إلى الغيظ في قوله تعالى: {قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ} إلى رسم صورة نفسية ساخرة تربط هذا الانفعال النفسي بالمنافقين في ربقة لا فكاك لهم عنها، ويلحظ أن النص يصوّر أكثر من انفعال (الحسد، البغض، الغضب)، وهذا الامتزاج في الانفعالات يسمّى في الدراسة النفسية بالانفعال المركّب، وهو يدل على تأزم الموقف وتعقيده ممّا يثير في الإنسان انفعالات عديدة في آنٍ معًا[1]. فالمشهد يُجسم صورًا عدة لنفوس المنافقين من العداوة والنفاق والغيظ والحقد، ويُظهر ملامحهم و يرصد حركاتهم في صورة تجمع بين التصوير الحسي والنفسي، فالتصوير الحسي ظاهر مُشاهد من خلال تحركاتهم بالخداع والمكر والتآمر، والتصوير النفسي يكشف ما تخفي صدورهم من الغيظ والغضب والحقد وعدم الرضى، وهذا أدى بهم إلى أن أبدوا انفعالاتهم المتأججة المشتعلة في قلوبهم، فعضوا الأنامل من الغيظ، ويا له من تصوير فني بليغ لتحركاتهم وحركاتهم ونفسياتهم، فبعد أن أكل الغيظ أكبادهم، وأخفقوا في تحقيق أهدافهم، وأغضبهم تمكن المسلمين وتمكينهم وانتصارهم، عضوا من الغيظ على أناملهم، من شدة الحنق والغضب والغيظ والتأسف لما يفوتهم من أذية المسلمين والنيل منهم.

الدروس والقيم التربوية المستفادة

- هذه الآية فيها معنى الولاء والبراء؛ أوثق عرى الإيمان، فلا ولاء لكافر ومنافق، ولا محبة لأولئك، لأن الولاء والبراء والحب والبغض والعطاء والمنع يكون لله تعالى، وليس من طاعة الله تعالى حُب الكافرين والمنافقين وموالاتهم.
- الكافرون لا يحبون المؤمنين ولا يوالونهم، وإن كانت بينهم اتفاقيات أو معاهدات فإنما هي لمصالح مؤقتة، لفترات زمنية مختلفة، كالاتفاقيات الاقتصادية والسياسية والعسكرية وغيرها.
- الكافرون يتعاملون مع المؤمنين بوجهين، حينما يجتمعون معهم يُظهرون لهم ما يرضيهم من القول، بينما إذا خلوا أظهروا لبعضهم كراهيتهم وبغضهم للمسلمين، وهذا الذي يظهرونه من عض الأنامل من الغيظ، فكيف الذي تخفيه صدورهم!

[1] ينظر: منصور وآخرون، أسس علم النفس ص 56

- هذه الآية فيها تحذير للمؤمنين، من التساهل في أمور العقيدة، فمرضاة الله تعالى خير لهم من إرضاء الكافرين الذين يبغضونهم، ويتلهفون على الإيقاع بهم، ويخططون للقضاء عليهم.
- بغض الكافرين وكراهيتهم للمؤمنين ملازم لهم لا يفارقهم، يبقى معهم حتى يأتيهم الموت، فقلوبهم مليئة غيظًا وحنقًا وغضبًا من الإسلام وأهله، يريدون أن يفتكوا بالمسلمين، والتاريخ يشهد ويؤكد أنهم في تخطيط دائم ومتواصل على امتداد قرون طويلة، مع تغيّر الزمان والمكان للنَيْل من المسلمين، ولا يتركون فرصة سانحة للفتك بهم إلا ونفّذوا كيدهم الدفين، ومكرهم الخبيث، وغرسوا أنياب حقدهم في جسد الأمة الإسلامية.
- على من يتولى أمر الأمة أن يكون على قدر المسئولية والعقلانية، والشجاعة والجرأة والمهابة، والثقافة الفكرية، والفطنة والذكاء، والمراوغة والحنكة والدهاء السياسي، كي يستطيعوا أن يتعاملوا مع المكر والخديعة والكيد الذي يرونه ويلاحظونه من قبل الكافرين، فلا يعقل أن يكون القائد صبيانيًا أو جبانًا أو إمّعة، أو عديم المسئولية غير مبال، لا يدرك ما يدور حوله من أمور سياسية وأقليمية، أو لا يعرف كيف ومتى يعقد المعاهدات، أو يبرم الصفقات، أو يوقّع على الاتفاقيات.

المشهد الثاني: سخط المنافقين إذا لم يُعطوا من الصدقات

قال تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾﴾[التوبة:58]

هذه الآية تبين خبث المنافقين حيث يطعنون بقسمة النبي صلى الله عليه وسلم في الصدقات، ويعتبرونها غير عادلة، لأنهم يرضون إذا أعطاهم، ويسخطون إذا لم يُعطوا منها، وهم بذلك يلمزونه ويتهمونه بأنه يعطي الغنائم والعطايا ويوزعها على المقربين. وهذا سوء أدب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتعدٍ على مقام النبوة العظيم، وهذا الفعل لا يصدر إلا عن قلب خبيث، مريض، يمتلئ غيظًا وحقدًا وحنقًا وغضبًا وسوء نية وفساد طوية، ولذلك خُتمت الآية بإظهار هذا كله بانفعال من الانفعالات النفسية ألا وهو السخط.

والسخط "نقيض الرضا"[1] وخلافه وضده[2]، وتسخّطه: لم يرض به وكرهه، وأسْخطَه، أي أغاظه وأغضبه[3]. "وتسخَّطَ عطاءه: استقلَّه"[4]، وهو كذلك "الغضب الشديد المقتضي للعقوبة"[5]، "وهو من الله إنزال العذاب"[6]. وبناء عليه فإن المنافقين ساخطون غاضبون غائظون، قد كرهوا قسمة النبي صلى الله عليه وسلم وطعنوا فيها، وليس السخط والغضب بسبب الغيرة على الدين، ولكن الغضب لأنفسهم[7]، ولطلب النصيب من الصدقات والغنائم، وهذا الانفعال يلازمهم كثيرًا في حياتهم، لأنهم أصلًا غير راضين بالإسلام كدينٍ ومنهج وشريعة وأحكام، فلو أُعطوا فإنهم يستقلّون العطاء، ويبقى اللمز والطعن من جانبهم في كل موقف وظرف. فكان "رضاهم وسخطهم لأنفسهم، لا للدين وما فيه صلاح أهله، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم استعطف قلوب أهل مكة يومئذ بتوفير الغنائم عليهم فضجر المنافقون منه"[8].

هؤلاء المنافقون، قالوا: "والله ما يعطيها محمد إلا مَنْ أحبَّ، ولا يؤثر بها إلا هواه"[9]. فالمعنيّ بالآية هم المنافقون إن أعطوا كثيرًا فرحوا ورضوا، وإن أعطوا قليلًا سخطوا وعابوا[10].

و{إذا} في جملة: {إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ} للمفاجأة: أي وإن لم يعطوا منها فاجئوا للسخط[11]. قال أبو حيان: "وأنه إذا لم يعطوا فاجأَ سُخْطُهم، ولم يمكن تأخُّرُه لِما جُبلوا عليه من محبة الدنيا والشره في تحصيلها"[12]. والمقصود

---

[1] الفراهيدي، كتاب العين (192/4)، ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم (70/5)

[2] الفيروزآبادي، القاموس المحيط (ص: 669)

[3] انظر: الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (1130/3)، ابن منظور، لسان العرب (313/7)، الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس (340/19)

[4] الرازي، مختار الصحاح (ص: 144)

[5] الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن (ص: 402)

[6] المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف (ص: 192)

[7] انظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (301/14)، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (164/4)

[8] الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (282/2)، وانظر: الرازي، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) (76/16)

[9] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (304/14)، ابن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم (1817/6)

[10] انظر: الواحدي، الوسيط في تفسير القرآن المجيد (505/2)، السمعاني، تفسير القرآن (319/2)، البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن (359/2)، أبو حيان، البحر المحيط في التفسير (439/5)

[11] انظر: الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (282/2)، البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل (85/3)، النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل (687/1)

[12] أبو حيان، البحر المحيط في التفسير (439/5)

أنهم إذا لم يُعطوا شيئًا، أو أُعطوا قليلًا ففجأة يسخطون، وتظهر عليهم انفعالات السخط والغضب في وجوههم، فيبدأوا بالطعن واللمز. وقد قيل: "اللمز في الوجه"[1]. وهذا يدل على دناءة طباعهم ونجاسة أخلاقهم، وأن لمزهم الرسول صلى الله عليه وسلم "إنما هو لشرههم في تحصيل الدنيا ومحبة المال، وأنّ رضاهم وسخطهم إنما متعلقه العطاء. والظاهر حصول مطلق الإعطاء أو نفيه"[2].

روى الإمام البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال: "بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَقْسِمُ قِسْمًا، أَتَاهُ ذُو الخُوَيْصِرَةِ، وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ اعْدِلْ، فَقَالَ: (وَيْلَكَ، وَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَعْدِلْ، قَدْ خِبْتَ وَخَسِرْتَ إِنْ لَمْ أَكُنْ أَعْدِلُ). فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ائْذَنْ لِي فِيهِ فَأَضْرِبَ عُنُقَهُ؟ فَقَالَ: (دَعْهُ، فَإِنَّ لَهُ أَصْحَابًا يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلاَتَهُ مَعَ صَلاَتِهِمْ، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ، يَقْرَءُونَ القُرْآنَ لاَ يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، يُنْظَرُ إِلَى نَصْلِهِ فَلاَ يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَى رِصَافِهِ فَمَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَى نَضِيِّهِ، – وَهُوَ قِدْحُهُ –، فَلاَ يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَى قُذَذِهِ فَلاَ يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، قَدْ سَبَقَ الفَرْثَ وَالدَّمَ، آيَتُهُمْ رَجُلٌ أَسْوَدُ، إِحْدَى عَضُدَيْهِ مِثْلُ ثَدْيِ المَرْأَةِ، أَوْ مِثْلُ البَضْعَةِ تَدَرْدَرُ، وَيَخْرُجُونَ عَلَى حِينِ فُرْقَةٍ مِنَ النَّاسِ) قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: فَأَشْهَدُ أَنِّي سَمِعْتُ هَذَا الحَدِيثَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ قَاتَلَهُمْ وَأَنَا مَعَهُ، فَأَمَرَ بِذَلِكَ الرَّجُلِ فَالْتُمِسَ فَأُتِيَ بِهِ، حَتَّى نَظَرْتُ إِلَيْهِ عَلَى نَعْتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي نَعَتَهُ"[3].

الدروس والقيم التربوية المستفادة

- مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلى مقامات الخلق، وهو عند الله تعالى في المقام الأسنى والأسمى، فمهما افترى المنافقون على رسول الله صلى لله عليه وسلم أنه لم يعدل فإن مكانته عند الله تعالى لا تنقص، بل يزداد رفعة، وعلوًا ومكانة، فإن لم يعدل فمَن؟

[1] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (166/8)

[2] أبو حيان، البحر المحيط في التفسير (439/5)

[3] البخاري، صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام (3610)، (4/ 200)

- المنافقون وقحون، بل قلوبهم مريضة، تمتلئ بالخبث والحقد، فقد تطاولوا على مقام النبوة، وعلى شخص الرسول الكريم صلى الله وسلم، حينما لم يرضوا بقسمته، وطعنوا بعطائه.
- المنافقون يرضون عمن يعطيهم، ويسخطون على من يمنع عنهم، وهذا ديدنهم، المهم عندهم أن يأخذوا ويحصلوا على ما يريدون، وخاصة الأشياء المادية؛ كالأموال والذهب، ولا يهتموا بأمر من أمور المسلمين أو الدعوة، فغضبهم وسخطهم بسبب عدم العطاء، فالأهم عندهم تحقيق مكاسبهم، وقضاء مصالحهم.
- الواجب على الدعاة أن يتنبهوا للمنافقين ويتعاملوا معهم بيقظة وحكمة وحزم، لأن وجودهم أمر واقع في المجتمعات الإسلامية، وهو خطر كبير على المسلمين، وعلى مرّ التاريخ كان للمنافقين دور كبير في زعزعة الأوضاع الداخلية في أمصار المسلمين، وإثارة الشبهات، وإحداث القلاقل والفتن، وفي التعاون مع الأعداء.

الفصل الخامس

انفعال الضحك عند الكافرين في القرآن الكريم

المبحث الأول: معنى الضحك ودلالاته في السياق القرآني

المطلب الأول: الضحك في اللغة

"ضحِك يضحك ضَحِكاً وضِحْكًا"[1]، قال ابن فارس: "الضاد والحاء والكاف أصل صحيح واحد يدل على بروز الشيء، وهو دليل الانكشاف والبروز"[2]. "الضحك في الأصل: الانشقاق. يقال: ضحِكت الأرض، إذا انشقت عن نباتها. وسمي انفتاح الفم بالتبسم أو القهقهة ضحكًا"[3]. قال ابن منظور: "والضواحك: الأسنان التي تظهر عند التبسم... والضّحِك: ظهور الثنايا من الفرح"[4]. فالضحك يدل على انفراج شيء وظهوره وبروزه.

المطلب الثاني: الضحك في الاصطلاح

معنى الضحك في الاصطلاح لا يختلف عن معناه اللغوي، فهو ظهور الأسنان عند انبساط الوجه. قال الراغب الأصفهاني: "الضحك: انبساط الوجه وتكشّر الأسنان من سرور النفس، ولظهور الأسنان عنده سميت مقدمات الأسنان الضواحك. واستعير الضحك للسخرية، فقيل: ضحكت منه، ورجل ضُحَكَةٌ: يضحك من الناس، وضُحْكَةٌ: لمن يُضْحَكُ منه"[5]. "والضحك: حالة تكون في الإنسان من التعجب والفرح"[6]، "ويكون للسرور والفرح"[7]. قال ابن عاشور: "والضحك: أثر سرور النفس، وهو من خواص الإنسان وخلق عجيب دال على انفعال عظيم في النفس"[8].

---

[1] الفراهيدي، كتاب العين (58/3)

[2] ابن فارس، مقاييس اللغة، (393/3)

[3] ابن الجوزي، نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر (ص: 402)

[4] ابن منظور، لسان العرب (459/10)

[5] الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن (ص: 501)

[6] السمعاني، تفسير القرآن (333/2)

[7] أبو حيان، البحر المحيط في التفسير (222/8)

[8] ابن عاشور، التحرير والتنوير (142/27)، بتصرف يسير.

المطلب الثالث: الضحك في السياق القرآني

وردت مادة ضحك (10) عشر مرات في القرآن الكريم، وجاءت بدلالات مختلفة، حسب اختلاف المواقف والسياق في الحال والمقال، منها:

1. ضحك السخرية والاستهزاء: كما هو حال الكافرين الذين يسخرون من المؤمنين، ويستهزؤون بهم، وهذا الضحك باعثه العناد والكفر والكِبر، كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٦﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَٰتِنَآ إِذَا هُم مِّنۡهَا يَضۡحَكُونَ ﴾[الزخرف:46-47]، وقوله سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضۡحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمۡ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ ﴾[المطففين: 29–31]. فجاءت السخرية مقترنة بالضحك والفكاهة، فالكفار كانوا يضحكون من المؤمنين بدافع السخرية، متلذذين باستخفافهم والاستهزاء بهم واحتقارهم. يقول السمعاني: "السخرية: الاستهزاء والبطر يعني: المهانة والاحتقار"[1]. ويقول الزمخشري: "الاستهزاء: السخرية والاستخفاف"[2].

ولذلك كانت عاقبة ضحكهم مؤلمة ووخيمة، حيث جاءت الآيات في أسلوب التهديد والتقريع بسبب ضحكهم من المؤمنين فقال تعالى: ﴿ فَلۡيَضۡحَكُواْ قَلِيلٗا وَلۡيَبۡكُواْ كَثِيرٗا جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾[التوبة:82]، وقال سبحانه على سبيل التقريع: ﴿ قَالَ ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٞ مِّنۡ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّخَذۡتُمُوهُمۡ سِخۡرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوۡكُمۡ ذِكۡرِي وَكُنتُم مِّنۡهُمۡ تَضۡحَكُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾[المؤمنون:108–110].

2. ضحك الفوز: وهو ضحك المؤمنين من الكافرين يوم القيامة، كما قال تعالى: ﴿ فَٱلۡيَوۡمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلۡكُفَّارِ يَضۡحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾[المطففين: 34–35]. ولعظيم فرحهم بالرضا والنعيم المقيم والسعادة، فإن وجوههم مشرقة مستبشرة بالعطاء الإلهي العظيم، كما في قوله تعالى: ﴿ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ مُّسۡفِرَةٞ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٞ مُّسۡتَبۡشِرَةٞ ﴿٣٩﴾ ﴾[عبس: 38–39]

---

[1] السمعاني، تفسير القرآن (221/5)

[2] الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (66/1)

3. ضحك التعجب والاستغراب: كما هو حال امرأة إبراهيم عليه السلام حينما جاءتهما البشرى بإسحاق، حيث ضحكت مستغربة، لأنها عجوز عقيم لا تحمل، ولأن زوجها إبراهيم عليه السلام بلغ الشيخوخة. قال تعالى: ﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٞ فَضَحِكَتۡ فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ ٧١ قَالَتۡ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٞ وَهَٰذَا بَعۡلِي شَيۡخًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عَجِيبٞ ٧٢ قَالُوٓاْ أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۖ رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٞ مَّجِيدٞ ٧٣﴾[هود:71-73]، ولعظيم انفعالها لطمت وجهها متعجبة من البشرى، قال تعالى: ﴿فَأَقۡبَلَتِ ٱمۡرَأَتُهُۥ فِي صَرَّةٖ فَصَكَّتۡ وَجۡهَهَا وَقَالَتۡ عَجُوزٌ عَقِيمٞ ٢٩ قَالُواْ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡعَلِيمُ ٣٠﴾[الذاريات:30].

قال الفيروزآبادي: "وقد يستعمل الضحك للتعجّب المجرّد. وهذا المعنى قَصْدُ من قال: الضّحك يختص بالإنسان. وبهذا المعنى قال تعالى: {وامرأته قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ}، وضحكها كان للتّعجب. ويدل على ذلك قوله تعالى: {إِنَّ هذا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ}"[1].

4. ضحك السرور بالنعمة: كما هو حال سليمان عليه السلام حينما ضحك من كلام النملة التي أمرت النمل بالدخول إلى المساكن، حتى لا تموت تحت أقدام جنود سليمان. قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ١٨ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكٗا مِّن قَوۡلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ وَأَدۡخِلۡنِي بِرَحۡمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٩﴾[النمل:18-19]. "إذ التبسم إنما يكون لسرور يدخل في الإنسان، أي: سر بما أعطاه الله من عظم النعمة له والملك"[2]. "فرحًا بما أنعم الله تعالى عليه"[3]. قال السمرقندي: "سروره بما

[1] الفيروزآبادي، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (461/3)

[2] الماتريدي، تأويلات أهل السنة (106/8)

[3] السمرقندي، بحر العلوم (576/2)

آتاه الله مما لم يؤتِ أحدًا من سماعه لكلام النملة وإحاطته بمعناه"[1]. "وسرورًا بشهرة حاله وحالِ جنوده في باب التقوى والشفقة فيما بين أصناف المخلوقات"[2].

وقيل: إن ضحك سليمان هنا تعجبًا[3]. والقول الأولى هنا والأوفق هو ضحك السرور بالنعمة، وهو الأظهر[4] لمناسبته الدعاء بعده، في الآية اللاحقة مباشرة: ﴿ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾﴾[النمل: 19]

5. الضحك بعينه المعروف: كما في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾﴾[النجم:43]. قال الطبري: "أي: وأن ربك هو أضحك أهل الجنة في الجنة بدخولهم إياها، وأبكى أهل النار في النار بدخولهموها، وأضحك من شاء من أهل الدنيا، وأبكى من أراد أن يبكيه منهم"[5]. فالضحك هنا هو الضحك الحقيقي المعروف.

المطلب الرابع: الضحك عند علماء النفس

الضحك حالة انفعالية تعتري الإنسان عندما يحصل له ما يفرحه أو يعجبه، تؤدي إلى انبساط الوجه، وتكشير الأسنان وبروزها، مع راحة وانشراح في الغالب[6].

والضحك سلوك اجتماعي؛ حيث يأنس الإنسان إلى أهله وأصدقائه وغيرهم من أشخاص يعرفهم، فيسعد بلقائهم والحديث معهم، ويُسر بهم، ويضحك معهم للألفة التي بينهم والمحبة والانبساط، وأحيانًا يكون الضحك

---

[1] الرازي، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) (549/24)

[2] أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (279/6)

[3] انظر: السمرقندي، بحر العلوم (576/2)، الواحدي، الوسيط في تفسير القرآن المجيد (373/3)، السمعاني، تفسير القرآن (86/4)، أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (279/6)

[4] انظر: الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (175/10)

[5] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (547/22)

[6] انظر: الحمد، سعود بن عبد العزيز بن سليمان، الضحك والبكاء في القرآن الكريم، ص7، بحث محكم، المصدر: مجلة العلوم الشرعية، جامعة القصيم، 2010م

مجاملة لا تعبيرًا عن السعادة والسرور، وقلما يضحك الإنسان حينما يكون وحيدًا منفردًا، لذلك يُعد انفعال الضحك وسيلة للتعبير عن المرح والتسلية.

المبحث الثاني: مشاهد الضحك عند الكافرين في السياق القرآني

المطلب الأول: ضحك فرعون وقومه من موسى عليه السلام

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٦﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَٰتِنَآ إِذَا هُم مِّنۡهَا يَضۡحَكُونَ ﴾[الزخرف:46-47]

في هذا السياق يظهر جليًا انفعال الضحك من قِبل فرعون وقومه بعدما جاءهم موسى عليه السلام بالبينات والدلائل الكثيرة؛ حيث أراهم موسى الآية تلو الأخرى، وأكبر من أختها، كاليد، وأخذهم بالسنين والنقص من الثمرات والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمس، فما زادهم ذلك إلا عنادًا وإصرارًا على الكفر، واستهزاءً وضحكًا من موسى ومما جاءهم به من الحجج والبراهين والمعجزات. فكان فرعون وقومه يضحكون مما جاءهم به موسى من الآيات والعبر ويستهزؤون.

فضحكهم استهزاء وسخرية وتكذيبًا[1]، قال القرطبي: "استهزاء وسخرية، حيث يوهمون أتباعهم أن تلك الآيات سحر وتخييل، وأنهم قادرون عليها"[2].

وهذه الآية جاءت تسلية[3] لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتثبيتًا لفؤاده، ليصبر إذا تعرض للضحك والاستهزاء من قبل قومه، كما تعرض موسى للضحك والاستهزاء من فرعون وملئه، وأنّ كفار قريش كباقي الأمم السابقة يكذّبون أنبياءهم، ويستهزؤون بهم، ويضحكون منهم، وهكذا عادة الفراعنة والرؤساء من الكفرة أنهم إذا جاءتهم الرسل بالآيات ضحكوا منهم، واستهزؤوا بهم، فهذا حال الأقوام مع أنبيائهم على مر العصور، وكأنهم تواصوا في ذلك، فالمنهج والطريقة والأسلوب واحد، يقابلون رسلهم بالهزْءْ والضحك والتكذيب. والمشهد في الآية

[1] انظر: الثعلبي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن (338/8)، ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير (80/4)

[2] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (97/16)

[3] انظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (614/21)، الماتريدي، تأويلات أهل السنة (171/9)، مكي، الهداية إلى بلوغ النهاية (6672/10)

يبين سرعة انفعالهم بالضحك، فلما طالبوه بإحضار البينات وإبراز الدلائل إذ فاجؤوه بالضحك والاستهزاء، لأن {إذا} فجائية، فكأنهم كانوا ينتظرون أن يأتيهم بالبينات، وبمجرد أن أتاهم بها انفجروا بالضحك منه وبما أتى به.

وهذا ما أشار إليه الزمخشري، إذ يقول: "و{إذا} للمفاجأة... كأنه قيل: فلما جاءهم بآياتنا فاجئوا وقت ضحكهم"[1]. "أي استهزءوا بها أول ما رأوها ولم يتأملوا فيها"[2]، قال أبو حيان: "فاجأهم الضحك بحيث لم يفكروا، بل بنفس ما رأوا ذلك ضحكوا سخرية واستهزاء، كما كانت قريش تضحك"[3].

وهذا الضحك في وقت إبراز الآيات وإظهار الحجج والدلائل لا يصدر إلا عن جاهل متكبر وغافل معرض متعالٍ، أخذه الغرور وقاده الكِبر إلى الاستهزاء والسخرية، وهذا "شأن الجهال المتعالين"[4]، الذين "يهزؤون بالآيات، ويضحكون منها، جهلًا وغفلة"[5].

الدروس والقيم التربوية المستفادة

- ملة الكفر واحدة، وإن تبدّل الزمان، وتغيّر المكان، فحال الأقوام مع أنبيائهم هو نفسه على مر العصور؛ تكذيب واستهزاء وضحك وسخرية.
- ليعلم الدعاة أن طريق الدعوة ليس مفروشًا بالرياحين، وليس كل من تُعرضُ عليه الدعوة يستجيب ويقبل، بل يقابلون الدعوة بالسخرية والاستهزاء، فليوطنوا أنفسهم على الصبر والاحتمال، وليعلّقوا قلوبهم بالله تعالى، فهو المولى ونِعْم النصير.

---

[1] الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (255/4)، وانظر: الرازي، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) (636/27)، النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل (275/3)

[2] البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل (92/5)، وانظر: أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (49/8)، ابن عجيبة، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد (254/5)

[3] أبو حيان، البحر المحيط في التفسير (378/9)

[4] قطب، في ظلال القرآن (3192/5)

[5] الواحدي، الوسيط في تفسير القرآن المجيد (75/4)

- قلوب الجبابرة قاسية، ومن عواقب الضحك أنه يقسي القلب، فرغم المعجزات المتتالية، والتي كانت قوية التأثير، إلا أن فرعون لم يلن قلبه، بل تجبر واستكبر، ولم يستجب لدعوة موسى عليه السلام، بينما لما رأى السحرة معجزة واحدة –وكانوا ماهرين في صنعة السحر– استجابوا وقالوا آمنا برب العالمين.
- الداعية يجب أن يكون شجاعًا جريئًا بقول الحق، يخاطب الجميع؛ ذوي الجاه والسلطان فمَن دونهم، ويستعمل في خطابه اللين والحكمة، حتى يصل خبر الوحي، وتعاليم السماء كل أحد من الناس.
- يجب على الداعية ان يتزود بالأدلة والبراهين والحجج الساطعة البيّنة حين عرض دعوته، لإثبات صحة ما يدعو إليه، وليس ذنبه إن لم يستجب المدعوون، الأهم أن يمتلك الأفكار والأساليب والردود من خلال النصوص الصحيحة والصريحة، وإلا كان عرضة للتهكم والضحك والسخرية.

المطلب الثاني: استهزاء الكفار من شعيرة هي من أعظم شعائر الإسلام (الصلاة)

قال تعالى: ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [المائدة:58].

هذا المشهد يُظهر مدى عداء الكفار لأهم شعائر الإسلام، حيث يسخرون من الأذان والصلاة، ويتخذونهما هزوًا، فحينما يسمعون النداء للصلاة يضحكون استهزاءً وسخرية ولعبًا، ولما يرونهم يؤدون صلاتهم ركوعًا وسجودًا يضحكون منهم، وإنما يفعلون ذلك من قلة أدبهم وجهلهم، لأن هذا التصرف هو من فعل الجهلة والسفهاء وأهل الطيش والخفة، فكأنهم لا عقل لهم. ولو كانوا يعقلون ذلك لكان حالهم الخشوع والخضوع والسكون والإقبال والاستجابة، لأن المؤذن إنما يوحد الله تعالى، ويدعو للفلاح والنجاة، ولو كانوا حقًا من أتباع الرسل –عليهم الصلاة والسلام– لما استهزؤوا من شعائر المسلمين وعباداتهم، وخاصة الصلاة التي هي من أعظم العبادات، وأجل الطاعات، التي تطهّر القلوب، وتزكّي النفوس، وتنهى عن الفحشاء والمنكر والطغيان والعصيان.

قال ابن الجوزي: "واتخاذهم إيّاها هزواً: تضاحكهم وتغامزهم"[1]. فكان "المؤذن إذا أذن للصلاة تضاحكت اليهود فيما بينهم، وتغامزوا على طريق السخف والمجون، استهزاء بالصلاة، وتجهيلًا لأهلها، وتنفيرًا للناس عنها، وعن الداعي إليها"[2]. وقيل: "كان المنافقون يتضاحكون عند القيام إلى الصلاة تنفيرًا للناس عنها"[3].

الدروس والقيم التربوية المستفادة:

- من استهزأ بالصلاة فقد استهزأ بشعائر الإسلام كلها، فينبغي ألا يُداهَن، ولا يُتخذ صاحبًا ولا وليًا، لأن الضحك والاستهزاء بشعيرة واحدة من شعائر الدين هو الكفر بعينه.
- هذه الآية تنفير من موالاة أعداء الملة والدين، من المنافقين والنصارى واليهود والمشركين، لأن الصلاة أفضل الأعمال وأحبها إلى الله تعالى، فالاستهزاء بها والضحك منها، استهزاء بأفضل الأعمال، وبالتالي فغير الصلاة أكثر عرضة للاستهزاء والسخرية والضحك والغمز.
- من كانت صفته الإعراض والتولي عن أوامر الله تعالى وطاعته فهو يتشبه بالشيطان الرجيم، لأنه تولى وأعرض ورفض طاعة الله تعالى، وأبى واستكبر، بل هو يشبهه كذلك عند سماع الأذان، فقد ورد في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إِذَا نُودِيَ بِالصَّلاَةِ أَدْبَرَ الشَّيْطَانُ، وَلَهُ ضُرَاطٌ حَتَّى لاَ يَسْمَعَ الأَذَانَ، فَإِذَا قُضِيَ الأَذَانُ أَقْبَلَ، فَإِذَا ثُوِّبَ بِهَا أَدْبَرَ، فَإِذَا قُضِيَ التَّثْوِيبُ، أَقْبَلَ حَتَّى يَخْطِرَ بَيْنَ المَرْءِ وَنَفْسِهِ، يَقُولُ: اذْكُرْ كَذَا وَكَذَا، مَا لَمْ يَكُنْ يَذْكُرُ، حَتَّى يَظَلَّ الرَّجُلُ إِنْ يَدْرِي كَمْ صَلَّى، فَإِذَا لَمْ يَدْرِ أَحَدُكُمْ كَمْ صَلَّى ثَلاَثًا أَوْ أَرْبَعًا، فَلْيَسْجُدْ سَجْدَتَيْنِ وَهُوَ جَالِسٌ)[4].
- إن استهزاء الكفار من شعائر الإسلام مدعاة لإثارة الحمية في قلب المؤمن، وأن يغار على دينه أشد من غيرته على عرضه، وأن يتجنب هؤلاء المستهزئين من المنافقين والكفار، فمن وقّر ديننا احترمناه، ومن عادانا في ديننا عاديناه، وقطعنا لسانه الذي يستهزئ به، فأول الأمر توقير الله تعالى وتوقير دينه

---

[1] ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير (562/1)

[2] الواحدي، الوسيط في تفسير القرآن المجيد (203/2)، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (224/6)

[3] الرازي، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) (388/12)

[4] البخاري، صحيح البخاري، كتاب السهو، باب إذا لم يدر كم صلى ثلاثا أو أربعا، سجد سجدتين وهو جالس (69/2)، حديث رقم: (1231)، مسلم، صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب السهو في الصلاة والسجود له (398/1)، حديث رقم: (389)

الذي شرع، والغيرة على حرماته، والتصدي لكل من تسوّل له نفسه بالإيذاء والسخرية، واعتبار كل ذلك عدوانًا على الإسلام وأهله، ولا بد من محاربة العدوان على الإسلام والدفاع عنه بكل وسيلة متاحة، وليس هذا يخالف الأمر الذي جاءت به الآيات بالمعاملة الحسنة والسماحة، "لأن السماحة وحسن المعاملة مسألة خلق وسلوك، أما الولاء فمسألة عقيدة ومسألة تنظيم. إن الولاء هو النصرة، هو التناصر بين فريق وفريق، ولا تناصر بين المسلمين وأهل الكتاب –كما هو الشأن في الكفار– لأن التناصر في حياة المسلم هو تناصر في الدين وفي الجهاد لإقامة منهجه ونظامه في حياة الناس، ففيم يكون التناصر في هذا بين المسلم وغير المسلم؟ وكيف يكون؟! إنها قضية جازمة حاسمة لا تقبل التميع، ولا يقبل الله فيها إلا الجد الصارم، الجد الذي يليق بالمسلم في شأن الدين"[1].

المطلب الثالث: ضحك كفار مكة من القرآن الكريم

قال تعالى: ﴿أَفَمِنْ هَٰذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنتُمْ سَامِدُونَ ﴿٦١﴾﴾[النجم: 59–61]

هذا توبيخ[2] من الله تعالى لكفار مكة حيث كانوا يعجبون من هذا القرآن ويضحكون منه استهزاء[3]، ويقرّعهم بأنهم لا يبكون مما فيه من الوعيد والتهديد للعاصين والمذنبين والكافرين، فالأصل بهم أن ينزجروا ويخافوا خوفًا شديدًا يُفضي بهم إلى البكاء لئلا يقع عليهم العذاب، لا أن يضحكوا سخرية واستهزاء، أو يُعرضوا عنه تكبرًا، أو يغفلوا عنه لهوًا ولعبًا وغناء. حيث جاء في معنى: {سامدون} أي لاهون، غافلون، ومعرضون، قال البغوي: "والسمود الغفلة عن الشيء واللهو، يقال: دع عنا سمودك أي لهوك"[4]، وقيل: وهم يغنّون، لأن

[1] قطب، في ظلال القرآن (923/2)

[2] انظر: ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (210/5)، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (122/17)، ابن عاشور، التحرير والتنوير (160/27)

[3] انظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (558/22)، الماوردي، النكت والعيون (407/5)، البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن (319/4)، الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (430/4)، ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير (195/4)، البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل (163/5)، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (468/7)

[4] البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن (319/4)

السمود هو "الغناء بلغة اليمن، يقول اليماني: اسمِد لنا: أي: غنّ لنا؛ قال: كانوا إذا سمعوا القرآن تغنوا ولعبوا"[1]. وقيل: حزنون غائظون، عن مجاهد: "غضاب مبرطمون، فقيل له: ما البرطمة قال: الإعراض"[2].

فهؤلاء الكفار كانوا يضحكون سخرية واستهزاء عند سماعهم القرآن الكريم، وهذا تصرف وانفعال من انفعالات الكفار عند سماعهم القرآن الكريم، وكان الأولى أن يبكوا حزنًا على ما فرطوا في شأنه وخوفًا من أن يحيق بهم ما حاق بالأمم والأقوام السابقة[3].

الدروس والقيم التربوية المستفادة:

- القرآن الكريم كتاب هداية ورحمة، وآياته ترقق القلوب، حتى يصل القارئ أو المستمع لحالة نفسية لا يستطيع أن يحبس دموعه، فتراه باكيًا، خاشعًا، وهذه من علامات التأثر بالقرآن الكريم.
- من لم يتأثر بالقرآن الكريم فقلبه أقسى من الحجارة، لأن القرآن لو أنزله الله تعالى على الجبال والصخور الصماء والحجارة الصلبة القاسية لتأثرت ولتشققت وتصدعت هذه الجبال والصخور – وهي المضروب المثل بها بالغلظة والضخامة – لقوة تأثيره لما فيه من المواعظ.
- كل من تسول له نفسه الضحك من القرآن الكريم ومما فيه يتعرض للمقت والتوبيخ، لأن الأصل الاستماع له والإنصات لوعده ووعيده، وأمره ونهيه، والاتعاظ به، فينبغي أن تتأثر منه النفوس، وتلين له القلوب، وتبكي له العيون.
- على المؤمن أن يكون اتصاله بالقرآن الكريم اتصالًا وثيقًا، فيكثر من تلاوته وقراءته، ويحفظ ما استطاع منه، ويجتهد أن يحفظه كاملًا، ويجاهد نفسه في فهمه وتدبر معانيه، ويجلس على مائدته كثيرًا، وقبل ذلك وبعده يعمل بأحكامه، فيأتمر بأمره، وينتهي بنهيه، ويوقّره ويجلّه ويعظّمه أشد التوقير والإجلال والتعظيم، ولا يخوض مع من يخوض في آيات الله تعالى، ولا يتطاول على القرآن الكريم مع من تسول

---

[1] الماتريدي، تأويلات أهل السنة (439/9)، وانظر: السمرقندي، بحر العلوم (367/3)، الثعلبي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن (157/9)

[2] الثعلبي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن (158/9)، وانظر: البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن (319/4)

[3] انظر: حقي، إسماعيل بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي، (ت: 1127هـ)، روح البيان في تفسير القرآن (260/9)، دار الفكر –بيروت، (260/9)، دون ذكر الطبعة والسنة.

له أن يتطاول، سواء بالضحك أو السخرية أو اللمز، لأن القرآن الكريم المعجزة الكبرى لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم، فمن ضحك منها وسخر فإنّ حاله كحال فرعون حين ضحك وسخر من معجزة نبي الله موسى عليه السلام.

المطلب الرابع: استهزاء المنافقين وضحكهم عند سماع القرآن

قال تعالى: ﴿ يَحۡذَرُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيۡهِمۡ سُورَةٞ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمۡۚ قُلِ ٱسۡتَهۡزِءُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مُخۡرِجٞ مَّا تَحۡذَرُونَ ٦٤ وَلَئِن سَأَلۡتَهُمۡ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلۡعَبُۚ قُلۡ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمۡ تَسۡتَهۡزِءُونَ ٦٥ لَا تَعۡتَذِرُواْ قَدۡ كَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡۚ إِن نَّعۡفُ عَن طَآئِفَةٖ مِّنكُمۡ نُعَذِّبۡ طَآئِفَةَۢ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ مُجۡرِمِينَ ٦٦ ﴾[التوبة:64-66]

هذا المشهد يبين أن المنافقين كانوا يستهزؤون بآيات الله تعالى، ويضحكون منها، قال الماتريدي: "ذكر بعض أهل التأويل أن النبي صلى الله عليه وسلم لمّا رجع من غزوة تبوك بينا هو يسير إذ هو برهط يسيرون بين يديه يضحكون ويستهزئون، فأطلع الله رسوله أنهم يستهزءون بالله وكتابه ورسوله"[1]. وسورة التوبة كانت تسمى الفاضحة[2]؛ لأنها فضحت المنافقين، وكشفت عيوبهم، وهتكت أستارهم، وأظهرت خبث قلوبهم، وكانت تسمى المثيرة والمبعثرة، أثارت مخازيهم ومثالبهم، وسميت الحفّارة، لأنها "حفرت ما في قلوب المنافقين فأظهرته"[3]. ومن أظهر وأشهر صفات المنافقين الاستهزاء بالدين وشعائره وشرائعه.

لقد نهى الله تعالى عن القعود مع الذين يستهزؤون بآيات القرآن الكريم، فقال: ﴿وَقَدۡ نَزَّلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أَنۡ إِذَا سَمِعۡتُمۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكۡفَرُ بِهَا وَيُسۡتَهۡزَأُ بِهَا فَلَا تَقۡعُدُواْ مَعَهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦٓۚ إِنَّكُمۡ إِذٗا مِّثۡلُهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ

[1] الماتريدي، تأويلات أهل السنة (419/5)

[2] انظر: مقاتل، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى (ت: 150هـ)، تفسير مقاتل بن سليمان، المحقق: عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث –بيروت، ط1، 1423هـ، (171/2)، الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (332/14)، ابن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم (1829/6)، السمرقندي، بحر العلوم (37/2)

[3] الثعلبي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن (64/5)

ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾﴾[النساء:140]، وقال أيضًا: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾﴾[الأنعام:68]

والخوض في الآيات يعني[1] الاستهزاء بها، وتكذيبها، وسبّ من أنزلها، والكفر بها، وقول ما لا يصلح. وذلك أن المشركين بمكة كانوا يستهزئون بالقرآن الكريم، فنهى الله تعالى المسلمين عن القعود معهم، والإعراض عنهم في حال خوضهم في ذلك، وأن المنافقين كانوا يجلسون إلى أحبار اليهود فيستهزؤون بالقرآن ويكذبون به، ويحرفونه عن مواضعه، فنهى الله تعالى المسلمين عن مجالستهم ومخالطتهم، فنهوا أن يقعدوا معهم في المدينة كما نهوا عن مجالسة المشركين بمكة، وهي عامة لكل زمان ومكان.

قال ابن عطية: "والخوض أصله في الماء ثم يستعمل بعد في غمرات الأشياء التي هي مجاهل تشبيهًا بغمرات الماء"[2]، "فاستعير من المحسوس للمعقول. وقيل: هو مأخوذ من الخلط. وكل شي خضته فقد خلطته، ومنه خاض الماء بالعسل خلطه"[3]، قال الخازن: "ويستعار للأخذ في الحديث والشروع فيه. يقال: تخاوضوا في الحديث وتفاوضوا فيه، لكن أكثر ما يستعمل الخوض في الحديث على وجه اللعب والعبث وما يذم عليه"[4]، ومنه قوله تعالى: ﴿وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾﴾[المدثر:45]، والمراد من الخوض هنا "الشروع في آيات الله تعالى على سبيل الطعن والاستهزاء"[5].

الدروس والقيم التربوية المستفادة:

- كثير هم المنافقون في زماننا، الذين يفعلون كما فعل المنافقون الأوائل؛ يضحكون من شعائر دين الإسلام، ويستهزؤون من القرآن الكريم وآياته، فوجب الحذر منهم والتحذير من الخوض معهم.

---

[1] انظر: مقاتل، تفسير مقاتل بن سليمان (567/1)، الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (436/11)، الماتريدي، تأويلات أهل السنة (119/4)، الثعلبي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن (403/3)، الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (578/1)

[2] ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (304/2)

[3] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (12/7)

[4] الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل (122/2)

[5] الرازي، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) (22/13)

- نبّهت الآيات على التحذير من مجالسة العصاة والمنافقين والكافرين الذين يخوضون في الآيات، مع أن "مُجالِس الكافر غير كافر"[1]، والمراد ترك معاشرتهم وملاطفتهم ولا يترك إنذارهم وتخويفهم، ولكن إن دلّ على "أن الرجل إذا علم من الآخر منكرًا وعلم أنه لا يقبل منه فعليه أن يعرض عنه إعراض منكر ولا يقبل عليه"[2].
- النهي عن مجالسة أهل المعاصي والكبائر والمنكرات حال تلبسهم بها، وخاصة إذا كانت أعمالهم تمس العقيدة، ولا يجوز الفرح بانتشارهم وظهورهم، أو تكثير سوادهم، أو مساعدتهم ومناصرتهم، أو الرضى بمعصيتهم وباطلهم –حتى ولو كانوا أولي قربى–، لأن الرضى بالمنكر ذنب عظيم، والاستهزاء بشعائر الدين من كبائر الذنوب، موجب لغضب الله تعالى ونقمته وعقابه وسخطه.
- في الإشارة السابقة تهديد أكيد ووعيد شديد للمنافقين والكافرين بما ينتظرهم يوم القيامة، وكذلك بمن يركن إليهم، ويجالسهم حال الخوض في آيات الله تعالى، والاستهزاء بالقرآن الكريم، والاستخفاف به والطعن والتكذيب.
- المؤمن –صادق الإيمان– لا يسمح لأحد أن يتطاول على دينه وشريعته وعقيدته وقرآنه ومقدساته، بل يقف بالمرصاد لكل من تسوّل له نفسه الانتقاص من أي رمز من رموز الدين الإسلامي، أو الاستهزاء بأي حكم من أحكام الشريعة الغراء، أو التطاول على الذات الإلهية أو الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم باللعن أو الشتم أو السب، وعلى الجماعة المؤمنة أن تتصدى لكل من يحاول خرق هيبة الشرع بفعل المنكرات، وإشاعة الفساد الأخلاقي من خلال التجرؤ بالسخرية والاستهزاء في أي وسيلة كانت؛ مقروءة أو مكتوبة أو مسموعة. "فمن سمع الاستهزاء بدينه في مجلس، فإما أن يدفع، وإما أن يقاطع المجلس وأهله. فأما التغاضي والسكوت فهو أول مراحل الهزيمة"[3].

---

[1] ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير (488/1)

[2] انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (12/7)

[3] قطب، في ظلال القرآن (781/2)

- أشارت الآيات أن المنافقين مثل الأحبار في الكفر[1]. ومن رضي بالكفر فهو كافر[2]، ومن رضي بالمنكر وخالط أهله كان في الإثم بمنزلة المباشر له، لأن الساكت عن المنكر شريك في الإثم.
- المنافقون والكافرون مجموعون في جهنم للعذاب، فكما اجتمعوا على الاستهزاء في الدنيا، فإنهم "يجتمعون في جهنم على العقاب"[3].

المطلب الخامس: سخرية الكافرين عند سماع القرآن الكريم

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَوْا۟ ءَايَةً يَسْتَسْخِرُونَ ﴿١٤﴾ ﴾[الصافات:14]

هذا المشهد يبين سخرية الكافرين وضحكهم عند سماع القرآن الكريم، واستهزاءهم عند تلاوة آيات القرآن الكريم، ويقولون عنه أنه سحر، قال يحيى بن سلام: "إذا تُليت عليهم آية يستسخرون، {وَقَالُوا إِنْ هَذَا} يعنون القرآن"[4]. وعن قتادة: "أي يسخرون منه ويستهزئون"[5]. فإذا "رأوا آية من آيات القرآن يهزؤون"[6].

قال جمع من العلماء: إن المقصود بالآية هنا العلامة والدلالة والحجة والمعجزة كانشقاق القمر[7].

ويمكن الجمع بين القولين –والسياق يحتمل المعنيين– أي أن يكون معنى الآية هي الآيات الكونية، أو الآيات القرآنية. وقد أشار إلى هذا المعنى بعض العلماء[8].

---

[1] الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (578/1)

[2] انظر: الواحدي، الوسيط في تفسير القرآن المجيد (130/2)، السمعاني، تفسير القرآن (492/1)، الرازي، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) (247/11)

[3] الواحدي، الوسيط في تفسير القرآن المجيد (130/2)

[4] ابن سلام، يحيى، بن أبي ثعلبة، التيمي (ت: 200هـ)، تفسير يحيى بن سلام (826/2)، تحقيق: هند شلبي، دار الكتب العلمية، بيروت –لبنان، ط1، 1425هـ–2004م

[5] ابن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم (3207/10)

[6] مكي، الهداية إلى بلوغ النهاية (6088/9)

[7] انظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (24/21)، السمرقندي، بحر العلوم (138/3)، الثعلبي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن (141/8)، البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن (28/4)، الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (38/4)، ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (468/4)، البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل (7/5)

[8] انظر: الخطيب، عبد الكريم يونس (ت: بعد 1390هـ)، التفسير القرآني للقرآن، دار الفكر العربي –القاهرة، (969/12)

الدروس والقيم التربوية المستفادة:

- يمكن القول: إن القيم التربوية المستفادة من هذا المطلب تماثل ما ذُكر في المطالب السابقة.

المطلب السادس: ضحك كفار مكة من المؤمنين

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضۡحَكُونَ ٢٩ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمۡ يَتَغَامَزُونَ ٣٠ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ ٣١﴾[المطففين: 29-31]

في مطلع هذا المشهد –الذي تتعدد فيه الانفعالات– يظهر انفعال الضحك من قِبل الكفار، حيث يضحكون من الذين آمنوا ويستهزؤون بهم، ويسخرون منهم، ويتغامزون بهم، وقد وصفهم الله تعالى بأنهم {أَجْرَمُوا} وذلك لكفرهم وشركهم وكثرة آثامهم، كأبي جهل، والوليد بن المغيرة، وعقبة بن أبي معيط، والعاص بن وائل والأسود بن عبد يغوث، والعاص بن هشام، والنضر بن الحارث وأصحابهم من مترفي مكة وكفارها ومشركيها وصناديدها، كانوا إذا مروا بالمؤمنين أو رأوهم مثل عمار، وخباب، وصهيب، وبلال، وغيرهم، يضحكون على وجه السخرية منهم والاستهزاء والاستخفاف بهم[1]. ويتغامزون بهم، والغمز الإشارة بالجفن والحاجب، أي يشيرون إليهم بالأعين استهزاء[2]، ويعيبونهم بأنهم يُتعبون أنفسهم ويحرمونها كثيرًا من اللذات.

وهذا الضحك منهم تجاه المؤمنين نابع من الكِبر، حيث كانوا يرون أنفسهم أنهم أحسن حالًا، وأكثر أموالًا، وأعز جاهًا، من ضعفة المؤمنين الذين كانوا أقل مالًا منهم، وأشد حاجة وفقرًا، فكانوا يضحكون منهم ويسخرون منهم احتقارًا واستهزاء.

[1] انظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (302/24)، الواحدي، الوسيط في تفسير القرآن المجيد (449/4)، البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن (227/5)، الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (724/4)، ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (454/5)، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (267/19)

[2] انظر: البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن (227/5)، ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير (418/4)، الرازي، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) (94/31)

ولكن هذا الضحك سينقلب عليهم يوم القيامة، وينعكس عليهم غمًا وحزنًا وندمًا وحسرةً، حيث يضحك المؤمنون منهم حينما يدخلون الجنة، بينما هؤلاء المتكبرون يكون مصيرهم إلى النار، والجزاء من جنس العمل: ﴿فَٱلۡيَوۡمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلۡكُفَّارِ يَضۡحَكُونَ ٣٤عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ٣٥ هَلۡ ثُوِّبَ ٱلۡكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ٣٦﴾[المطففين:34-36]، ولعل هذا المشهد الذي خُتمت به السورة يتناسب مع بدايتها؛ حيث بدأت بالويل والتهديد لمن أبخس حق الناس، فهؤلاء الكفار الذين كانوا يسخرون من الذين آمنوا ويضحكوا منهم ويبخسونهم حقهم، كان جزاءهم أن يُضحك منهم كما فعلوا مع المؤمنين في الدنيا.

وأورد الله تعالى لفظ {يَضْحَكُونَ} بصيغة المضارع للدلالة على تكرر الضحك منهم، وأن هذه عادتهم عند رؤية المؤمنين، وهذا نهجهم وديدنهم فيهم، فكانوا كلما رأوا فقراء المسلمين وضعفتهم يسخرون ويضحكون منهم.

قال سيد قطب: "إنهم كانوا يضحكون من الذين آمنوا استهزاء بهم، وسخرية منهم، إما لفقرهم ورثاثة حالهم، وإما لضعفهم عن رد الأذى، وإما لترفعهم عن سفاهة السفهاء.. فكل هذا مما يثير ضحك الذين أجرموا. وهم يتخذون المؤمنين مادة لسخريتهم أو فكاهتهم المرذولة. وهم يسلطون عليهم الأذى، ثم يضحكون الضحك اللئيم الوضيع، مما يصيب الذين آمنوا، وهم صابرون مترفعون متجملون بأدب المؤمنين! {وَإِذا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغامَزُونَ} يغمز بعضهم لبعض بعينه، أو يشير بيده، أو يأتي بحركة متعارفة بينهم للسخرية من المؤمنين. وهي حركة وضيعة واطية تكشف عن سوء الأدب، والتجرد من التهذيب. بقصد إيقاع الانكسار في قلوب المؤمنين، وإصابتهم بالخجل والربكة، وهؤلاء الأوغاد يتغامزون عليهم ساخرين! {وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلى أَهْلِهِمُ} بعد ما أشبعوا نفوسهم الصغيرة الرديئة من السخرية بالمؤمنين وإيذائهم.. {انْقَلَبُوا فَكِهِينَ}.. راضين عن أنفسهم، مبتهجين بما فعلوا، مستمتعين بهذا الشر الصغير الحقير. فلم يتلوموا ولم يندموا، ولم يشعروا بحقارة ما صنعوا وقذارة ما فعلوا. وهذا منتهى ما تصل إليه النفس من إسفاف وموت للضمير!"[1].

[1] سيد قطب، في ظلال القرآن (3861/6)

الدروس والقيم التربوية المستفادة:

- من الوسائل الإجرامية التي يستخدمها الكافرون تجاه المؤمنين الضحك والسخرية منهم، ليرغموهم على ترك الدعوة، وهذا جانب من الجوانب الحرب النفسية التي يشنونها على الإسلام، وحملة رايته، خاصة إذا كانوا فقراء، ضعفاء، لا يملكون ما يدافعون به عن أنفسهم، من عتاد او عدة أو مكانة اجتماعية وغير ذلك، فيتخذوهم مادة للضحك والسخرية والضحك، وهذه عقلية منحطة، مليئة بالحقد والخبث، يجب على الدعاة وغيرهم من المسلمين ألّا يلتفتوا إلى حركاتهم الساخرة، ولكن يحتسبوا أمرهم عند الله تعالى، ويمضوا في طريق الدعوة بين الناس في كل المحافل والأماكن المتاحة، رغم ضعفهم وفقرهم.
- المؤمن يشعر بالغربة وتشتد عليه، لما يرى من كثرة المخالفين للدين، وكثرة الوقوع في المعاصي والكبائر، وسهولة التفلّت الأخلاقي، وعدم الالتزام بأمر الشريعة، وظهور الفساد في جوانب كثيرة من الحياة، وتظافر هيئات وجمعيات ومجتمعات للعمل ضد الإسلام، وظهور الكثير ممن يحاربون الدين، ويسخرون من أهله والعاملين له، فتراهم يضحكون من المؤمنين، ويسخرون منهم في كل محفل، وعبر كل منصة، وكثر هذا في زماننا من خلال التطور التكنولوجي، وكثرة وسائل التواصل بين الناس.
- الواجب على المؤمن التمسك بدينه، والثبات على الشريعة، وحسن الظن بالله تعالى، رغم كثرة المخالفين، ورغم شعوره بالغربة، لأن الجزاء من جنس العمل، فإذا ضحك الكافرون من المؤمنين اليوم، فإن الشيء ينقلب عليهم يوم القيامة، حينما يقضي الله تعالى بين الناس، فيكافئ المؤمنين بالجنة، ويجلسهم على الأسرّةِ، وحالتهم النفسية مطمئنة، يضحكون من الكافرين الذين يُعذبون في النار.
- المؤمن يحتسب عند الله تعالى كل ما يصيبه من ضر أو قهر أو محنة أو إيذاء من الكافرين، ويصبر راجيًا الأجر والثواب يوم القيامة، ليوفّى الجزاء الأوفى.
- يوم القيامة يوم فرح وسعادة للمؤمنين، ومن أكثر ما يميّز حالتهم النفسية الضحك والانبساط والسرور، وخاصة حينما يرون مَن كان يضحك منهم في الدنيا يعذبون في النار.

المطلب السابع: من أسباب بقاء الكافرين في النار ضحكهم من المؤمنين

قال تعالى: ﴿ قَالُواْ رَبَّنَا غَلَبَتۡ عَلَيۡنَا شِقۡوَتُنَا وَكُنَّا قَوۡمٗا ضَآلِّينَ ١٠٦ رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡهَا فَإِنۡ عُدۡنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ١٠٧ قَالَ ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ١٠٨ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٞ مِّنۡ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ١٠٩ فَٱتَّخَذۡتُمُوهُمۡ سِخۡرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوۡكُمۡ ذِكۡرِي وَكُنتُم مِّنۡهُمۡ تَضۡحَكُونَ ١١٠ ﴾[المؤمنون:106-110]

هذا المقطع يصوّر مشهدًا من مشاهد يوم القيامة التي تبيّن أحوال الكافرين المؤلمة وهم يُعذبون في النار، ويعترفون بضلالتهم، ويطلبون من الله تعالى أن يخرجهم منها، فيقال لهم اخسئوا واخرسوا واسكتوا سكوت الأذلاء، وتباعدوا تباعد سخط، حيث يقال: "خسأت الكلب أخسؤه إذا زجرته ليتباعد"[1]، لأنكم اتخذتم المؤمنين سخريًا وهزوًا، وكنتم منهم تضحكون، وتركتم ذكري، فكان الواجب عليكم ان تذكروني، بدل استهزائكم بهم، فإنكم تستحقون العذاب والإهانة والإذلال. قال السمعاني: "وفي الآية دليل على أن الاستهزاء بالناس كبيرة"[2].

ونظير الآية قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضۡحَكُونَ ٢٩﴾[المطففين: 29]، قال مقاتل: "وذلك أن رؤوس كفار قريش المستهزئين: أبا جهل وعتبة والوليد وأمية ونحوهم اتخذوا فقراء أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم سخريًا يستهزءون بهم ويضحكون من خباب وعمار وبلال وسالم مولى أبي حذيفة ونحوهم من فقراء العرب فازدروهم، ثم قال: {حَتَّى أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي} حتى تركككم الاستهزاء بهم عن الإيمان بالقرآن وكنتم يا معشر كفار قريش من الفقراء تضحكون استهزاء بهم {إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ} في الآخرة {بِما صَبَرُوا} على الأذى والاستهزاء يعني الفقراء من العرب والموالي {أَنَّهُمْ هُمُ الْفائِزُونَ} يعنى هم الناجون"[3].

[1] الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (24/4)

[2] السمعاني، تفسير القرآن (493/3)

[3] مقاتل، تفسير مقاتل بن سليمان (167/3)

الدروس والقيم التربوية المستفادة:

- الله تعالى يدافع عن الذين آمنوا، وينتقم لهم من أعدائهم الذين كانوا يسيئون إليهم ويؤذونهم ويسخرون منهم ويضحكون، فلا ييأس المؤمنون إن لم يستطيعوا أن يمنعوا أو يوقفوا السخريات المتتالية من قبل الكافرين، أو يأخذوا حقهم منهم، فإن الله تعالى يشف صدورهم، بأن يجعل الكافرين من أهل النار.
- من أشد وأقسى أنواع العذاب في النار العذاب النفسي زيادة على العذاب البدني؛ كالتوبيخ والتبكيت والتحقير والإذلال والإهانة، وكل هذا جاء من خلال نهرهم وإسكاتهم وزجرهم، بأسلوب يليق بمقامهم، كزجر الكلاب: {اخْسَئُوا فِيهَا}، وهذه عاقبة كل من سخر من المؤمنين ومن دينهم وشريعتهم وشرائعهم، فالمؤمن الصادق لا يفعل كفعلهم، ولا يكثّر سوادهم، ولا يرضى بتصرفاتهم، وإلا هلك معهم، وخاصة أن هذا الزجر والتوبيخ من رب العالمين، فهو أشد عليهم وأقسى من عذاب النار الذي يقاسون حرّه وإيلامه. التحذير الحملات الإعلامية الخبيثة الموجهة للاستهزاء بالدين والانتقاص منه، وبرامج الفضائيات التي أقيمت لهذا الغرض.

الفصل السادس

انفعال العبوس عند الكافرين في القرآن الكريم

المبحث الأول: معنى العبوس ودلالاته في السياق القرآني

المطلب الأول: العبوس في اللغة

قال ابن فارس: "العين والباء والسين أصل صحيح يدل على تَكَرُّهٍ في شيء"[1]. "وعبَّس: قطب. ويوم عابس وعَبُوس: شديد"[2]. "وعبَّس وجهه، شدّد للمبالغة. والتعبس: التجهم"[3]. والعبوس: "كلوح الوجه، والعبوس أيضًا: اليوم الشديد"[4] الكريه[5]. قال تعالى: ﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾﴾ [الإنسان:10]. وهو عابس الوجه: غضبان[6]. "وعبَّس: قطَّب ما بين عينيه"[7]. والعبوس خلاف طلاقة الوجه، وهو تكره الوجه عند اللقاء والسؤال[8]. فالعبوس ضد البِشْر والطلاقة والتبسم والابتهاج والانشراح والسرور والتّهلل والانبساط.

المطلب الثاني: العبوس في الاصطلاح

إن معنى العبوس في الاصطلاح لا يختلف عن معناه في اللغة. فهو كما قال الراغب: "قطوب الوجه من ضيق الصدر"[9].

---

[1] ابن فارس، مقاييس اللغة، (210/4)

[2] ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم (503/1)

[3] الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (945/3)

[4] ابن فارس، أحمد بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت: 395هـ)، مجمل اللغة، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة –بيروت، ط2، 1406هـ–1986م (ص: 644)

[5] ابن فارس، مقاييس اللغة (211/4)

[6] المرجع السابق (211/4)

[7] ابن منظور، لسان العرب (128/6)

[8] انظر: العسكري، الفروق اللغوية (ص: 264)

[9] الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن (ص: 544)

المطلب الثالث: العبوس في السياق القرآني

وردت مادة (عبس) ثلاث مرات في القرآن الكريم. مرة في حق النبي صلى الله عليه وسلم، في سورة عبس، في قوله تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١﴾[عبس:1]، ومرة في وصف الوليد بن المغيرة، في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ۝٢٢﴾[المدثر:22]، والثالثة في وصف يوم القيامة، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوۡمًا عَبُوسٗا قَمۡطَرِيرٗا ۝١٠﴾[الإنسان:10]. "إن ظهور العبوس في الوجه يكون بعد المحاورة، وظهور البُسُور في الوجه قبل المحاورة"[1]، وقيل: "إن العبوس يكون مع المحاورة والمنازعة، والبُسُور مع الإعراض والصدود، فلذلك جمع بينهما"[2]. ولقد وردت في القرآن كلمات ذات صلة وهي: البسْر والكلوح.

المطلب الرابع: العبوس عند علماء النفس

إن معنى العبوس عند علماء النفس لا يخرج عن معناه اللغوي، لذلك لم يضع علماء النفس تعريفًا محددًا وواضحًا للعبوس[3]، إذن هو تعبير وجهي ضد السرور والانبساط والتبسم والبِشر، وهو تقطيب لما بين العينين، يدل على الغضب والتجهم والكلوح.

[1] الماوردي، النكت والعيون (142/6)، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (76/19)

[2] بيان الحق، محمود بن علي بن الحسين النيسابوري الغزنوي، (ت: بعد 553هـ)، باهر البرهان في معاني مشكلات القرآن، تحقيق: سعاد بنت صالح بن سعيد بابقي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1419هـ-1998م، (1581/3)

[3] انظر: مصطفى، الانفعالات النفسية عند الأنبياء في القرآن الكريم، ص159

المبحث الثاني: مشاهد العبوس عند الكافرين في السياق القرآني

المطلب الأول: عبوس الكفار عند سماعهم القرآن الكريم

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَ ۖ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۗ قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ۗ ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٢﴾﴾ [الحج:72].

هذه الآية تبيّن انفعالات الكفار عند سماعهم آيات القرآن الكريم، حينما تتلى عليهم، حيث يظهر في وجوههم المنكر، وهو العبوس[1]، والكراهية، والتجهم، والبغض والغضب والحنق والغيظ. وقيل: "هو الفظيع من التجهم والبسور"[2]. حتى يكادوا من شدة غضبهم، وغيظهم وعنادهم، وسفههم، وشدة تعنتهم وعتوهم، يبطشون بالذين يتلون عليهم آيات الله تعالى، ويأخذونهم أخذًا شديدًا، ويضربونهم ضربًا مبرحًا مؤلمًا، ويتناولونهم بالمكروه من الشتم والسباب والضرب، ويقعون فيهم، ويسطون بهم سطوًا أليمًا، لأن السطو الوثب والبطش بقوة، والسطوة العقوبة، وشدة البطش، "والله ذو سطوات، أي: أخذات شديدة"[3]، "ورجل ذو سطوة وبطشة، أي: ذو قوة وقدرة"[4]. "وأصل السطو: القهر"[5]، والبطش[6]، يقال: "سطا عليه وسطا به إذ تناوله بالبطش والعنف والشدة"[7]، وذلك لشدة كراهيتهم أن يسمعوا القرآن يتلى عليهم، لأن القرآن الكريم مليء بالآيات التي تدعو إلى التوحيد، فإذا سمعوا ذلك عرفت المساءة في وجوههم، ورؤي أثر الإنكار من الكراهية وتعبيس الوجوه، حيث إن لسماع الخطاب والحديث أثر في القلوب، من البهجة والفرح والاستبشار والارتياح والانبساط، أو الوحشة والبغض والكره والتجهم والعبوس، وكل ذلك محله القلب، والوجه هو الذي يظهر فيه الفرح والترح،

---

[1] انظر: الثعلبي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن (33/7)، الواحدي، الوسيط في تفسير القرآن المجيد (280/3)، البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن (351/3)، ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير (249/3)، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (95/12)، النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل (454/2)، ابن عجيبة، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد (554/3)

[2] الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (170/3)، وانظر: أبو حيان، البحر المحيط في التفسير (536/7)، القاسمي، محاسن التأويل (274/7)، أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (120/6)

[3] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (96/12)

[4] انظر: الماتريدي، تأويلات أهل السنة (442/7)، السمرقندي، بحر العلوم (470/2)

[5] انظر: الثعلبي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن (33/7)، البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن (351/3)

[6] مكي، الهداية إلى بلوغ النهاية (4932/7)

[7] انظر: الواحدي، الوسيط في تفسير القرآن المجيد (280/3)، البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن (351/3)

والرضى والغضب، والسرور والبسور. ووصفُهم بما ذكرت الآية كناية عن امتلاء نفوسهم من الإنكار والغيظ حتى بدا ظاهرًا على وجوههم. كما جاء وصف أهل الجنة: ﴿تَعۡرِفُ فِي وُجُوهِهِمۡ نَضۡرَةَ ٱلنَّعِيمِ ٢٤﴾[المطففين:24] كناية عن عظيم نعيمهم وسعادتهم، وكثير مسرتهم.

والآية التي بين أيدينا شبيهة بآيات أخرى، ومنها توضيح لها، كقوله تعالى: ﴿كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ١٣﴾[الشورى:13]، وكقوله سبحانه: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُ ٱشۡمَأَزَّتۡ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ٤٥﴾[الزمر:45]، ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ ٢٦﴾[فصلت:26]، ﴿أَمۡ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةُۢۚ بَلۡ جَآءَهُم بِٱلۡحَقِّ وَأَكۡثَرُهُمۡ لِلۡحَقِّ كَٰرِهُونَ﴾[المؤمنون:70].

وإنما يعود المنكر الذي في وجوههم لشدة كراهيتهم للحق، ولذلك فإنهم يمتنعون من سماعه، ويستعملون كثيرًا من الوسائل والأساليب لأجل ذلك، وتلك هي عادة الكافرين على مرّ الزمان، المُعادون للرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام، الكارهون للحق، من لدن نوح، مرورًا بإبراهيم، ووصولًا إلى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وكأن الأقوام يتواصون بذلك عبر السنين والدهور، ﴿أَتَوَاصَوۡاْ بِهِۦۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ طَاغُونَ﴾[الذاريات:53]، هذا حال أهل الكفر والضلال، مع كل رسالة سماوية، ومع كل دعوة طاهرة، وفي وجه كل كتاب أنزله الله تعالى على رسول من رسله الكرام عليهم الصلاة والسلام، بل وفي وجه كل آية بينة، تدعو إلى التوحيد، والفضيلة، والخير، والحق، والعدل والإحسان، إنهم يضيقون ذرعًا بكل ما يتصل بالشرائع المنزّلة التي هي دين الإسلام عبر كل الأزمنة التي مرت على أرض الله تعالى، إنهم يحاربون بكل قوتهم، لأنهم أدمنوا على المنكر، فصار دينهم وديدنهم، يؤذيهم كل من ينهى عن المنكر، ويسوؤهم كل من يقاوم القبيح، ويلوح كل ذلك في وجوههم عبوسًا وتقطيبًا وانفعالًا، يتقلبون في غيظ وحنق، يريدون البطش بهم، والوثوب عليهم سطوًا وقهرًا وتعذيبًا وقتلًا وتشريدًا، كما قال عز وجل: ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزۡلِقُونَكَ بِأَبۡصَٰرِهِمۡ لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكۡرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجۡنُونٞ ٥١﴾[القلم:51]. فما أضيق قلوب أهل الكفر، وما أوضح اسوداد المنكر، وأشد العبوس في وجوههم!

الدروس والقيم التربوية المستفادة:

- لفظة {تُتْلَى} فيها معنى تجدد التلاوة، فانفعال الغضب والعبوس عند أولئك متجدد بتجدد التلاوة، فكلما سمعوا آيات القرآن تتلى ظَهر في وجوههم العبوس والتجهم والغضب والغيظ، يريدون أن يبطشوا بالمؤمنين الذين يتلون كتاب الله تعالى، وهذا موقفهم دائمًا أبدًا.
- على المؤمنين ألا يهابوا الكافرين ومن معهم من المنافقين، ولا يمتنعون عن قراءة القرآن الكريم، مخافة أن ينالهم شيء من بطشهم، فالله تعالى يدافع عن الذين آمنوا، ولن يجعل للكافرين على المؤمنين سبيلًا.
- الحالة النفسية للكافرين هنا تبيّن فرط إنكارهم لهذا القرآن الكريم المتلو على مسامعهم، فظهرت آثار العبوس على وجوههم، بعدما امتلأت صدورهم غيظًا وإنكارًا، وهذه حالة تعتري الكثير من أبناء جلدتنا وعروبتنا، حيث تغيظهم شريعة القرآن الكريم وأحكامه، وتغضبهم آياته وكلماته، بينما إذا سمعوا شيئًا يخالف القرآن أو يعارضه إذا هم يفرحون ويستبشرون، فعلى أهل الإيمان ألا يتأثروا، وليمضوا في طريقهم إلى الله تعالى.

المطلب الثاني: نماذج من عبوس الكافرين

قال تعالى: ﴿ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾﴾[المدثر:22]

البسور: "العبوس"[1]، ورجل بسر: "كريه الوجه والمنظر"[2]. "وبسَر الشخص: أظهر العُبوس، نظر بكراهة شديدة، كلح وجهُهُ وتغيَّر لونُه في غير وقت"[3]، وجه باسر إذا تغير واسود[4]. وهو حالة حاصلة بعد العبوس، وهو أثر من آثاره.

[1] الفراهيدي، كتاب العين (250/7)
[2] ابن دريد، جمهرة اللغة (308/1)
[3] مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة (202/1)
[4] انظر: الشوكاني، فتح القدير (392/5)

والمقصود بالآية الكريمة {ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ} هو الوليد بن المغيرة[1]، "دخل الوليد بن المغيرة على أبي بكر بن أبي قُحافة رضي الله عنه، يسأله عن القرآن، فلما أخبره خرج على قريش فقال: يا عجبا لما يقول ابن أبي كبشة، فو الله ما هو بشعر، ولا بسحر، ولا بهذي من الجنون، وإن قوله لمن كلام الله، فلما سمع بذلك النفر من قريش ائتمروا وقالوا: والله لئن صبأ الوليد لتصبأنّ قريش، فلما سمع بذلك أبو جهل قال: أنا والله أكفيكم شأنه، فانطلق حتى دخل عليه بيته، فقال للوليد: ألم تر قومك قد جمعوا لك الصدقة قال: ألستُ أكثرهم مالا وولدا؟ فقال له أبو جهل: يتحدّثون أنك إنما تدخل على ابن أبي قُحافة لتصيب من طعامه، قال الوليد: أقد تحدثت به عشيرتي، فلا يقصر عن سائر بني قُصيّ، لا أقرب أبا بكر ولا عمر ولا ابن أبي كبشة، وما قوله إلا سحر يؤثر، فأنزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم: {ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا} إلى {لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ}"[2].

إذن فالآية تبين الانفعال النفسي الذي أصاب الوليد بن المغيرة؛ حيث غضب مما قاله عنه قومه، وخاصة أنه كان معروفًا فيهم بكثرة أبنائه وأمواله وثرائه، فساءه ذلك، وكره ما قال القوم كراهة شديدة، كالمهتم للتفكر في شيء وهو لا يجد فيه فرجًا، ومن شدة الغيظ تمعّر وجهه وتغيّر لونه واسودّ واكفهرّ، وبدا على تقاسيمه الحزن والهم، ورؤي الانزعاج عليه، حتى ضاق صدره، فعبس وجهه وقَطب، وضاقت به الحيل، ولم يدر ما يقول، وقبض بين عينه، وبسر وكلح، فهو باسر كالح منقبض أسود من شدة الحنق والغضب والتأثر، حتى بدا أثر العبوس والبسور في وجهه.

وما هذه العبوسة التي ظهرت في وجهه إلا لأنه كان يعتقد صحة ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحق والصدق، لأنهم ما جرّبوا عليه كذبًا، وما عرفوه إلا صادقًا أمينًا، قد كان مشهورًا بهاتين الصفتين في أرجاء مكة، وقبائلها وأهلها، ولو كان يعتقد عدم ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم، وخلاف صحته، لفرح فرحًا شديدًا، وبرقت أسارير وجه، ولرؤي البِشر والتهلل عليه، ولكن عناده وكبره الشديدين جعلاه في حالة نفسية صعبة مركبة، فكان الغضب والحنق، مما أظهر العبوس والبسور في وجهه؛ لأنه كان يعلم علمًا

[1] انظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (19/23)

[2] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (25/24)

يقينيًا أنّ ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق وحق، وأن الذي يقوله هو كذب وافتراء وبهتان. فما كان منه إلا أن عبس في أول أمره عند المنازعة والمحاورة، وأظهر العبوس قبل أوانه، وقبل وقته، واستعجل في اتخاذ قراره، ثم بَسَر بعد التفكر في الأمر، مع الإعراض الشديد والصدود ورفض الحق، ولذلك جمع بينهما، لأن بسر اتباعًا لعبس وتأكيدًا، فقد وقف محتارًا، لا يدري ما يقول، لا يتقدم ولا يتأخر، قبل أن يولي مدبرًا إلى أهله، وخاصة أن من معاني البسر: التوقف لا يتحرك إلى الأمام ولا إلى الوراء، وقد قال أهل اليمن: "بسَر المركب وأبْسر، أي: وقف لا يتقدم ولا يتأخر"[1]، ثم هو بعد ذلك تولى وأدبر واستكبر، والعطف بين البسور والاستكبار على سبيل التوكيد، لأن "الاستكبار يظهر أنه سبب للإدبار، إذ الاستكبار معنى في القلب، والإدبار حقيقة من فعل الجسم، فهما سبب ومسبّب"[2].

وكل هذه التصرفات انفعالات نفسية مركبة، قد تراكمت عليه، مما جعله يفكر ويغتم ويغضب ويعبس ويبسر ويحتار ويدبر ويستكبر ويكذب، ويا لها من حركات، كأنه على مسرح أمام الجماهير، ومن حوله عدة مصورين يلتقطون له صورًا كثيرة، من كل ناحية، عن كل انفعال، لقطة لقطة، وخطوة خطوة، وتعبيرًا بعد تعبير، كما قال قطب: "ثم يرسم تلك الصورة المبدعة المثيرة للسخرية والرجل يكد ذهنه! ويعصر أعصابه! ويقبض جبينه! وتكلح ملامحه وقسماته.. كل ذلك ليجد عيبًا يعيب به هذا القرآن... لمحة لمحة. وخطرة خطرة. وحركة حركة. يرسمها التعبير، كما لو كانت ريشة تصور، لا كلمات تعبر، بل كما لو كانت فيلمًا متحركًا يلتقط المشهد لمحة لمحة!!! لقطة وهو يفكر ويدبر ومعها دعوة هي قضاء {فَقُتِلَ!} واستنكار كله استهزاء {كَيْفَ قَدَّرَ؟} ثم تكرار الدعوة والاستنكار لزيادة الإيحاء بالتكرار، ولقطة وهو ينظر هكذا وهكذا في جد مصطنع متكلف يوحي بالسخرية منه والاستهزاء، ولقطة وهو يقطب حاجبيه عابسًا، ويقبض ملامح

[1] انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (76/19)، أبو حيان، البحر المحيط في التفسير (323/10)، السمين الحلبي، أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم (ت: 756هـ)، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، المحقق: الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، من دون ذكر الطبعة (543/10)، الشوكاني، فتح القدير (392/5)

[2] أبو حيان، البحر المحيط في التفسير (331/10)

وجهه باسرًا، ليستجمع فكره في هيئة مضحكة! وبعد هذا المخاض كله؟ وهذا الحزق كله؟ لا يفتح عليه بشيء.. إنما يُدْبِر عن النور ويستكبر عن الحق"[1].

هكذا كانت خواطره المتضاربه، تغدو وتروح في نفسه، وتُقبل وتدبر في قلبه، حتى كان هذا الصراع المحتدم مع ذاته، والغضب المتوقد في فؤاده، والحنق الذي يموج في صدره، وهو ينتفض انتفاض الفرخ تحت وابل المطر، وقد أخذته العزة بالإثم، وآثر الطيش على الحكمة، فتجهّم وتهجّم بالقول، وهذه كلها تكشف عن انفعالات نفسية أظهرت ما في نفسه من شر وعناد وعدوان وحسد، وظهرت عليه عبوسًا وبسرًا وتجهّمًا وكلوحًا وكمدًا حيث لم يجد ما يشفي غليله من مطعن في القرآن الكريم، وضاقت عليه مذاهب الحيل، وعسر عليه الرد، فقال فريتة التي بسببها استحق الوعيد والتهديد بالحرق في سقر، ذلك لأن الصراع النفسي العنيف في داخله أخرجه عن صوابه، دفعه إلى غمط الحق، واتباع الباطل، وقول غير الحقيقة، إرضاء لقومه، ونزولًا عند رغبتهم، وخلاصًا له من المأزق، وتكلفه الشديد، الذي أصبح مثلا يضرب في الجهد العظيم، الذي يخرج بعده صاحبه بالقول الباطل العقيم.

الدروس والقيم التربوية المستفادة:

- العاقل يصاحب من يدله على الخير ويعينه عليه، ولا يرده عنه، وخاصة في معرفة الدين والإيمان.
- قد يعطي الله تعالى الكافر من النعم الكثيرة، ويمده بالأموال والبنين، وليس هذا من باب الرضى عنه، بل هو استدراج، ومقدمة الهلاك.
- الوليد بن المغيرة أحد أبرز الشخصيات في قومه، عرف بالفصاحة والذكاء والقوة والغنى، فقد كان كثير المال والولد، والعبيد والخدم والإبل، كان يلقب بالعدل، لشدة عدله، ولذلك قال رأيه في القرآن الكريم بحق في أول أمره فقال: إنه ليس شعرًا ولا كهانة ولا جنونًا ولا كذبًا، ثم غيّر رأيه تطييبًا وإرضاءً لصديق السوء أبي جهل، فكانا زعيما أهل النار، حيث أورده المهالك، وكانا شديدين على المسلمين، اشتهرا

[1] سيد قطب، في ظلال القرآن (3757/6)

برفض الإسلام ومعاداة المسلمين، فكل من يتشبه بالوليد بن المغيرة ويفتري على القرآن الكريم يعرض نفسه للوعيد والتهديد، ويكون يوم القيامة رفيقه في سقر.

- كثير في زماننا ممن يعدون أنفسهم شخصيات بارزة في مجتمعاتهم، ويتبوؤون مناصب رفيعة، ويشغلون مراكز رفيعة في بلدانهم، يقلدون الوليد بن المغيرة، فينكرون أن القرآن الكريم وحي من عند الله تعالى، ويحاولون محو آيات من القرآن الكريم، وتجدهم ينفعلون ويثورون ويعبسون ويغضبون حينما يُذكّرون ويُناقشون ويُنتقدون، فلا يبتأس المؤمنون ولا ييأسوا وليواصلوا كشف زيف هؤلاء، وحقيقة عقائدهم.

المطلب الثالث: عبوس أهل النار وكلوح وجوههم

الكلوح يدل على عبوس وشتامة في الوجه"[1]. وهو: "بُدُوّ الأسنان عند العُبُوس"[2]. وكلَح الشّخص: "عبس وأفرط في العبوس من ضيق أو حزن، وأكلحه الهمُّ: أضناه وأسقمه فشحَب وجهُه"[3].

قال تعالى: ﴿تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾[المؤمنون:104]. {كَالِحُونَ}: أي: "عابسون فإنهم من شدّة الاحتراق تتقلص شفاههم عن الأسنان"[4]. قال القرطبي: "يريد كالذي كلح وتقلصت شفتاه وسال صديده... والرأس المُشَيّط بالنار الذي بدت أسنانه وقلصت شفتاه"[5]. روى الترمذي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في تفسير الآية: (تَشْوِيهِ النَّارُ فَتَقَلَّصُ شَفَتُهُ العَالِيَةُ حَتَّى تَبْلُغَ وَسَطَ رَأْسِهِ، وَتَسْتَرْخِي شَفَتُهُ السُّفْلَى حَتَّى تَضْرِبَ سُرَّتَهُ)[6].

---

[1] ابن فارس، مقاييس اللغة، (134/5)

[2] الفراهيدي، كتاب العين (63/3)

[3] مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة (1949/3)

[4] الكفوي، الكليات (ص: 775)

[5] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (152/12) بتصرف يسير.

[6] الترمذي، سنن الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب: ومن سورة المؤمنون، حديث رقم 3176، وقال: حديث حسن صحيح غريب. (181/5). والحديث ضعفه الألباني في ضعيف سنن الترمذي (ص: 399)، وفي ضعيف الترغيب والترهيب (238/2)

ولم ترد مادة (كلح) إلا مرة واحدة في القرآن الكريم، حيث جاءت بصيغة الجمع، في آية المؤمنون السابقة في قوله تعالى: ﴿تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾[المؤمنون:104]. أي عابسون[1] مفرطون من العبوس والحزن والهمّ، شاحبة وجوههم مسودة قبيحة، ظاهر ذلك جليًا، قد كشرت أسنانهم وبدت من هول المطلع، وشدة الخوف والفزع، وهذا مشهد مرعب من مشاهد أهل النار المرعبة الكثيرة، ولون من ألوان العذاب الذي يصطلون به في جهنم، حيث تُلفح وجوههم من حر النار ولهيبها، وتقلب تلك الوجوه على كل ناحية، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ ﴿٦٦﴾﴾[الأحزاب:66]، حتى يصل الإحراق واللفح إليها فتعمّها وتشملها جميعها، وهذا غاية في الإهانة والإذلال، لأن الوجه أشرف وأكرم ما في الإنسان، وأكثر ما يدافع عنه صاحبه ويدفع عنه الأذى، فحين يتناول العذاب هذا الجزء، فهو للإمعان في الإهانة والإذلال، لأن هذه الوجوه رفضت السجود لله تعالى في الدنيا، فهي مهانة ذليلة في ذاك اليوم، عابسة مكفهرة، تعلوها الغبرة والظلمة، وقد اسودت أشدّ السواد نتيجة الإحراق المستمر، في نار تلظى دائمة الاشتعال لا تنطفئ ولا تخبو ولا تبرد، بل تغشاهم كل أوقاتهم، وقد سُحبوا على وجوههم إليها، وما هذا إلا زيادة في احتقارهم وإذلالهم، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾﴾[القمر:48]، يُسحبون كما تُسحب الدواب، ويُربطون كما تُربط، ثم يُسجرون ويُحرقون، وكقوله سبحانه: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾﴾[الإسراء:97].

والآية التي بين أيدينا التي تبين كلوح أهل النار أي عبوسهم تشبه قول الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَسَبُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۖ كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧﴾﴾[يونس:27]، هذه الوجوه الكالحة العابسة من شدة الخوف والإشفاق، المسودة من شدة الإحراق، المشوهة القبيحة، المهانة المحتقرة، التي تُرمى من دون اعتبار، كقوله تعالى: ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ

[1] انظر: الماتريدي، تأويلات أهل السنة (496/7)، البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن (375/3)، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (152/12)، النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل (482/2)، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (497/5)

فِي ٱلنَّارِ هَلۡ تُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٩٠﴾﴾[النمل: 90]، هذه الكبكبة لتلك الوجوه مناسبة لهم، لأنهم يستحقون ذلك، ﴿ فَكُبۡكِبُواْ فِيهَا هُمۡ وَٱلۡغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾﴾[الشعراء:94]، كُبّوا كما يُكب وكما يُرمى الشيء التافه الذي ليس له قيمة. هذا المشهد يُظهر الانفعال النفسي، والعذاب الحسي الذي يتملك الموقف، يثير الرعب والفزع، الذي يعكس السواد والظلمة والعبوس والكلوح على وجوههم، فتنطلق عبارات الندم وكلمات الحسرة من أفواههم، ولكن بعد فوات الأوان، حين تحقق العذاب، ورؤيته بعيونهم.

والوجوه الكالحة، تجسّم معاناة النفوس، من هذا اللفح بالنار، لأنّ الوجوه، تعبّر عن خفايا النفوس، فالصورة حسية، ولكنها تعبر عن حالة نفسية كئيبة، كما أن الليل قد جسّم، فصار مادة محسوسة، قد مزّق إلى قطع سود، تلتصق على وجوه الكافرين، للإيحاء بشدة السواد، وتربط الصورة بين لون الوجوه في الآخرة، وبين الأعمال في الدنيا، حتى يكون اللون في الآخرة علامة بارزة على الأعمال، تشهيرا بأصحابها على رءوس الأشهاد... فالنفوس مكروبة مختنقة، وقد جسّمت حالتها في صورة الوجوه الذليلة المرهقة، وقد تعبت من كثرة السحب والجرّ في الجحيم[1].

فالآية تصوّر الانفعال كأنه ماثل بين يدي القارئ، وجوههم كالحة عابسة، رؤوسهم مشوية قد نضجت من لفح النار، وقد قُلصت شفاههم، حتى بدت أسنانهم، وسال صديدهم، قال ابن عطية: "هذا يعتري الإنسان عند المباطشة مع الغضب، ويعتري الرؤوس عند النار"[2]. ككلوح الرأس النضيج، وكلوح الرأس المشيط بالنار[3].

---

[1] انظر: الراغب، عبد السلام أحمد، وظيفة الصورة الفنية في القرآن، فصلت للدراسات والترجمة والنشر –حلب، ط1، 1422هـ–2001م، (ص: 359)

[2] ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (157/4)

[3] انظر: السمرقندي، بحر العلوم (490/2)، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (152/12)، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (497/5)، ابن رجب، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، الحنبلي (ت: 795هـ)، روائع التفسير (الجامع لتفسير الإمام ابن رجب الحنبلي)، جمع وترتيب: أبي معاذ طارق بن عوض الله بن محمد، دار العاصمة –المملكة العربية السعودية، ط1، 1422هـ–2001م، (32/2)

الدروس والقيم التربوية المستفادة:

- على المؤمن أن يعمل الصالحات، ويكثر من الطاعات، ليوم يفرح فيه ويسعد، ولا يكن كأولئك الكالحة وجوههم، الذين كفروا ولم يتبعوا المرسلين، وكذبوا بالحق لما جاءهم من عند الله تعالى، فوجوههم مسودة عابسة مكفهرة.

الفصل السابع

انفعال القلق عند الكافرين في القرآن الكريم

المبحث الأول: معنى القلق ودلالاته في السياق القرآني

المطلب الأول: القلق في اللغة

قال ابن فارس: "القاف واللام والقاف كلمة تدل على الانزعاج. يقال: قَلِقَ يَقْلق قلقًا"[1]. يقال: "بات فلان قَلِقًا"[2]، مضطرب البال، "لا ينعم بالارتياح"[3]، "وأقلقه الهمّ وغيره: أزعجه"[4]. والقلق: الانزعاج[5]. وأقلق الشَّيْء من مكانه، وقلقه: حركه[6]. قال الفيومي: "وقلق من باب تعب اضطرب"[7].

قال ابن سيده: "والقلقي: ضرب من الحلي؛ ولا أدري إلى أي شيء نسب إلا أن يكون منسوبًا إلى القلق الذي هو الاضطراب، كأنه يضطرب في سلكه ولا يثبت، فهو ذو قلق"[8]. "ورجل مِقلاق: كثير القلق[9]، لا يثبت في موضع"[10]، وامرأة مقلاق الوشاح: "لا يثبت على خصرها من رقته"[11]، وشخصٌ قَلوق: "شديد القَلق، وقَلوق صيغة مبالغة من قلِقَ"[12].

---

[1] ابن فارس، مقاييس اللغة، (23/5)

[2] الرازي، مختار الصحاح (ص: 259)

[3] مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة (1852/3)

[4] الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير (514/2)

[5] الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (1548/4)، ابن فارس، مجمل اللغة (ص: 732)، الفيروزآبادي، القاموس المحيط (ص: 921)، الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس (340/26)

[6] ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم (133/6)،

[7] الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير (514/2)

[8] ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم (133/6)

[9] الحميري، نشوان بن سعيد اليمني (ت: 573هـ)، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، تحقيق: د حسين بن عبد الله العمري، مطهر بن علي الإرياني، د. يوسف محمد عبد الله، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط1، 1420هـ-1999م، (5604/8)

[10] ابن دريد، جمهرة اللغة (1241/3)

[11] ابن منظور، لسان العرب (324/10)

[12] مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة (1852/3)

المطلب الثاني: القلق في الاصطلاح

لم تذكر كتب المصطلحات القديمة القلق ممّا يعنى أنّ المعنى واحد في اللّغة والاصطلاح، ولكنّ القلق قد اكتسب في العصر الحديث أبعادًا نفسيّة واجتماعيّة جديدة[1]، وهو "حالة انفعاليّة مصحوبة بالخوف أو الفزع تحدث كردّ فعل لتوقّع خطر حقيقيّ خارجيّ"[2].

المطلب الثالث: القلق في السياق القرآني

لم يرد القلق كلفظ في القرآن الكريم، ولكنه ورد معنى، وهذا يُفهم من السياق أنه عن قلق الإنسان واضطرابه وتوتره، كقولة تعالى: ﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾﴾[يونس:12].

وقوله عز وجل: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾﴾[يونس:22].

وحينما تحدث القرآن الكريم عن المنافقين كشف الكثير من صفاتهم وانفعالاتهم، ومن تلك الانفعالات التي بدت ظاهرة عليهم انفعال القلق، يخافون أن تنزل عليهم آيات تكشف حقيقتهم، فهم يعيشون في تخبط وقلق دائميْن، متأرجحون بين الكفر والإيمان، مضطربون في سلوكهم وتصرفاتهم، حائرون في أمورهم، قال تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ

[1] ابن حميد، صالح بن عبد الله، وآخرون، نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، (5338/11)، ط4، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة

[2] بدوي، أحمد زكي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، بيروت، 1991م، ص22

بِٱلۡكَٰفِرِينَ ١٩ يَكَادُ ٱلۡبَرۡقُ يَخۡطَفُ أَبۡصَٰرَهُمۡۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوۡاْ فِيهِ وَإِذَآ أَظۡلَمَ عَلَيۡهِمۡ قَامُواْۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمۡعِهِمۡ وَأَبۡصَٰرِهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٢٠﴾[البقرة:17-20]

قال سيد قطب: "مثل آخر يصور حالهم ويرسم ما في نفوسهم من اضطراب وحيرة وقلق ومخافة.. إنه مشهد عجيب، حافل بالحركة، مشوب بالاضطراب، فيه تيه وضلال، وفيه هول ورعب، وفيه فزع وحيرة، وفيه أضواء وأصداء.. صيب من السماء هاطل غزير {فِيهِ ظُلُماتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ}.. {كُلَّما أَضاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ}.. {وَإِذا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قامُوا}.. أي وقفوا حائرين لا يدرون أين يذهبون. وهم مفزعون: {يَجْعَلُونَ أَصابِعَهُمْ فِي آذانِهِمْ مِنَ الصَّواعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ}.. إن الحركة التي تغمر المشهد كله: من الصيب الهاطل، إلى الظلمات والرعد والبرق، إلى الحائرين المفزعين فيه، إلى الخطوات المروعة الوجلة، التي تقف عند ما يخيم الظلام.. إن هذه الحركة في المشهد لترسم –عن طريق التأثر الإيحائي– حركة التيه والاضطراب والقلق والأرجحة التي يعيش فيها أولئك المنافقون.. بين لقائهم للمؤمنين، وعودتهم للشياطين. بين ما يقولونه لحظة ثم ينكصون عنه فجأة. بين ما يطلبونه من هدى ونور وما يفيئون إليه من ضلال وظلام.. فهو مشهد حسي يرمز لحالة نفسية ويجسم صورة شعورية.. وهو طرف من طريقة القرآن العجيبة في تجسيم أحوال النفوس كأنها مشهد محسوس"[1].

إنهم يعانون من فرط الحيرة وشدة القلق المحيط بهم، ومن كثرة الاضطراب والتخبط، حيث عرضت الآيات المشهد كأنّ القارئ ينظر إليه؛ مطر غزير، "فيه ظلمات داجية، ورعد قاصف، وبرق خاطف"[2]، وفزع كبير، وتوجس من صاعقة تهلكهم، حالة نفسية خائفة قلقة فزعة مضطربة غير مستقرة، كأنهم فقدوا عقولهم، حتى جاء الوصف بأنهم وضعوا أصابعهم بتمامها في آذانهم، والأصابع لا توضع في الأذن بتمامها ولكن الأنامل ومقدمة الأصابع فقط، فهذا المشهد يصوّر الحالة النفسية القلقة الحائرة لدى المنافقين.

[1] قطب، في ظلال القرآن (46/1)

[2] الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (83/1)

قال الزمخشري: "وهذا تمثيل لشدة الأمر على المنافقين بشدته على أصحاب الصيب وما هم فيه من غاية التحير والجهل بما يأتون وما يذرون، إذا صادفوا من البرق خفقة، مع خوف أن يخطف أبصارهم، انتهزوا تلك الخفقة فرصة فخطوا خطوات يسيرة، فإذا خفي وفتر لمعانه بقوا واقفين متقيدين عن الحركة، ولو شاء الله لزاد في قصيف الرعد فأصمهم، أو في ضوء البرق فأعماهم"[1].

المطلب الرابع: القلق عند علماء النفس

تناول الباحثون مفهوم القلق بشيء من الإسهاب إلا أنه لا يخرج عن كونه حالة من الاضطراب والتوتر الداخلي يصيب الإنسان نتيجة شعوره بالتهديد أو الخوف وتوقّع الخطر. وهو انفعال مركب من الخوف والترصد يصاحبه أعراض نفسية وجسمية، وهو في ذات الوقت انفعال مؤلم، حيث لا يستطيع الإنسان القَلِق أن يفعل شيئا لمواجهة الخطر الذي يواجهه ويتوقعه.

قال حامد زهران: "القلق هو حالة توتّر شامل ومستمرّ نتيجة توقّع تهديد خطر فعليّ أو احتماليّ يصحبها خوف غامض وأعراض جسميّة ونفسيّة"[2].

وجاء في كتاب الصّحّة النّفسيّة في ضوء علم النّفس والإسلام: "القلق حالة نفسيّة مؤلمة تنتج عن شعور الإنسان بالعجز في مواقف الإحباط والصّراع"[3].

وهو اضطراب نفسي يجعل المرء في حيرة من أمره، ويوقعه في تردد وتذبذب، فلا يستقر على هذا ولا ذاك، وغالباً ما يقترن بالخوف، وهو يختلف عن الخوف في أن للخوف سبباً معروفاً، لكن القلق سببه مجهول، بل قد لا يوجد ثمة سبب على الإطلاق، ومن ثَمّ رأى بعض الباحثين أن القلق الحقيقي هو فقدان الأمن[4].

---

[1] الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (86/1)

[2] زهران، حامد عبد السلام، الصحة النفسية والعلاج النفسي، ص397، ط2، عالم الكتب، القاهرة، 1982م.

[3] محمد، عودة محمد، عيسى، كمال إبراهيم، الصحة النفسية في ضوء علم النفس والإسلام، ص140، ط2، الكويت، 1986م.

[4] انظر: جلال، المرجع في علم النفس، ص332

فالقلق: "حالة انفعالية نفسية وفسيولوجية مضطربة ومتوترة، يتركب من تضافر عناصر إدراكية وجسدية وسلوكية، كالخوف من مجهول، لخلق شعور غير سار يرتبط عادة بعدم الارتياح والخوف أو التردد. غالباً ما يكون القلق مصحوبًا بسلوكيات تعكس حالة من التوتر وعدم الارتياح"[1].

وتعتبر اضطرابات القلق من أكثر الحالات النفسية انتشاراً، وللقلق علامات نفسية مثل الخوف والترقب، وأعراض بدنية في صورة اضطراب في وظائف الجسم، ويقع تحت مظلة القلق في التصنيفات النفسية الحديثة مجموعة من الحالات المرضية الأخرى[2].

لقد قسّم علماء النفس[3] أعراض القلق إلى فئات هي: الأعراض الجسمية، الأعراض النفسية والاجتماعية، الأعراض المعرفية. وفيما يأتي عرض لأهم هذه الأعراض:

الأعراض الجسمية: كشحوب الوجه، واتساع حدقة العين، تعابير الخوف على الوجه، وبرودة الأطراف، وسرعة ضربات القلب، وارتفاع ضغط الدم، وسرعة التنفس، وتعرق الجسم، والشعور بالصداع والدوران، ورجفة في اليدين، والشعور بالاختناق، وجفاف الحلق، وصعوبة البلع، وعسر الهضم، وآلام المعدة والأمعاء، والشعور بالانتفاخ، وكثرة الغازات وصعوبة التبول، وتوتر العضلات، والنشاط الحركي الزائد، والضعف العام ونقص الطاقة الحيوية والنشاط والمثابرة واللازمات العصبية مثل: اختلاج الفم: مص الإبهام، وقضم الأظافر، ورمش العين.

الأعراض النفسية: كالشعور بالخوف، وعدم الراحة الداخلية، وترقب حدوث مكروه، ويترتب على ذلك تشتيت الانتباه، وعدم القدرة على التركيز والنسيان وكذلك الأرق، وعدم القدرة على النوم والتوتر أو التهيج العصبي

---

[1] رزوقي، رعد مهدي، وآخرون، التفكير وأنماطه، ص109، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1971م، دون ذكر الطبعة.

[2] انظر: الشربيني، لطفي، معجم مصطلحات الطب النفسي، مؤسسة الكويت للتقدم الطبي، ص11

[3] انظر: زهران، حامد عبد السلام، الصحة النفسية والعلاج النفسي، ص478، الشربيني، معجم مصطلحات الطب النفسي ص24، حمودة، محمد عبد الرحمن، الطفولة والمراهقة المشكلات النفسية والعلاج، مركز الطب النفسي العصبي، بدون طبعة، 1991، ص 263. الطيب، محمد عبد الطاهر، مبادئ الصحة النفسية، دار المعرفة، ط8، الإسكندرية،1994، ص389، عثمان، فاروق السيد، القلق وادارة الضغوط النفسية، ص22، القاهرة، دار الفكر العربي، 2000م

وهذا يجعل الفرد حساس جدا لأي ضوضاء والشعور بالاختناق، والأحلام والكوابيس المزعجة، وسيطرة مشاعر الاكتئاب.

الأعراض الاجتماعية: كسرعة اتخاذ قرارات لا تنفذ مع الميل الشديد لنقد الذات ووضع متطلبات صارمة على ما يجب عمله. كما يبدو الشخص القَلِق في حالة اضطراب في توافقه مع الآخرين، حيث يميل للعزلة والبعد عن التفاعلات الاجتماعية ويبدو عليه عدم القدرة على إحداث تكيّف بنّاء مع الظروف والأشخاص والمواقف الاجتماعية.

المبحث الثاني: مشاهد القلق عند الكافرين في السياق القرآني

المطلب الأول: قلق فرعون على مُلكه من الزوال

يظهر انفعال القلق عند فرعون في أكثر من آية من القرآن الكريم، بل كان في أغلب وقته –بعد لقائه بموسى عليه السلام– قلقًا مضطربًا، غير مطمئن، لأنه بدأ يخاف على ملكه وسلطانه، وتزاحمت الانفعالات في شخصه، من غضب وغيظ وقلق واضطراب حتى هدّد بالقتل، وتوعد بالسجن كل من يخالفه الرأي.

كان فرعون يعيش في قلق كبير، وتوتر محرق، وضغط نفسي شديد، إذ من أين يأتي بمعجزة كالتي أتى بها موسى عليه السلام، وكيف يواجهه، وهو الذي يدعي الربوبية والألوهية، فلا بد الآن من أن يثبت لقومه وشعبه السّذج، الذين كان يستخفهم ويستعبدهم سنين طويلة، أنه هو الأحق بالتصديق والعبادة، وإلا انهدم بنيانه الذي كان مجتهدًا في إعلائه، وهوى صرح كذبه فوق رأسه، لذلك استعان بالملإ من حاشيته، وطلب رأيهم، وبعد أن دخلوا في انفعال كبير مركب من القلق والاضطراب أشاروا عليه بأن يُبقي موسى وهارون عليهما السلام حتى يبعثوا في طلب أمهر السحرة وأَعْلَمهم بالسحر، من شتى الأقطار والأمصار، حتى يواجهوا موسى عليه السلام. قال تعالى: ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ ۖ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾﴾[الأعراف:109-112]، وقال سبحانه: ﴿قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٣٦﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾﴾[الشعراء: 34–37].

اتفق الطرفان على أن المواجهة بينهما تكون يوم الزينة، فأخذ فرعون يجمع أمهر السحرة، وأعلمهم بهذه الصنعة، قال تعالى:﴿ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٦٠﴾﴾[طه:60]، وهذا إن دل فإنما يدل على أن القلق والاضطراب قد تمكنا منه، لدرجة أنه كان مستعدًا لأن يتحالف مع أي أحد، حتى يتخلص من موسى عليه

السلام، وأنه على استعداد كبير لأن يعطي مَن يستطيع أن يغلب موسى عليه السلام ما يشاء من مال أو منصب، حتى إنه وعد السحرة بالأجر الكبير، والمكانة العزيزة العالية عنده، وأنه سيجعلهم من خاصته المقربين، قال تعالى: ﴿ وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرۡعَوۡنَ قَالُوٓاْ إِنَّ لَنَا لَأَجۡرًا إِن كُنَّا نَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمۡ وَإِنَّكُمۡ لَمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾﴾[الأعراف:113-114]، وقال سبحانه تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُواْ لِفِرۡعَوۡنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجۡرًا إِن كُنَّا نَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمۡ وَإِنَّكُمۡ إِذٗا لَّمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾﴾[الشعراء:41-42]، المهم عنده أن يغلبوا موسى أمام الجماهير الغفيرة والحشود الكثيرة التي جاءت لترى المواجهة، لقد كان فرعون قلقًا جدًا، لأنه وصل إلى طريق مسدود، فأمله الكبير أن ينتصر السحرة على موسى عليه السلام، ويرتاح منه ومن دعوته ومعجزته إلى الأبد، حتى كان على أتم الاستعداد أن يمنح السحرة أعظم الأوسمة، ويلبسهم أحسن التيجان، ويفيض عليهم بالمال، ويقلدهم أعلى مناصب الدولة، ويكونوا حاشيته المقربين.

حتى إن السحرة –قبل إسلامهم وإيمانهم– أصابهم القلق الشديد، على كثرتهم ومهارتهم في صَنعة السحر، واضطربوا اضطرابًا شديدًا، حتى اختلفت آراؤهم، وكثر ضجيجهم، ثم توصلوا إلى ان يجمعوا أمرهم، ويأتي كل واحد منهم بأحسن ما عنده، وأمهر ما لديه، ويأتوا صفًا واحدًا، قد توحدت كلمتهم وجهودهم، لأن في الاتحاد قوة وهيبة، قال تعالى: ﴿ قَالُوٓاْ إِنۡ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخۡرِجَاكُم مِّنۡ أَرۡضِكُم بِسِحۡرِهِمَا وَيَذۡهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلۡمُثۡلَىٰ ﴿٦٣﴾﴾[طه:63].

وظل القلق يشتد ويكبر في نفس فرعون حتى أعلن نيته قتل موسى عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ ذَرُونِيٓ أَقۡتُلۡ مُوسَىٰ وَلۡيَدۡعُ رَبَّهُۥٓۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمۡ أَوۡ أَن يُظۡهِرَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡفَسَادَ ﴿٢٦﴾﴾[غافر:26]، حيث تُظهر الآية الحالة النفسية الصعبة التي وصل إليها فرعون، وتبين انفعال القلق عنده.

الدروس والقيم التربوية المستفادة:

- تتصف نفسيات أعداء الإسلام المحاربين له القلق والاضطراب، في مقابل طمأنينة أهل الحق.

- الكافرون مهما بلغت قوتهم، وكثر كيدهم، وكبر مكرهم، إلا أن قلوبهم متناحرة، وآراؤهم مضطربة، ولكنهم يتجمعون للرأي العام والإعلام، محاولة لكسر معنويات المؤمنين الصادقين.
- الله تعالى ينصر رسله والذين آمنوا، ولا يخذلهم، ولا يتركهم وحدهم يواجهون أعداء الدين، بل يؤيدهم بسلطانه وجنوده، ويمدهم بمدد من عنده، ويربط على قلوبهم، ويثبت أقدامهم، ويهزم عدوهم أمامهم وهم ينظرون، ليكون أبلغ في حصول الطمأنينة من جهة، والتشفي من جهة أخرى.
- مهما كثرت التحالفات، وتجمعت الأحزاب، واتحدت الرايات ضد المؤمنين، ولأجل القضاء عليهم، والوقوف أمام نشر الدعوة بين الناس، لا يستطيعوا أن يفعلوا ذلك؛ لأن أمر الله تعالى هو الذي يتحقق، وسلطانه هو المهيمن، وإرادته هي التي تقرر ما يكون، ومتى يكون، وكيف يكون، رفعت الأقلام وجفت الصحف.
- المؤمن دائم التوكل على الله تعالى، موصول به، معتمد عليه، مفوض أمره إليه لأنه القوة التي لا تُغلب، والسلطان الذي لا يُقهر، والناصر الذي لا يخذل أولياءه، والعادل الذي لا يظلم ولا يجور، وهو نعم المولى ونعم النصير.
- على الداعية أن يكون رابط الجأش، قويًا في قول الحق، شجاعًا في الوقوف أمام السلطان الجائر، لا يهاب الباطل ولو تجمع أهله من جميع أقطار الدنيا، ولو كانوا أمهر الناس في الصد عن سبيل الله تعالى، ولو كانوا من أكبر المفكرين والملحدين الكارهين للإسلام وأهله.
- قد يكون ممن تجمع في حزب أعداء الدين من لا يرضى بعملهم وفكرهم ومنهجهم وتخطيطهم، بل ربما انضم إليهم مكرهًا، فهؤلاء يُدْعون بالحكمة واللين لعلهم يتوبوا ويرجعوا ويعملوا للدعوة والدين بعد ذلك.
- الكافرون كثيرًا ما يروّجون ضد الإسلام، ويستعينون في ذلك بكل وسيلة إعلامية ممكنة، لينشروا أكاذيبهم وافتراءاتهم ضد الأنبياء وأتباعهم من العلماء والدعاة.

المطلب الثاني: قلق المنافقين الذين يعبدون الله على حرف

قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١١﴾ ﴾[الحج:11]

هذه الآية تبين انفعال القلق عند المنافق، فهو يعبد الله تعالى على شك، وحسب مزاجه، ولا يثبت على العبادة في جميع أحواله، فإن كان في رخاء وسعة من العيش، وصحة في البدن، واطمأن للدنيا وصلحت له، استقر على الإسلام، وأقام على العبادة، وإن فسدت عليه دنياه، وتعرض للفتنة والبلاء والضر والضيق والشدة في العيش، وانقلبت أحواله، وتغيرت، فلا يقيم على العبادة، وانقلب وترك دينه، وارتد، ورجع إلى الكفر[1]. فهذا وصف المنافق، يمتحن ربه، إن أعطاه وحقق أمله وأمنياته عبده، وإلا ترك العبادة، قال الماتريدي: "يعبد بالامتحان"[2]، والعرب تقول: "أنت على حرف، أي على شك ويقال: على حرف بلسانه دون قلبه، أي على إيمان ظاهر وكفر باطن"[3]، وهذا هو النفاق بعينه، وديدن المنافقين، يُظهرون الإيمان ويخفون الكفر. قال الزمخشري: "وهذا مثل لكونهم على قلق واضطراب في دينهم، لا على سكون وطمأنينة، كالذي يكون على طرف من العسكر، فإن أحسّ بظفر وغنيمة قرّ واطمأن، وإلا فرّ وطار على وجهه"[4]. فهذه "الآية خبر عن المنافقين"[5]، وبيان لشقاق أهل الشقاق والنفاق، "والذي يعبد الله على حرف قلق في دينه، على غير ثبات وطمأنينة، كالذي هو على حرف الجبل ونحوه يضطرب اضطرابا ويضعف قيامه"[6]، سريعًا ما يسقط.

قال سيد في الظلال: "والتعبير القرآني يصوره في عبادته لله {عَلى حَرْفٍ} غير متمكن من العقيدة، ولا متثبت في العبادة. يصوره في حركة جسدية متأرجحة قابلة للسقوط عند الدفعة الأولى. ومن ثم ينقلب على

---

[1] انظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (577/18)، البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن (326/3)

[2] الماتريدي، تأويلات أهل السنة (313/5)، (103/7)، (395/7)

[3] السمرقندي، بحر العلوم (450/2)

[4] الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (146/3)، وانظر: الرازي، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) (208/23)، النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل (430/2)، الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل (250/3)، القاسمي، محاسن التأويل (235/7)

[5] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (17/12)

[6] الشوكاني، فتح القدير (520/3)

وجهه عند مس الفتنة، ووقفته المتأرجحة تمهد من قبل لهذا الانقلاب! إن حساب الربح والخسارة يصلح للتجارة، ولكنه لا يصلح للعقيدة. فالعقيدة حق يعتنق لذاته، بانفعال القلب المتلقي للنور والهدى الذي لا يملك إلا أن ينفعل بما يتلقى"[1].

الدروس والقيم التربوية المستفادة:

- المنافقون يسقطون سريعًا، فعند أول ابتلاء أو محنة ينكصون على أعقابهم، لأنهم يُقدمون مصالحهم الشخصية على الدين والدعوة، فإن استفادوا ونالوا ما يطمعون به، وحصل لهم خير وسعة في معيشتهم بقوا، وإن مسهم ضر أو حصل لهم ضيق انقلبوا على وجوههم، لأنهم يعتبرون الدين صفقة تجارة دنيوية في سوق بين بائع ومشتر، فإن ربح بقي، وإن خسر في الصفقة رجع وغادر.
- المؤمن الحقيقي صادق الإيمان، دائم العبادة لله تعالى في كل الأحوال والأزمان، في السعة والضيق، واليسر والعسر، والمنشط والمكره، والصحة والمرض، والغنى والفقر، فلا يعبد الله تعالى بالامتحان أو الشرط؛ إن حقق له مراده حقق له العبودية، وإن لم يحقق له مراده، أو أصابه الضر انتكس، إنما يعبده لأنه لله عبد خاضع مطيع ما دام حيًّا، فالمؤمن الذي انغرست حقيقة الإيمان في قلبه، وتمكنت في حياته، يعبد الله تعالى في كل حين، حتى آخر نفس في حياته، حتى يأتيه اليقين، ثابت على الدين، قائم بأمر الشرع، لا يحيد عنه، ولا يرتد عنه، صادق بما عاهد عليه الله تعالى، ينتظر أمر الله جل وعلا وهو على ذلك.
- المؤمن يعبد الله بحب وسكِينة ورضا، لا بقلق واضطراب، ولا على وجه التجربة، بل هو مفوّض أمره إليه، وهو يعلم أن ما أصابه فمن الله تعالى، وأنّ أمره كله له خير، إن أصابه خير ونعمة شكر، وإن أصابه ضر أو ضيق صبر، وفي كليهما خير له، فينتظر الجزاء والعوض على شكره منه سبحانه، ويثق بقدرة الله تعالى على كشف الضراء ورفع البلاء.

[1] قطب، في ظلال القرآن (2412/4)

- المحن تزيد المؤمن إيمانًا، وقوة في دينه، وصلابة وثباتًا، وتصقله صقلًا، فيظهر معدنه صافيًا مهذبًا نقيًا من كل الشوائب، ويبقى متمسكًا بحبل العقيدة المتين، متشبثًا متجذرًا بصخرتها التي تتحطم عليها كل المؤامرات والخيانات، ويتهاوى حولها كل المنافقين المضطربين القلقين.
- المحن والابتلاءات والنوازل والشدائد تغربل الناس، وتكشف عن حقائق الرجال ومواقفهم ومبادئهم ومعادنهم وبواطنهم، فيتميز الصادق من الكاذب، والمؤمن من المنافق، والطيب من الخبيث، ولولا المحن لما انكشفت سوءات المنافقين، ولما ظهر مرض قلوبهم، وخبث نياتهم، وضعف إيمانهم، وعظيم حقدهم وبغضهم للإسلام وأهله، ومكرهم وكيدهم ضد الدعوة والدعاة.
- المؤمن يعيش من أجل عقيدته، ويحملها بقلبه وصدره وبكلتا يديه، يقاوم من أجلها، ويكافح من أجل أن تعيش هي وتبقى وتنتشر، يقدم أغلى ما يملك مهرًا لها، وهو مطمئن واثق بها، لا يتراجع مهما حدث من عقبات، ولا يتلجلج مهما كثرت الصعوبات.

المطلب الثالث: شخوص أبصار الكافرين من شدة القلق

قال تعالى: ﴿وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ أَبۡصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَٰوَيۡلَنَا قَدۡ كُنَّا فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا بَلۡ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ٩٧﴾[الأنبياء:97].

هذه الآية تبين قلق الكفار وانزعاجهم من هول يوم القيامة، ومن شدّته وكربه، لأن الإنسان القَلِق يمر بحالة انفعالية نفسية وفسيولوجية مضطربة ومتوترة، ومن ذهوله وقلقه يشخص بصره، "وشخوص البصر ارتفاع الأجفان إلى فوق، وتحديد النظر وانزعاجه"[1]، وفرط خوفه[2]، يقال: "شَخَصَ بصره، فهو شاخِص، إذا فتح

[1] انظر: ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري (ت: 606هـ)، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى ومحمود محمد الطناحي، 1399هـ-1979م، المكتبة العلمية -بيروت، (450/2)، ابن منظور، لسان العرب (46/7)، الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس (7/18)

[2] انظر: ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (100/4)

عينيه وجعل لا يطرف"[1]. وشخَص ببصرِه: أطال النظر فاتحًا عينيه بدون أن يطرف بهما في حالة انزعاج[2]. وهذا ما يصيب الكفار في مواقف الحساب يوم القيامة من هول ما هم فيه، وقد جاء في التفسير أن معنى: {شاخصة} أَي: "منزعجة"[3]. ويقال للرجل –إذا أتاه ما يقلقله–: قد شُخص به[4]، شخص بصر الرجل إذا بقيت عينه مفتوحة لا تطرف وذلك إنما يكون عند غاية الحيرة وسقوط القوة، والغالب من حال من يبقى بصره شاخصًا من شدة الخوف أن يبقى واقفًا[5].

وقد ورد مشهد فيه التهديد والوعيد للظالمين، حيث تشخص فيه الأبصار من شدة الخوف والقلق؛ قال تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ ﴾[إبراهيم:42]

الدروس والقيم التربوية المستفادة:

- الكفار والظَّلمة هم الذين تشخص أبصارهم يوم القيامة، والله تعالى نهى عباده عن الكفر والظلم، فمن اتصف بهما في الدنيا، وكان كافرًا أو ظالمًا –لنفسه أو لغيره– فبصره يشخص من شدة الرعب والخوف والقلق، وسبب قلقه أنه أدرك –وهو في ساحات القيامة– أنه كان مخطئًا في الدنيا، وأن الوعيد والتهديد بالعذاب والنار سيتحقق قريبًا بعد الانتهاء من الحساب.
- المؤمن قلبه مطمئن، لأنه كان في الدنيا من العابدين الطائعين لرب العالمين، ومن التابعين المتّبعين لرسله عليهم السلام، ولم يتصف بصفة الذين تشخص أبصارهم يوم القيامة، فهو غير قلِقٍ ولا مضطرب، بل ينتظر الفراغ من الحساب، حتى يُوفى أجره، ويسعد سعادة لا يشقى بعدها أبدًا.
- كلما زاد المؤمن من عمله الصالح، يزداد الاطمئنان في قلبه حتى يملؤه، فيأتي يوم القيامة في زمرة الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

---

[1] الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (1042/3)

[2] انظر: مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة (1173/2)

[3] السمعاني، تفسير القرآن (409/3)

[4] انظر: الأزهري، تهذيب اللغة (36/7)

[5] انظر: النيسابوري، غرائب القرآن ورغائب الفرقان، (201/4)

- المؤمن قلبه مفعم بالأمل، ويده لا تكل من العمل، فالدعوة لحمه ودمه، وبيته وسكنه، وبصره ونفَسه، فكلما أعطاها أكثر كلما اطمأن أكثر، وكلما رغّب الناس بالإسلام وتعاليمه وشريعته بالحكمة واللين كلما فرح بتوبة المذنبين والمسرفين على أنفسهم، لأن ذلك يأتي بالخيرات والأجور الكثيرة التي تثقل ميزانه، فيطمئن قلبه، ويرتاح فؤاده، لأنه بذلك يعمل عمل الأنبياء عليهم السلام، الذين بلغوا الناس، بكل وسيلة ممكنة، وفي كل وقت وحين، واصلوا الليل بالنهار، سرًا وعلانية، فرادى وجماعات، حتى أتاهم اليقين، ويوم القيامة هم من الآمنين.
- المؤمن قلبه مطمئن في الدنيا والآخرة، لأنه دائم الذكر لله تعالى، يذكر الله تعالى على كل أحواله، وفي كل أوقاته، ومن فوائد الذكر أنه يطمئن القلب، والله تعالى يقول: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ٢٨﴾[الرعد:28]، والطمأنينة لا تفارق صاحبها في الدنيا والآخرة، فلا يصيبه شيء من انفعالات القلق أو الانزعاج أو الاضطراب كما يصيب الكافر من هذه الانفعالات التي تشير إلى تحطم شخصيته من هول ذلك اليوم، ومن تراكم الانفعالات وازدحامها وكثرتها وشدتها على الكافرين والمنافقين.

الفصل الثامن

انفعال اللوم عند الكافرين في القرآن الكريم

المبحث الأول: معنى اللوم ودلالاته في السياق القرآني

المطلب الأول: اللوم في اللغة

قال ابن فارس: "اللام والواو والميم كلمتان تدل إحداهما على العتب والعذْل، والأخرى على الإبطاء. فالأول اللوم، وهو العذل. تقول: لمته لومًا، والرجل ملوم. والمُليم: الذي يستحق اللوم. ورجل لُوَمَةٌ: يلوم الناس... ويقال: إن اللامة: الأمر يلام عليه الإنسان"[1]. قال الجوهري: "لوّمه شدد للمبالغة"[2]. أي: "عنفه"[3]، من شدة الملامة.

وألام الرجل، فهو مليم إذا أتى ذنبا يلام عليه، قال الله تعالى: ﴿فَٱلۡتَقَمَهُ ٱلۡحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٞ ١٤٢﴾[الصافات:142]، وتلاوم الرجلان: لام كل واحد منهما صاحبه. وجاء بلومة أي ما يلام عليه[4]. ولامَه: أنّبَه ووبّخه وآخَذَه[5]. وينزل عليه باللّوم والتقريع: أي يسلقه بلسانه. ولَوَّام صيغة مبالغة من لامَ: كثير اللَّوْم والعَذْل والعتاب، ومنه: النَّفْسُ اللَّوَّامة: التي تلوم صاحبها لَوْمًا شديدًا على ارتكاب الشَّرِّ أو التَّقصير في عمل الخير، ومَلوم: مذنب، مَنْ يأتي بما يلام أو يوبّخ عليه من قول أو فعل[6].

---

[1] ابن فارس، مقاييس اللغة (222/5)

[2] الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (2034/5)، وانظر: ابن منظور، لسان العرب (557/12)

[3] ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر (278/4)

[4] انظر: ابن منظور، لسان العرب (557/12)

[5] انظر: مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة (2049/3)

[6] المرجع السابق (2050/3)

المطلب الثاني: اللوم في الاصطلاح

هو العذل والعتاب والتقريع. قال الراغب: "اللوم: عذل الإنسان بنسبته إلى ما فيه لوم، يقال: لمته فهو ملوم. واللومة: الملامة، واللائمة: الأمر الذي يلام عليه الإنسان"[1]. وقال المناوي: "اللوم: عذل الإنسان عما فيه عيب"[2]. والنفس اللوامة: هي التي اكتسبت بعض الفضيلة، فتلوم صاحبها إذا ارتكب مكروهًا[3]. فكأنها توبّخ صاحبها مع التقريع، جاء في معنى التوبيخ أنه: "اللوم الشديد العنيف وقيل التقريع على جهة الزجر"[4].

المطلب الثالث: اللوم في السياق القرآني

وردت مادة (لوم) وما يشتق منها لدلالة انفعالية في أربعة عشر موضعًا في القرآن الكريم. وقد ورد اللوم بصيغة الماضي كقوله تعالى: ﴿قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ﴾[يوسف:32]، وورد بصيغة المضارع كقوله تعالى: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَٰوَمُونَ﴾[القلم:30]، وورد بصيغة الأمر كقوله تعالى: ﴿فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُم﴾[إبراهيم:22]، وورد بصيغة المصدر واسم الفاعل في قوله تعالى:﴿يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾[المائدة:54]، وورد اسم الفاعل المزيد معبّرًا عن المبالغة في اللوم، وذلك ليتناسب مع شدة الموقف، وصعوبة الحال، كما قال عز وجل عن يونس حينما غضب من قومه، فخرج مغاضبًا من عندهم، تاركًا دعوته وأرضه من قبل أن يأذن الله له، فابتلاه بأن التقمه الحوت، قال جل وعلا: ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾[الصافات: 139-142]، ووردت في حق فرعون الكافر حيث قال الله تعالى: ﴿وَفِى مُوسَىٰٓ إِذْ أَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ وَقَالَ سَٰحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾[الذاريات:40]، فلوّم فرعون بسبب كفره وتولّيه وصدّه واستكباره وعناده. وورد اللوم بصيغة اسم

---

[1] الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن (ص: 751)

[2] المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف (ص: 293)

[3] الفيروزآبادي، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (470/4)

[4] المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف (ص: 112)

المفعول كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَجۡعَلۡ يَدَكَ مَغۡلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبۡسُطۡهَا كُلَّ ٱلۡبَسۡطِ فَتَقۡعُدَ مَلُومٗا مَّحۡسُورًا ٢٩﴾[الإسراء:29] وكقوله سبحانه: ﴿وَلَا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلۡقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومٗا مَّدۡحُورًا ٣٩﴾[الإسراء:39]. وورد اللوم منسوبًا للنفس مرة واحدة بصيغة المبالغة في قوله تعالى: ﴿وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ٢﴾[القيامة:2] وهذه النفس تلوم صاحبها كثيرًا بصورة دائمة ومستمرة على تقصيره في جنب الله تعالى، أو على ما بدر من معصية أو ذنب، وهذا من باب محاسبة النفس لتستقيم، وتزداد في فعل الخيرات والصالحات، وتنتهي عن فعل المعاصي والسيئات.

المطلب الرابع: اللوم عند علماء النفس

اللوم حالة من الانفعال النفسي، تنشأ عن شعور الإنسان بذنب ارتكبه بحق نفسه، أو شعور الفرد تجاه الآخرين، وتأنيبهم على ذنب ارتكبوه وربما يكون العمل محمودًا لكن اللوم على المبالغة فيه من وجهة نظر الآخرين[1].

[1] ياسين، زين حسين، ألفاظ أحوال النفس وصفاتها في القرآن الكريم، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، ص248، 2009م.

المبحث الثاني: مشاهد اللوم عند الكافرين في السياق القرآني

المطلب الأول: لوم النسوة لامرأة العزيز

قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ۖ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾[يوسف: 30-32]

شاع خبر امرأة العزيز في المدينة أنها تراود فتاها عن نفسه، وتم تناقل الخبر بين البيوت، حتى كان حديث الساعة بين النساء، ومن أولئك بعض النسوة المقربات لامرأة العزيز، كنّ يتحدثن فيما بينهن ويلمنها على فعلتها، حيث عشقت فتاها الذي يخدمها، حتى فُتنت به، وما عادت تفكر إلا به، وما تريد إلا هو، وتدعوه إلى نفسها، لأن حبه أحاط بقلبها مثل إحاطة الشغاف بالقلب، وهنّ بذلك يلمْنها على ما أقدمت عليه من التهافت على خادمها، والحرص الشديد على مواقعتها، مع التخطيط لذلك كثيرًا، وخاصة أنها متزوجة، فهي خيانة لزوجها، الذي هو عزيز مصر.

وقلن ذلك ذمًا لها وطعنًا وتشنيعًا وملامة. قال القشيري: "إنّ الهوى لا ينكتم، ولا تكون المحبة إلا وأبيح لها لسان عذول، فلما تحققت محبتها ليوسف بسطت النّسوة فيها لسان الملامة. ولما كانت أحسن منهن قيمة –فقد كنّ من جملة خدمها– كانت أسرع إلى الملامة"[1]. "وإنما كان قيلهنّ ما قلن من ذلك، وتحدُّثهن بما تحدَّثن به من شأنها وشأن يوسف، مكرًا منهن، فيما ذكر، لتريَهُنَّ يوسف"[2].

فلما سمعت بمقالتهنّ بادرتهن مكرًا بمكر، فكانت أعظم مكرًا، وأنجح كيدًا، فأعتدت لهن متكأً، حافلًا بأطايب الأطعمة والفواكه، وآتت كل واحدة منهن سكينًا، وأمرت يوسف أن يخرج إليهنّ، فانبهرن من حسنه، واندهشنّ

[1] القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك (ت: 465هـ)، لطائف الإشارات، تحقيق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب –مصر، ط3، (182/2)

[2] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (68/16)

من عظيم جماله، وأكبرنه أي رأين أنه يفوق ويكبر عما كنّ يعتقدن ويتصورن، فبدل أن يقطعن الفواكه الشهية المعدة لهنّ قطّعن أيديهنّ وجرحنهنّ، من دون أن يشعرن بألم ولا دماء، وذلك لما أصابهنّ من الذهول من طلعته عليهنّ، وتملك روعته وهيبته من قلوبهنّ، فأحست بنشوة النصر والغلبة، فقالت بلسان المنتصرة: ذلكنّ الذي لمتنني فيه، فأنتنّ من لحظة واحدة، ونظرة واحدة أصابكنّ الذهول ووقع في قلوبكنّ ما وقع من الحب والعشق والتمني، واخترق العشق شغاف قلوبكنّ، فكيف تلمنني وأنا أراه كل وقت وحين، في كل صبح ومساء، أناديه وأدنيه، وأسمع صوته وكلامه، وأصغي لحديثه مشتاقة محبة شغوفة به، وهو في منزلي؟ وقولها: {لمتنني فيه} أي: عذلتنّني فيه وعاتبتنّني فيه، وجعلتنني ضالة ومخطئة في حبه، وكلامها هنا توبيخ لهن على اللوم، وهي بكلامها هذا تبرّر حبّها الشديد ليوسف عليه السلام لجماله وحسنه، وهي من وجهة نظرها لا تلام على ذلك، ولو عشن معه في بيت واحد لتركن الملامة، ولأعذرْنَها في هواه، لأن مثل يوسف حقيق أن يُحب لجماله، وجدير أن يُعشق لكماله.

في هذا المشهد من قصة يوسف عليه السلام نجد دلالات على الانفعالات النفسية عند النسوة، حيث أردن استغلال هذا الخبر بالإساءة إلى امرأة العزيز من خلال الإسراع في نشره بين البيوت، حتى يصل إلى جميع سكان المدينة، فتصبح –امرأة العزيز– على كل لسان أنها خائنة لزوجها، فيَصِل الخبر إلى زوجها، فينكل بها، ويعاقبها، فأسرعن في تلقف الخبر ونشره، ولومها على فعلتها وتعلقها بخادمها لومًا شديدًا كثيرًا، وما هذا إلا ليعود الأذى عليها، لأنها فوقهنّ في السلطة والثروة وربما في الجمال، وهذا من مكرهنّ وغيرتهنّ. ولذلك حينما حصل وقوعهنّ بما وقعت به، وعاشت لحظة نشوة الانتصار، وشفتْ غليلها، وحققت مرادها، وحدث تقطيع الأيدي، وأصبحن محل إدانة، واستطاعت أن توقعهنّ في شِباك المؤامرة، واعترفت بما كانت تخفيه، وصرحت به على الملأ، لأنها لم تعد تخاف من الفضيحة، ولا حتى أن يعرف زوجها بالخبر، فأقرّت أمامهن بمراودتها له، ولن تتوقف عن ذلك، بل ستواصل المراودة... فحينما حصل كل ذلك ركّزت على مسألة مهمة بالنسبة لها ألا وهي لومهن لها؛ {قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ}، وهذا دليل على أن النسوة أكثرن من لومها، والتشنيع عليها.

الدروس والقيم التربوية المستفادة:

- البيئة تؤثر على أخلاق الإنسان، فإذا كانت البيئة صالحة حتمًا سيتأثر الأفراد والجماعات، فيتجهون نحو الخير والفضائل، وإذا كانت البيئة سيئة فسينحدرون إلى الهاوية والرذائل.
- خطورة الخلوة بين الجنسين، فلينتبه المؤمن وليحترس من الخلوة مع امرأة أجنبية عنه، وليتق مواطن التُّهَم والظنون، وليبتعد عن الشبهات، لأن الشيطان حريص أشد الحرص على أن يجمع بين اثنين في خلوة لتنتهك الأعراض، وتُقتحم حدود الله تعالى التي حرمها.
- الإيمان والتقوى ومخافة الله تعالى كل ذلك يعصم من الفتن، ومن السقوط في مستنقع الرذيلة، ومن الزلل الذي يوصل إلى المهالك، فالمؤمن يُحصن نفسه بالإيمان، والعبادة بالإحسان، التي تجعل المرء يعبد الله كأنه يراه، ويوقن في قرارة نفسه أن الله يراه ومطلع عليه، فلا يقْدم على معصية أو خطيئة.
- المؤمن عفيف النفس، طاهر القلب، دائم التضرع واللجوء إلى الله تعالى، لا تغرّه المناصب، ولا تغريه النساء، وإن تعرض للفتنة فهو المتصف بالعفة والطهارة، ولسانه يردد: إني أخاف الله، لأن وازع الدين يقظ يرده عن اتباع خطوات الشيطان.
- المؤمن لا ترهبه السجون، ولا يخيفه التهديد، ولا يتردد في اختياره إذا كان الخيار الثاني معصية، وقد يكون السجن خلوة مع الله تعالى، ومكانًا للتخلص مما هو أشد وأسوأ، وقد تكون الزنزانة حلقة علم، ومدرسة في تزكية النفس، وتهذيب القلب، ومنحة عظيمة للإبداع والتأليف والإرشاد والأفكار والبرامج والمشاريع التي تخدم الأمة، وتصلح أن تكون أسسًا لبناء صروح كثيرة من مؤسسات ولجان ومعاهد وحلقات تربوية ودروس إيمانية.
- المؤمن يعلم أن من أخطر الأشياء عليه هو الفراغ، وعدم الانشغال بأمور مفيدة ونافعة، لأنه أصل الفتن والبلاء، والذي لا يقدر قيمة الوقت ينشغل بالباطل والفساد، فيضل في متاهات الهوى، ويسقط في سيئات الردى، فينغمس في المفاسد، ويتعلق بمحقرات الأمور، لذلك وجب استثمار الوقت بما يرضي الله تعالى من أعمال صالحات وطاعات وأعمال شريفة كالدعوة في سبيل الله تعالى، والأمر بالمعروف،

والنهي عن المنكر، لأن الوقت أعز ما يملك المؤمن، وهو الكنز الثمين الذي به يتاجر مع الله تعالى التجارة الرابحة، الذي لا خسارة فيها، ومن سيمات القبول والرضا والتوفيق أن ينشغل بما هو نافع ومفيد، وما فعلت امرأة العزيز من خيانة وسلوكيات خاطئة إلا لوجود الفراغ الكبير في حياتها، فملأت فراغها بمراودة يوسف عليه السلام، وانشغلت به انشغالًا كبيرًا حتى شغفها حبًا.

- المؤمن أشد حبًا لله تعالى، وأكثر الناس التزامًا بأوامره، وأحرص الناس على الوقوف عند حدوده، وأشد الناس تعلقًا به، وتمسكًا بحبله، وتطبيقًا لشريعته، فلا يركن إلى حب شيء سواه، وهو يعمل ما يرضيه، ولا يخاف لومة لائم، حتى لو كان هذا اللائم مسؤولًا كبيرًا، له نفوذ وجنود وسجون.
- المؤمن يعلم جيدًا أن الله تعالى لا يخذله ولا يتركه، بل ينجيه من جوف المخاطر، ويعصمه من جميع الفتن وإن أحاطت به، فيصرفه عن السوء والفحشاء والمنكر، ويكتب له الخير والنجاة إذا صدق وأخلص وتعلق به.
- على المرأة المؤمنة أن تتخذ صاحبات صالحات، ينصحنها إذا أخطأت، وينبهنها إذا اعوج سلوكها، لا أن يفرحن بخطئها، وأن يكشفن سترها، وينشرن أخبارها وأسرارها.
- المؤمن لا يصدِّق كل ما يُقال جزافًا دون أن يتفحص أو يتأكد، فلا بد من تقصي الحقائق، لأن الشائعات خطرها كبير، وضررها جسيم، وأغلبها تحوم حول الظلم وقول الزور والحسد.

المطلب الثاني: لوم أهل النار بعضهم لبعض

ورد هذا الانفعال في سياق الحديث عن أهل النار، وهو أحد أنواع الحوارات يوم القيامة، حيث يتحاور أهل النار فيما بينهم، ويظهر من خلال هذه الحوارات اللوم الشديد، والندم الكبير، والاعتراف بالخطأ حينما عاندوا وصدوا –في الدنيا– عن سبيل الله تعالى، وعدم اتباعهم للأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، والتأسف على تصديقهم زعماءهم الذين أضلوهم عن الإيمان والهدى، وتبعيتهم لهم –فلولاهم لكانوا مؤمنين– وعداوتهم للدعاة، والعمل ليل نهار على مواجهة الدعوات ومحاربتهم لها ولمن أعطوها الولاء. وهذه الحوارات مليئة بالانفعالات السلبية فهي تمتلئ كراهية وعداوة، وعتابًا وخصومة، ويلعن بعضهم بعضًا.. وما أكثر حوارات

هؤلاء يوم القيامة؛ الضعفاء مع الذين استكبروا من الملوك والأمراء والوزراء، والأتباع مع القادة من رؤساء ومفكرين وفلاسفة وملحدين... وغيرهم من طبقات المجتمعات الإنسانية، والتجمعات البشرية الذين كانوا يلتقون ويجتمعون على الكفر والضلال والباطل ومخالفة الشرع والدين، فيتجمعون هناك من كل أقطار الدنيا، على اختلاف أزمانهم وأماكنهم ولغاتهم ولهجاتهم وألوانهم وأعمارهم... فكم من الملامات ستكون حينما تجتمع الأفواج المتلاحقة والأمم السابقة واللاحقة؟

قال تعالى: ﴿ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ ۚ قَالُواْ لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْ ۖ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴿٢١﴾ ﴾[إبراهيم:21]

في هذه الآية الكريمة يظهر انفعال اللوم في مشهد أليم، الأتباع الإمعات يلومون القادة ذوي الاستكبار والاستعلاء، حيث يقولون لهم: قد اتبعناكم في الدنيا، وتركنا اتباع الأنبياء، فهل أنتم دافعون عنا من العذاب شيئًا؟ فقد كُتب علينا دخول النار بسببكم، وبسبب كذبكم علينا وخداعكم لنا.

وقول الضعفاء: {فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ} استفهام معناه التوبيخ[1]، والتقريع[2] والتفجع[3]، والتبكيت[4] والعتاب واللوم، ولكن في ذلك الموقف الرهيب لا ينفع اللوم ولا يُجدي، لمّا يروا مصيرهم بأعينهم، ويسمعوا للنار تغيظًا وزفيرًا، لأن اللوم هنا لا يزيد النفس إلا حسرة وندامةً وألمًا وأسى وتأسفًا.

وقد عدّ سيد قطب هذا المشهد من أعجب مشاهد القيامة وأحفلها بالحركة والانفعال والحوار بين الضعفاء والمستكبرين[5].

---

[1] انظر: النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل (169/2)، أبو حيان، البحر المحيط في التفسير (425/6)، القاسمي، محاسن التأويل (311/6)

[2] انظر: أبو حيان، البحر المحيط في التفسير (425/6)، طنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم (543/7)

[3] طنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم (543/7)

[4] ابن عاشور، التحرير والتنوير (216/13)،

[5] انظر: سيد قطب، في ظلال القرآن (2095/4)

ويردّ الذين استكبروا عن ذلك السؤال ردًا فيه تهرّب من المسؤولية، يتهربون من تبعة الضلال والإضلال بإرجاع الأمر لله، {قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ} فعلام تلومونا ونحن وإياكم في طريق واحد إلى مصير واحد؟ إننا لم نهتد ونضللكم، ولو هدانا الله لقدناكم إلى الهدى معنا[1]. وهو جواب ماكر خبيث، يحمل عذرًا هو أقبح من ذنب، فقد ألقوا سبب ضلالهم على الله –تعالى عما يقولون– لأن الله عز وجل لا يأمر بالسوء والفحشاء والمنكر، بل يأمر بالعدل والإحسان، وهم الذين اختاروا الكفر، ورضوا لأنفسهم الضلالة فضلوا، واستحبوا العمى على الهدى.

وهذا الحوار الذي في هذه الآية يشبه المشهد الآتي الذي يتخلله الحوار والمحاجة بين الأتباع والمتبوعين في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِي ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ ﴿٤٨﴾﴾[غافر: 47–48]

فيا لها من خسارة كبيرة، حيث باعوا آخرتهم بدنيا قاداتهم ورؤسائهم ومفكريهم، الذين استحبوا الكفر على الإيمان، واستحبوا الحياة الدنيا على الآخرة، فكانوا يطيعونهم بالباطل، ويوالونهم ويعاهدونهم ويساعدونهم على محاربة الدعوات، ويمكرون بها وبالمنتسبين إليها، فيظلمونهم ويؤذونهم، ويكفرون بالله تعالى، كما في الآية: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِيٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾﴾[سبأ:33].

ولعل المشهد في سورة سبأ يزيد المشهدين السابقين وضوحًا على وضوحهما، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾﴾[سبأ:31] حيث يظهر فيه

[1] سيد قطب، في ظلال القرآن (2097/4)

اللوم جليًا، في قول الأتباع المستضعفين للمستكبرين: {لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ}، أي أنتم سبب كفرنا ولولاكم لكنا مؤمنين، وقوله: {يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ}. أي: يلوم بعضهم بعضًا[1]. وهنا لا ينفع اللوم والعتاب، بل هو الخسران المبين، لأنهم يعترفون بطاعتهم العمياء لهم في الدنيا، قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾﴾[سبأ:33]، وحينما يكثر العتاب واللوم يتضجر الذين اتُبِعوا ويتبرؤون من أتباعهم، كما قال تعالى: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾﴾[البقرة:166]، وفوق ذلك ينكرون أنهم كانوا سبب غوايتهم، بل هم الذين أجرموا بحق أنفسهم. كما قال تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓا۟ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم ۖ بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾﴾[سبأ:32] والسؤال هنا: "هو استفهام بمعنى الإنكار، أي ما رددناكم نحن عن الهدى، ولا أكرهناكم"[2]. وتزداد حدة الخصومة والجدال واللوم حتى تشتعل بينهم المواجهة ويشتد الحوار حتى يتطور من لوم وعتاب إلى سبٍّ ولعن، كما في قوله عز وجل: ﴿وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾[العنكبوت:25]، وكلما دخل فوج لعن الآخرين، الأتباع يلعون المتبوعين، والمتبوعون يلعنون الأتباع، كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱدْخُلُوا۟ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِى ٱلنَّارِ ۖ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُوا۟ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ ۖ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾﴾[الأعراف:38]، فما أشد المشهد، وما أبأس النهاية، التي فيها خصومة ولوم ولعن، لعنات من كل الجهات، بكل اللهجات واللغات، تصيب كبيرهم وصغيرهم، ورئيسهم وحقيرهم. قال سيد قطب: "فما

[1] انظر: الماتريدي، تأويلات أهل السنة (449/8)، ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير (500/3)

[2] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (302/14)

أبأسها نهاية تلك التي يلعن فيها الابن أباه ويتنكر فيها الولي لمولاه"[1]. فكل أمة تلعن أختها، المماثِلة لها في الدين الذي أوجب لها دخول النار، وهذا يفيد عموم الأزمنة، وهذا يُظهر حجم الانفعالات النفسية وقتئذ، وعلى رأسها اللوم الصادر من جميع أفواج النار المتلاحقة عبر قرون طويلة من الزمن، على ألسنة عديدة وكثيرة ومتنوعة، حيث الشعور بالذنب الذي ارتكبه كل شخص بحق نفسه، أو بحق الآخرين، وعتابهم وتقريعهم وتأنيبهم لبعضهم البعض على كل ما بدرَ منهم وكانت عاقبته الخسارة والندم.

الدروس والقيم التربوية المستفادة:

- الصحبة الحقيقة التي تدوم هي صحبة الأتقياء الصادقين، الذين يؤمنون بالله تعالى، ويتبعوا المرسلين، وأساسها النصح لله عز وجل، والتعاون على طاعته سبحانه، والعمل الجماعي لنشر دين الإسلام.
- صحبة الأشرار والكفار مزيفة، سرعان ما تظهر حقيقتها البائسة، لأنها بُنيتْ على عداوة الإسلام، والمكر والكيد بأهله ودعاته، فما يلبثوا إلا ساعة إلا وهم يتلاومون ويتلاعنون.
- المؤمن لا يكون إمّعة، ولا يُقاد من قبل أهل الباطل والفساد، ولكن له شخصيته ومنهجه وتوجهه الذي يأخذه من شريعته وكتاب ربه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، بل هو القائد الأمين، والمرشد الحكيم، والدليل الصدوق، الذي يدل الناس على الخير، ويأخذ بقلوبهم إلى البِر والإيمان، ويوصلهم إلى بَر الأمان، فلا يندم أحد على اتباعه، ولا يلوم أحد أحدًا.
- المؤمن يلزم نفسه صحبة المؤمنين ومجالستهم، ويصبر مع الذين يدعون ربهم صباحًا ومساءً، ليلًا ونهارًا، لأنه يعلم أنه لا يشقى بهم جليسهم، ورُب رحمة تصيبه في الدنيا ببركتهم، وينالها يوم القيامة بمآخاتهم ودعائهم.

[1] سيد قطب، في ظلال القرآن (1290/3)

المطلب الثالث: لوم أهل النار لإبليس

قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ وَوَعَدتُّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُكُمۡۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ لِيۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُمۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصۡرِخِكُمۡ وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّ إِنِّي كَفَرۡتُ بِمَآ أَشۡرَكۡتُمُونِ مِن قَبۡلُۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٢٢﴾ ﴾[إبراهيم:22]

وهذا المشهد تتمة للمشهد السابق –الذي تلاوم فيه البشر في النار؛ الأتباع والمتبوعون– حيث ينتقل السياق للحديث عن إدخال عنصر جديد في الحوار، هو إبليس، الذي يجتمع إليه أهل النار باللَّوم والاتهام والتقريع، فيقوم فيما بينهم خطيبًا يتحدث إليهم ألّا يلقوا اللوم عليه بسبب خسارتهم الكبيرة، بل يجب أن يلوموا أنفسهم، فهو لم يجبرهم على طاعته والاستجابة له، والكفر بالله، فالذنب ذنبهم، والجُرم جُرمهم؛ لأنه ما كان منه إلا الوسوسة، بينما هم الذين سمعوا دلائل الله تعالى، وجاءتهم الرسل، ونزلت عليهم الكتب، فكان الأولى ألّا يستجيبوا له ولا يلتفتوا إليه، بل يستجيبوا لله ورسله، فلما رجّحوا قوله على ما جاءهم من البينات والهدى والحق كان اللوم بهم أولى بإجابته ومتابعته من دون حجة ولا دليل.

وهذه الآية كشفت عن حجم العذاب النفسي الذي يشعر به أهل النار، وصوّرت لنا مشهدًا رهيبًا يحيطه اللوم والتقريع والعتاب، حيث التبرؤ من كل أحد، والندم الشديد، والخسارة الفادحة، فلا غوث من أحد هناك، ولا منقذ من العذاب، ولا يجدون شفيعًا، ولا صديقًا حميمًا، ولا نصيرًا.

الدروس والقيم التربوية المستفادة:

- المؤمن لا يُصغي للشيطان ولو بأدنى وسوسة، ولا يطيعه في شيء البتة، بل يخالف أمره، ويطيع ربه، ويسعى جادًا لفكاك رقبته من النار، ويبادر إلى خلاص نفسه – ما دام في الدنيا – بالأعمال الصالحة، والأقوال الحسنة، ويحذر أن يأتيه الأجل وقد زلت به القدم، فيندم حيث لا ينفع الندم، وليعلم أن الشيطان كفور أثيم خوّان، فلا يصدقه حتى لا يخسر بعد فوات الأوان.

- كلام إبليس مع أهل النار الكافرين لزيادة حسرتهم وندمهم وكربهم، وليذوقوا العذاب النفسي قبل العذاب الجسدي، زيادة في الألم، وزيادة في لوم النفس، وجلد الذات.
- إبليس يتدرج في حديثه مع من أطاعوه واستجابوا له، حتى يصل إلى الحقيقة، والتي تُعد الضربة القاتلة بالنسبة لهم، والحقيقة هي أنه لا يملك نجدتهم ولا إنقاذهم، ولا هو مغيثهم ولا ناصرهم، ولم يجدوه إلا خوانًا وكذّابًا، ووجدوا ما كل ما وعدهم سرابًا خداعًا، وخذلانًا كبيرًا، ووعودًا باطلة، وأوهامًا وأماني كاذبة.

الفصل التاسع

انفعال اليأس عند الكافرين في القرآن الكريم

المبحث الأول: معنى اليأس ودلالاته في السياق القرآني

المطلب الأول: اليأس في اللغة

قال ابن فارس: "(يأس) الياء والهمزة والسين؛ كلمتان: إحداهما اليأس: قطع الرجاء. يقال منه: يئس ييأس وييئس... والكلمة الأخرى: ألم تيأس، أي ألم تعلم"[1]. واليأس: القنوط[2]. وهو نقيض الرجاء[3]، وقطع الأمل[4]، وخلاف الطمع[5]. "يئس من الشيء من باب تعب فهو يائس، والشيء ميئوس منه"[6]. ويِئس من الأمر: قنط منه، وانقطع أملُه منه وانتفى طمعُه فيه، ويَئوس: صيغة مبالغة من يئِسَ: شديد اليأس والقنوط[7].

فاليأس في اللغة يعني القنوط وقطع الأمل والرجاء، وهذا معناه الاستسلام والعجز.

---

[1] ابن فارس، مقاييس اللغة، (153/6)

[2] انظر: الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (992/3)، الرازي، مختار الصحاح (ص: 348)، ابن منظور، لسان العرب (259/6)

[3] انظر: ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم (632/8)، ابن منظور، لسان العرب (260/6)

[4] انظر: الفيروزآبادي، القاموس المحيط (ص: 582)، الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس (49/17)

[5] انظر: ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل (ت: 458هـ)، المخصص، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط1، 1417هـ 1996م، (282/1)

[6] الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير (683/2)

[7] انظر: مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة (2505/3)

المطلب الثاني: اليأس في الاصطلاح

هو قطع الأمل[1]، وانتفاء الطمع[2]، قال العسكري: "اليأس: انقطاع الطمع من الشيء"[3]. وقال المناوي: "اليأس: القطع بأن الشيء لا يكون، وهو ضد الرجاء"[4]. وقال الكفوي: "هو انقطاع الرجاء"[5]. وقال ابن الجوزي: "اليأس: القطع على أن المطلوب لا يتحصل لتحقيق فواته"[6]. فيكون معنى اليأس: انقطاع الرجاء وفقد الأمل في حصول المطلوب.

المطلب الثالث: اليأس في السياق القرآني

جاء معنى اليأس في القرآن على وجهين: الأول: القنوط، وهو أكثره، كما قال جل وعلا على لسان يعقوب عليه السلام: ﴿يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٨٧﴾[يوسف:87]، والثاني: بمعنى العلم، وقد ورد مرة واحدة فقط، وهو في قوله تعالى: ﴿أَفَلَمۡ يَاْيۡـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن لَّوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعٗاۗ ٣١﴾[الرعد:31]، أي: أفلم يعلم[7].

قال الكفوي: "كل يأس في القرآن فهو قنوط إلا التي في (الرعد) فإنها بمعنى العلم"[8].

ووردت مادة (يأس) في القرآن الكريم لدلالة انفعالية في ثلاثة عشر موضعًا. وجاء (اليأس) في أكثر المواضع مسندًا إلى الكفر، كقوله تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمۡ فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِۚ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ

---

[1] انظر: الفيروزآبادي، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (374/5)

[2] انظر: الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن (ص: 892)

[3] العسكري، معجم الفروق اللغوية (ص: 436)

[4] انظر: المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف (ص: 346)، والرجاء "في اللغة: الأمل، وفي الاصطلاح: تعلق القلب بمحصول محبوب في المستقبل". [الجرجاني، كتاب التعريفات (ص: 109)]

[5] الكفوي، الكليات (ص: 985)

[6] ابن الجوزي، نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر (ص: 633)

[7] انظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (452/16)، البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن (23/3)، الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (530/2)، ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (313/3)، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (319/9)

[8] الكفوي، الكليات (ص: 978)

وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ ﴿٣﴾﴾ [المائدة:3]، وكقوله: ﴿يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾﴾[يوسف:87]، وكقوله: ﴿وَلَئِنۡ أَذَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِنَّا رَحۡمَةٗ ثُمَّ نَزَعۡنَٰهَا مِنۡهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٞ كَفُورٞ ﴿٩﴾﴾ [هود:9]، وكقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ قَدۡ يَـِٔسُواْ مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِ كَمَا يَـِٔسَ ٱلۡكُفَّارُ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡقُبُورِ ﴿١٣﴾﴾ [الممتحنة:13]، والقرآن الكريم نهى عن اليأس والقنوط وفقدان الأمل والرجاء، وأمر بحسن الظن بالله تعالى، لأن الأمر كله بيده سبحانه، فقال على لسان نبيّه يعقوب وهو يحث أبناءه على استقصاء أخبار يوسف وأخيه، وعدم فقدان الأمل بلقائهما، وألا يقطعوا الرجاء من رحمة الله تعالى: ﴿وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾﴾[يوسف:87]. لأن اليأس قنوط وقطع للرجاء، والمؤمن لا يقنط من رحمة الله تعالى، بل هو من فعل الضالين وصفاتهم، كما قال سبحانه: ﴿وَمَن يَقۡنَطُ مِن رَّحۡمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾﴾[الحجر:56]. والمؤمن يحسن الظن بالله تعالى ويرجو رحمته ومغفرته، مهما بلغت المعاصي، ومهما كثرت السيئات، فإن الله تعالى يغفر الذنوب ولا يبالي، قال تعالى: ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزمر:53].

والقرآن الكريم يأمرنا بدوام الصلة بالله جل وعلا، والتوكل عليه، واللجوء إليه، والاعتماد عليه، وعدم قطع الرجاء منه، حتى لو تعقدت الأمور، وتعسّرت الظروف، واشتدت الخطوب، وكثرت المصائب والإحن، وتزايدت العقبات والمحن، وإن تكالب الأعداء، وعزّ النصير، فإن الأمل بالله تعالى معقود، وعدم اليأس هو المخرج، ومن قلب المحن تأتي المنح الجليلة العظيمة، ويكون ثمة الفرج المنتظر، والنصر المؤزر، والفتح المبين، قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُۖ وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُنَا عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿١١٠﴾﴾[يوسف: 110].

المطلب الرابع: اليأس عند علماء النفس

يعرف علم النفس اليأس بأنه فقدان الأمل والإحساس بالعجز وعدم المساندة، أي الإحساس بالاغتراب النفسي، والانغماس في مظاهر فقدان القيمة، وفقدان الأمل لفقدان العلاقة بموضوعات الحب والاعتماد. وتظهر هذه الخصائص الانفعالية في الحالات العصابيّة والحالات الذهانيّة الحادة والمبكرة، وخاصة في حالات الاكتئاب بأنواعها المختلفة والقلق النفسي الحاد[1].

والمقصود بالحالات العصابيّة في التعريف السابق، حالات القلق النفسي الشديد، والمقصود بالحالات الذهانيّة، حالات المرض العقلي[2].

واليأس هو من المتغيرات النفسية المميزة للشخصيات العاجزة والسلبية والمضطربة، ويؤدي إلى تحطيم الاتزان النفسي... وهو حالة وجدانية تبعث على الكآبة وخيبة الأمل أو التعاسة[3]. فهو شعور داخلي وانفعال نفسي، يدل على انقطاع الرجاء، أو فقدان الأمل، والإحباط، وقد يؤدي إلى انفعالات أخرى كالقلق، والاكتئاب، ويسبب لصاحبه الانطوائية، والبقاء وحيدًا. ويختلف اليأس من شخص لآخر، فيكون في أحوال مختلفة وبدرجات متفاوتة، ومن الممكن للشخص أن يتغلب على انفعالات اليأس وحالاته من خلال تواجده في بيئة مفعمة بالإيجابية والأمل تساعد على زيادة الاستقلالية والثقة بالنفس.

فاليأس حالةٍ نفسيّةٍ على شكل اضطراباتٍ داخليّة، تتمثل في فقدان الأمل، تسبب هبوط العزيمة، وفتور الإرادة، وضعف الهمة، والانشغال بسفاسف الأمور والقعود عن معاليها، وهذه الحالة تجعل الإنسان مقيدًا، عاجزًا، لا يقدر على التفاعل مع الخيارات المتاحة أمامه.

---

[1] انظر: طه، فرج، وآخرون، معجم علم النفس والتحليل النفسي، ص487، دار النهضة العربية، بيروت، ط1، بدون ذكر السنة.

[2] انظر: ياسين، زين، ألفاظ أحوال النفس وصفاتها في القرآن الكريم ص234

[3] انظر: معمرية، بشير، الفروق في الاكتئاب واليأس وتصور الانتحار وقلق الموت، قسم علم النفس وعلوم التربية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية ص23.

المبحث الثاني: مشاهد اليأس عند الكافرين في السياق القرآني

المطلب الأول: يأس الأمم الكافرة من الخير

قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾[الأنعام:44]

هذا المشهد يبيّن حال الأمم السابقة ويلخّص مصيرهم، فلما جاءتهم رسلهم بالشرائع من عند الله تعالى، ولم يستجيبوا، وتركوا ما أُمروا به، وأعرضوا وكذبوا، فتح الله تعالى عليهم أبواب كل شيء كان مغلقًا من الخير؛ كالرخاء والسعة والصحة والقوة والجاه والرزق، وقرأ ابن عامر {فتحنا} بالتشديد {فتّحنا} على معنى التكثير[1]، وهذا فتح استدراج ومكر وليس مكافأة، حتى إذا اطمأنوا وفرحوا بما أعطاهم الله تعالى اغتروا وبطروا، وظنوا أن كل ما نزل بهم لم يكن انتقامًا، أخذهم بغتة أي فجأة، وهي الأخذ على غرة ومن غير تقدم أمارة، فإذا أخذ الإنسان وهو غافل فقد أخذ بغتة، وأنكى شي ما يفجأ من البغت[2]. فإذا هم مبلسون، أي: آيسون من كل خير، يائسون من الرحمة، لا يستطيعون دفع الضر والشر عنهم، ساكنون مستكينون، ذليلون، حزينون من شدة الندم والحسرة بسبب كفرهم وعدم استجابتهم لرسلهم، واجمون ساكتون قد أمسكوا عن الكلام، لا يحيرون جوابًا لشدة ما نزل به من سوء الحال، وقد انقطعت حجتهم، وخابت آمالهم بالنجاة، بسبب ما حلّ بهم من البلايا والمصائب والمواجع والفواجع الأليمة.

قال ابن الجوزي: "المبلس: اليائس المنقطع رجاؤه، ولذلك قيل للذي يسكت عند انقطاع حجته، فلا يكون عنده جواب: قد أبلس"[3]. وفي الآية تقديم وتأخير، ومعناه: فلما فتحنا عليهم أبواب كل شيء، ونسوا ما ذكروا به أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون[4]. والتعبير بجملة: {فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ} يجسد صورة بليغة لإقبال

---

[1] انظر: ابن الجزري، شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد بن يوسف (ت: 833 هـ) النشر في القراءات العشر، المحقق: علي محمد الضباع، المطبعة التجارية الكبرى، من دون ذكر السنة أو الطبعة، (258/2)

[2] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (426/6)

[3] ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير (29/2)

[4] انظر: السمرقندي، بحر العلوم (448/1)

الدنيا بكل ما فيها من زخرف ولذة ونعمة وقوة ورخاء ورزق، كأنها سيل متدفق قد غمرهم وغمر بلادهم وأرضهم، فهو اختبار بكثرة النعم، بعد ابتلائهم بالبأساء والضراء.

فكان أخذهم على غرة وهم في سهوة وسكرة. فإذا هم حائرون منقطعو الرجاء في النجاة عاجزون عن التفكير في أي اتجاه. فإذا هم مهلكون بجملتهم حتى آخر واحد منهم.

ولفظة {بَغْتَة} ليكون أشد عليهم وأفظع هولًا، أي أخذناهم بعذاب الاستئصال حال كوننا مباغتين لهم. أو حال كونهم مبغوتين، فقد فجأهم العذاب على غرة بدون إمهال، فإذا هم حائرون عاجزون يائسون[1].

وحرف {إذا} للمفاجأة، حيث انقلب حالهم فجأة من النعم والأرزاق والخيرات والسعادات والصحة إلى الضر والشر والآفات والجوع والنقص والانتقام والشدة والحزن والندم والإطراق واليأس والإبلاس.

الدروس والقيم والتربوية المستفادة:

- المؤمن لا يكفر النعم، بل يشكر الله تعالى عليها –ولو كانت قليلة– لأن الهلاك والعذاب والنقم بكفران النعم.
- كافر النعم معرض للمقت والغضب والعذاب كل وقت وحين، يأتيه العذاب بغتة فجأة من حيث لا يدري.
- المؤمن لا يغتر بكثرة النعم، ولا يركن إليها، بل يسخرها في طاعة الله تعالى، لأنه يعلم أنها قد تكون استدراجًا.
- الواجب على الداعية دوام تذكير المؤمنين بشكر الله تعالى على نعمائه، بكل وسيلة من الوسائل المتاحة؛ المقروءة والمسموعة والمكتوبة، مستثمرًا سرعة انتشار الكلمة الهائل من خلال التقنيات العصرية والتكنولوجية، لأنه الواجهة الأولى في تذكير الناس ووعظهم، وأمرهم بالمعروف، والنهي عن المنكر، وضرورة شكر النعم، لأنها تزداد بالشكر وتكثر وتنمو وتتضاعف وتفيض.

[1] انظر: سيد قطب، في ظلال القرآن (1090/2)، طنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم (75/5)

- المؤمن أحق الناس بالحكمة والعبرة، أينما وجدها فهو أحق الناس بها، ومن الحكمة هنا وأخذ العبرة ألّا يفعل مثلما فعلت الأمم السابقة من كفران النعم، ونسيان أمر الله تعالى، حتى لا يصيبه ما أصابهم من العذاب والانتقام.

المطلب الثاني: يئس الكافرين من ترك المؤمنين لدينهم

قال تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمۡ فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِۚ ٣﴾[المائدة:3].

وهذا المشهد كان في يوم عرفة، في حجة الوداع، حيث حج النبي صلى الله عليه وسلم مع عشرات الألوف من الصحابة الكرام، وقد نزلت هذه الآية في الموقف العظيم، على جبل عرفات، في يوم جمعة.

عَنْ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ، أَنَّ رَجُلًا، مِنَ اليَهُودِ قَالَ لَهُ: يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ، آيَةٌ فِي كِتَابِكُمْ تَقْرَءُونَهَا، لَوْ عَلَيْنَا مَعْشَرَ اليَهُودِ نَزَلَتْ، لاَتَّخَذْنَا ذَلِكَ اليَوْمَ عِيدًا. قَالَ: أَيُّ آيَةٍ؟ قَالَ: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ ٣﴾[المائدة:3]. قَالَ عُمَرُ: "قَدْ عَرَفْنَا ذَلِكَ اليَوْمَ، وَالمَكَانَ الَّذِي نَزَلَتْ فِيهِ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ قَائِمٌ بِعَرَفَةَ يَوْمَ جُمُعَةٍ"[1].

والمشهد يُظهر مدى يأس الكفار في ذلك اليوم العظيم الذي أعز الله به الإسلام، وأظهر دينه على سائر الأديان الأرضية الدونية الوضعية، يُبين يأسهم مِن ترْك المؤمنين لدينهم أو الارتداد عنه إلى الشرك، أو الرجوع إلى الكفر وعبادة الأصنام، حيث بلغ دخول العرب في دين الإسلام ذروته، ودخلوا في دين الله أفواجًا وجماعات وفرادى، وبذلك انقطع رجاؤهم وخاب أملهم فيما طمعوا به من ردّ الصحابة إلى ما كانوا عليه قبل الإسلام، حيث كانوا يطمعون في عودة أهل الإسلام كفارًا، وتركهم دين الإسلام، فأيسوا من ذلك، ويأسوا أن ينتصروا عليهم ويغلبوهم، لأنهم رؤوا يومها قوة المسلمين، وعزتهم بدينهم، وكثرتهم، حتى قيل: "إنه وقف

[1] البخاري، صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب زيادة الإيمان ونقصانه حديث رقم (45) (18/1)

معه صلّى الله عليه وسلّم في هذه الحجة: مائة ألف وأربعة عشر ألفًا"[1]. فذهبت قدرتهم، وتفرقت جموعهم، ولم يكونوا إلا في حيز القلة المنهزمة اليائسة الآيسة البائسة، التي أصيبت بالإحباط والانطواء والانزواء.

الدروس والقيم التربوية المستفادة:

- جموع المسلمين وكثرتهم تبعث في نفوس الكافرين يأسًا كبيرًا، فهم يريدون ويتمنون أن تكون هذه الجموع على ملتهم، فعلى المؤمنين أن يتجمعوا ولا يفترقوا، وأن يكونوا يدًا واحدة، متفقة متآلفة، لأن العزة والقوة والنصر يكون باتحاد هذه الجموع المنتشرة على مساحات واسعة من قارات الأرض ودولها، فواجب المرحلة التعاون والتآلف والاتحاد من أجل نشر الدين بالحكمة، والموعظة الحسنة والأقوال الحسنة، والمعاملة الطيبة، والأخلاق الحميدة.
- أكثر ما يغيظ الكافرين ويزيد من يأسهم رؤيتهم المسلمين وهم ملتزمون بشريعة الإسلام، يؤدون شعائره، وخاصة العبادات الجماعية كالصلاة والصيام والحج وغيرها.
- المؤمن لا يتأخر عن تكثير سواد المسلمين، سواء المشاركة في الفعاليات والدروس الإيمانية، والندوات، والرباط حماية للأرض والمقدسات، وغير ذلك من البرامج.
- الدعاة هم أول الناس في الاستجابة والحضور، ومكانهم في مقدمة الصف الأول في تلبية البرامج الدينية والسياسية والاجتماعية، لأن وجودهم يغيظ الكفار، ويظهر يأسهم.
- على الآباء والأمهات إقامة الدروس الإيمانية في البيوت، وتكثيف برامج حفظ القرآن الكريم لأبنائهم وبناتهم، وترغيبهم وتشجيعهم ومكافأتهم بالهدايا والجوائز، والصبر على ذلك، لأن أكثر ما يزيد من يأس الكافرين رؤيتهم أطفال المسلمين ملتزمين بدينهم، حافظين كتاب ربهم، متبعين سنة نبيهم صلى الله عليه وسلم.

[1] ابن عجيبة، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد (7/2)

المطلب الثالث: يأس الكفار من أصحاب القبور

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ قَدۡ يَئِسُواْ مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلۡكُفَّارُ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡقُبُورِ ١٣ ﴾[الممتحنة:13].

الآية الكريمة تنهى المؤمنين عن موالاة قوم غضب الله عليهم، ولا يتخذونهم أولياء ولا أصدقاء، فلا يفشوا لهم سرًا، ولا ينقلوا لهم خبرًا، وذلك بسبب معاصيهم وذنوبهم وكفرهم وإعراضهم عن طاعة الله تعالى، وإنكارهم ليوم القيامة وما فيه من جزاء وثواب وعقاب وحساب.

والمراد بالقوم الذين غضب الله عليهم هم المشركون بشكل عام، ويدخل فيهم اليهود. وقد جاء في سبب نزول الآية[1] أن بعض المسلمين كانوا يتواصلون مع اليهود، وينقلون لهم من أخبار المسلمين، طمعًا في الحصول على ثمارهم، أو بعض متاع الحياة الفانية، فنزلت الآية تنهاهم عن موالاتهم والتواصل معهم. وهؤلاء المغضوب عليهم يئسوا من الآخرة وما فيها من الرحمة والثواب، كما يئس الكفار من عودة أصحاب القبور إلى الحياة مرة أخرى وأن يرجعوا إليهم[2]، وكما يئسوا من أن ينالوا شيئًا من الرحمة في قبورهم، قال مجاهد: "الكفار حين دخلوا قبورهم أيسوا من رحمة الله"[3]. فيكون ذلك حسرة عليهم، ويندمون أشد الندم على كفرهم وإعراضهم، وينقطع رجاؤهم بالنجاة، ويخيب أملهم في الرحمة، وييأسوا من الرحمة. فهم آيسون من الجنة كما أيس الكفار من أصحاب القبور لما رأوا وعاينوا منازلهم من النار.

وهذا اليأس انفعال نفسي يلازمهم طويلًا لفقدهم الأمل في الحصول على شيء من الرحمة والعفو، بعدما أيقنوا بعذاب الله تعالى لهم.

---

[1] انظر: الثعلبي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن (299/9)، الواحدي، الوسيط في تفسير القرآن المجيد (289/4)

[2] انظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (346/23)، الماوردي، النكت والعيون (526/5)، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (103/8)

[3] البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن (78/5)

المطلب الرابع: يئس الكافرين من رحمة الله تعالى

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُوْلَـٰٓئِكَ يَئِسُواْ مِن رَّحْمَتِى وَأُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾[العنكبوت:23]

هذا المشهد يصف حال الكافرين الذين كفروا حُجج الله تعالى والدلائل والمعجزات التي جاء بها الرسل في إثبات الرسالة لهم، وبالآيات الدالة على وحدانيته وألوهيته جل وعلا، وبآيات القرآن الكريم، وبالبعث والنشور، وأنكروا الكتب والرسالات والشرائع السماوية، وجحدوا لقاء الله تعالى، حيث يئسوا من رحمة[1] الله وجنته[2] وعفوه ومغفرته[3]، لما عاينوا العذاب الأليم يوم القيامة، فما أشد يأسهم، حينما انقطع رجاؤهم، وخاب أملهم، وهذا اليأس من أوائل العقوبات وأشدها في نفوس الكافرين لما فيه من حسرة وندامة وخيبة، ولا عقوبة أشد من ذلك.

ذلك أنه لا ييأس الإنسان من رحمة الله إلا حين يكفر قلبه، وينقطع ما بينه وبين ربه. وكذلك هو لا يكفر إلا وقد يئس من اتصال قلبه بالله، وجفت نداوته، ولم يعد له إلى رحمة الله سبيل[4].

الدروس والقيم التربوية المستفادة (من المطلبين السابقين الثالث والرابع):

- الكافر يائس بائس، لا يناله شيء من الرحمة، قد رأى العذاب بعينه، فلا أمل له بعفو أو نجاة، ومما يزيد يأسه أن عذابه أليم شديد.
- ينبغي للمؤمن ألا ييأس من روح الله تعالى ورحمته، لأن اليأس من صفات الكافرين. قال تعالى: ﴿وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾﴾[يوسف: 87].
- عبّر القرآن الكريم عن يأسهم بالماضي {يَئِسُوا} للتحقق والمبالغة، فهم ييأسون منها يوم القيامة[5].

---

[1] انظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (23/20)، الماتريدي، تأويلات أهل السنة (218/8)، السمرقندي، بحر العلوم (629/2)

[2] انظر: مقاتل، تفسير مقاتل بن سليمان (378/3)، ابن سلام، تفسير يحيى بن سلام (624/2)،

[3] انظر: ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير (404/3)

[4] انظر: قطب، في ظلال القرآن (2731/5)

[5] انظر: البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل (192/4)

- كُررت لفظة {أُولَئِكَ} في الآية ولم يكتف بواحدة لحكمة وفائدة، وهي أنه لو قال: أولئك يئسوا وهم في عذاب أليم لفهم أن هذا المجموع منحصر فيهم، فلا يوجد المجموع إلا فيهم[1]. وللدلالة على أن كل واحد من اليأس والعذاب لا يوجد إلا في الكفار، في تكرير اسم الإشارة وتكرير الإسناد وتنكير العذاب ووصفه بالأليم من الدلالة على كمال فظاعة حالهم ما لا يخفى، أي أولئك الموصوفون بالكفر بآيات الله تعالى ولقائه وباليأس من رحمته الممتازون بذلك عن سائر الكفرة لهم بسبب تلك الأوصاف عذاب لا يقادر قدرُه في الشّدّة والإيلام[2].
- أضاف الله تعالى الرحمة إلى نفسه وأضاف اليأس إليهم فقال سبحانه: {يَئِسُوا مِنْ رَحْمَتِي}، إعلامًا لعباده بعموم رحمته، ولزومها له، ولم يضف العذاب لنفسه لأنه خاص بالكفار.
- على رغم أن رحمة الله واسعة، وسعت كل شيء، إلا أن الكافرين يأسوا من رحمة الله تعالى، وانقطع رجاؤهم من نيْل شيء من الرحمة.

المطلب الخامس: يأس كفار مكة

قال تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَابٗا ذَا عَذَابٖ شَدِيدٍ إِذَا هُمۡ فِيهِ مُبۡلِسُونَ ٧٧ ﴾[المؤمنون:77]

هذه الآية تتحدث عن كفار مكة، والعلماء في تفسيرها على أقوال[3] فالباب ذو العذاب الشديد الذي فتحه الله تعالى عليهم؛ قيل: إنه يوم بدر[4]، حيث فتح عليهم باب القتال، فقتل منهم العشرات يوم بدر. وقيل: إنه الجوع الذي أصابهم[5]. وقيل: باب من عذاب جهنم في الآخرة[6].

---

[1] انظر: ابن عادل، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي الحنبلي الدمشقي النعماني (ت: 775هـ)، اللباب في علوم الكتاب، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، ط1، 1419 هـ-1998م، دار الكتب العلمية -بيروت (336/15) بتصرف يسير.

[2] انظر: أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (36/7)

[3] انظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (61/19)، الثعلبي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن (53/7)، مكي، الهداية إلى بلوغ النهاية (4991/7)، الماوردي، النكت والعيون (64/4)، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (143/12)

[4] انظر: ابن سلام، تفسير يحيى بن سلام (412/1)، الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (19/4)، ابن أبي زمنين، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري، الإلبيري (ت: 399هـ)، تفسير القرآن العزيز، تحقيق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة -محمد بن مصطفى الكنز، الفاروق الحديثة -مصر/القاهرة، ط1، 1423هـ-2002م، (207/3)

[5] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (61/19)، السمرقندي، بحر العلوم (487/2)

[6] الثعلبي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن (53/7)

وبعد فتح هذا الباب الذي هو عذاب شديد إذا هم يائسون آيسون من كل خير، سواء بعد ما قُتل فرسانهم وصناديدهم وزعماؤهم يوم بدر، حيث كانت الخسارة فادحة وكبيرة، واستحرّ القتل فيهم، فباتت مكة يومها في بكاء ونياحة وعويل، وسواء حينما أصابتهم المجاعة ، فباتوا يائسين بائسين، عاجزين، حزينين، منكسرين أذلاء، وسواء حينما يُفتح لهم باب من أبواب النار، فلا أمل بالنجاة، فهم يائسون مبلسون، لا حول لهم ولا قوة في دفع العذاب عنهم، بل يكونوا في أسوأ حالاتهم النفسية، حيث ينقطع الرجاء هناك، ويخيب الأمل عند أبواب النار، قبل أن يُغمسوا غمسة واحدة فيها.

المطلب السادس: المجرمون مبلسون آيسون من النجاة

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾﴾[الزخرف:74-75]

مبلسون: يائسون آيسون ساكتون حزينون منكسرون من شدة اليأس والندم والحسرة.

المبلس: اليائس[1]، البائس الكئيب الحزين المتندم[2]، الساكت من الحزن[3]، وأبلس الرجل إبلاسًا فهو مبلس إذا يئس[4]، وأبلس من رحمة الله أي يئس وندم[5]، والإبلاس: اليأس[6] والانكسار والحزن[7]، وهو اليأس من كل خير[8]. {مبلسون}: آيسون[9]، وقيل: إن اشتقاق إبليس من الإبلاس كأنه أبلس أي يئس من رحمة الله تعالى[10]، فسمي إبليس لأنه أُبلس من الخير أي أُويس[11].

---

[1] الأزهري، تهذيب اللغة (306/12)، الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (249/2)

[2] الفراهيدي، كتاب العين (262/7)

[3] الخطابي، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي (ت: 388هـ)، غريب الحديث، تحقيق: عبد الكريم إبراهيم الغرباوي، وخرج أحاديثه: عبد القيوم عبد رب النبي، دار الفكر، 1402هـ-1982م، دون ذكر الطبعة، (466/1)

[4] ابن دريد، جمهرة اللغة (340/1)

[5] ابن منظور، لسان العرب (29/6)

[6] ابن فارس، مجمل اللغة (ص: 135)

[7] الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (909/3)

[8] الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (197/3)

[9] الكفوي، الكليات (ص: 875)

[10] ابن دريد، جمهرة اللغة (340/1)، ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم (512/8)

[11] الفراهيدي، كتاب العين (262/7)

وهذا المشهد يظهر حال المجرمين الذين اجترموا الكفر بالله تعالى، بأنهم ماكثون في عذاب جهنم، لا يخفف عنهم، وهم فيه مبلسون أي يائسون وآيسون من النجاة[1]، ومن رحمة الله تعالى[2]، ساكتون سكوت الممسك إمساك اليائس من فرَج[3]، واليائس من أن يخرج من النار، الآيس الذليل الخاضع المخذول المتحسر الذي لا يستطيع الكلام من شدة الحزن والندم لانقطاع حجته، وعظيم خيبته، لما يجد من هول العذاب وشدته وكثرت صنوفه وإيلامه، وبعد مخاطبة خازن النار عليه السلام ونداءات الاستغاثة أن يقضى عليهم فيموتوا ليرتاحوا من العذاب فيخبرهم بأنهم ماكثون فيها، قال تعالى: ﴿وَنَادَوْاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾﴾[الزخرف:77]، فلا يخفف عنهم من عذاب النار، رغم اصطراخهم واستغاثتهم، كما قال عز وجل: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَاۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعْمَلُۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُۖ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾﴾[فاطر: 36-37]، ويزداد يأسهم، وتتضاعف حسرتهم، ويشتد ندمهم حينما يتم نهرهم وإسكاتهم كما قال سبحانه: ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ ٱخْسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾﴾[المؤمنون:107-108]، فعند سماعهم هذا القول تُغلق عليهم أبوب النار، فلا تفتح لهم أبدًا، ولا يخرجون منها، فييأسون، ويبأسون، ولا ينبسون بعد ذلك ببنت شفة، ولا يتكلمون بأي كلمة، وإنما هو الزفير والشهيق، أصواتهم كأصوات الحمير، ويُقال لهم كما يقال للكلاب: {اخْسَئُوا} وذلك للتحقير والزجر والتقريع والإبعاد[4].

---

[1] انظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (643/21)

[2] انظر: السمرقندي، بحر العلوم (264/3)

[3] انظر: الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (419/4)، الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (264/4)

[4] انظر: مقاتل، تفسير مقاتل بن سليمان (94/3)، ابن سلام، تفسير يحيى بن سلام (347/1)، الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (79/19)، الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (24/4)

الدروس والقيم التربوية المستفادة (من المطلبين السابقين الخامس والسادس)

- المجرمون في هذه الآية: الكفار، بدليل الخلود وما تتضمنه الألفاظ من مخاطبة مالك عليه السلام[1].
- الكافر من شدة الحزن والندم يائس، بائس، ساكت، ذليل، يعامل معاملة الحيوان، يُنهر كما ينهر الكلب.

[1] انظر: ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (64/5)

الفصل العاشر

انفعال الفرح عند الكافرين في القرآن الكريم

المبحث الأول: معنى الفرح ودلالاته في السياق القرآني

المطلب الأول: الفرح في اللغة

قال ابن فارس: "الفاء والراء والحاء أصلان، يدل أحدهما على خلاف الحزن، والآخر الإثقال. فالأول الفَرَح، يقال فرِح يفرح فرحًا، فهو فَرِحٌ"[1]. قال الله تعالى: ﴿ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾﴾[غافر:75]. ويقال: فَرح يفرح فَرحا فَهُوَ فَرح وفرحان وفارح من قوم فراحى وفرحين، والفرحة: المسرة[2]. والفرح: السرور[3]. والمُفرح: الشيء الذي يفرحني[4]. وفرح به: سُر. وأفرحه: سرَّه، والفرح أيضا: البطر[5]، والأشر[6]. ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾﴾[القصص:76]، والفرح: ضد الحزن[7] ونقيضه[8]، بينما ذكر العسكري أنّ نقيض الفرح الغم[9].

فالفرح هو السرور والرضى والابتهاج، وقد يأتي بمعنى البطر والأشر.

---

[1] ابن فارس، مقاييس اللغة، (499/4)

[2] انظر: ابن دريد، جمهرة اللغة (518/1)

[3] انظر: الفيروزآبادي، القاموس المحيط (ص: 233)، الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس (12/7)

[4] انظر: الأزهري، تهذيب اللغة (16/5)

[5] ينظر: الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (390/1)، الرازي، مختار الصحاح (ص: 236)، الفيروزآبادي، القاموس المحيط (ص: 233)

[6] انظر: الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس (12/7)

[7] ابن دريد، جمهرة اللغة (518/1)

[8] ينظر: ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم (311/3)، ابن منظور، لسان العرب (541/2)

[9] انظر: العسكري، الفروق اللغوية (ص: 265)

المطلب الثاني: الفرح في الاصطلاح

قال الراغب: "الْفَرَحُ: انشراح الصّدر بلذّة عاجلة، وأكثر ما يكون ذلك في اللّذات البدنيّة الدّنيوية"[1]. ووافقه الفيروزآبادي[2]، وعرّفه المناوي قائلًا: "انفتاح القلب بما يلتذ به"[3]. وقيل: "لذة القلب لنيل المشتهى"[4]. وقال الكفوي: "الفرح ما يُورث أشرًا أَو بطرًا؛ ولذلك كثيرًا ما يذم، كقوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ}"[5]. وعرّفه القرطبي: "الفرح لذة في القلب بإدراك المحبوب"[6]. ويقول ابن عاشور: "الفرح: المسرة ورضى الإنسان على أحواله، فهو انفعال نفساني. والمرح ما يظهر على الفارح من الحركات في مشيه ونظره ومعاملته مع الناس وكلامه وتكبره فهو هيئة ظاهرية"[7].

فالفرح في الاصطلاح هو انفعال يصدر عن انشراح الصدر وانفتاح القلب والشعور بلذة بدنية بإدراك ما تحبه النفس.

المطلب الثالث: الفرح في السياق القرآني

وردت مادة (فرح) لدلالة انفعالية اثنين وعشرين مرة في القرآن الكريم، ليعبّر بها عن حالات الفرح عند الإنسان، وقد ورد الفرح بصيغة الماضي والمضارع وعلى وزن فَعِل، وجاء في الغالب مسندًا إلى النَّفس الأمارة بالسوء؛ وذلك لأنه متعلق بالخفة واللذة البدنية، فإذا ما زالت هذه اللذة، زال الفرح، كقوله تعالى: ﴿ وَإِذَآ أَذَقۡنَا ٱلنَّاسَ رَحۡمَةٗ فَرِحُواْ بِهَاۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةُۢ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ إِذَا هُمۡ يَقۡنَطُونَ ٣٦﴾[الروم:36]، وكقوله سبحانه: ﴿وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِنَّا رَحۡمَةٗ فَرِحَ بِهَاۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةُۢ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ فَإِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ

---

[1] الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن (ص: 628)

[2] الفيروزآبادي، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (178/4)

[3] المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف (ص: 258)

[4] المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف (ص: 258)، وانظر: السمعاني، تفسير القرآن (333/2)

[5] الكفوي، الكليات (ص: 508)

[6] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (354/8)

[7] ابن عاشور، التحرير والتنوير (206/24)

كَفُورٌ ﴿٤٨﴾﴾[الشورى:48]، وكقوله سبحانه: ﴿فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَيَسۡتَبۡشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمۡ يَلۡحَقُواْ بِهِم مِّنۡ خَلۡفِهِمۡ أَلَّا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿١٧٠﴾﴾[النمل:36].

وجاء استعمال الفرح في القرآن الكريم على ثلاثة أوجه[1]:

الأول: الفرح بمعنى السرور، وهو انفتاح القلب وانشراح الصدر. كقوله تعالى: ﴿فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَيَسۡتَبۡشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمۡ يَلۡحَقُواْ بِهِم مِّنۡ خَلۡفِهِمۡ أَلَّا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿١٧٠﴾﴾[آل عمران:170]. يعني الفرح بعينه[2].

الثاني: الفرح بمعنى الرضا، كقوله تعالى: ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗاۖ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾﴾[الروم:32]، وكقوله سبحانه: ﴿وَفَرِحُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٞ ﴿٢٦﴾﴾[الرعد:26] أي رضوا[3]. وكقوله: ﴿فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ ﴿٨٣﴾﴾[غافر:83]، أي: رضوا[4].

الثالث: الفرح بمعنى الأشر والبطر والمرح، كقوله تعالى: ﴿إِذۡ قَالَ لَهُۥ قَوۡمُهُۥ لَا تَفۡرَحۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾﴾[القصص:76]. وكقوله سبحانه: ﴿ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمۡ تَفۡرَحُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَبِمَا كُنتُمۡ تَمۡرَحُونَ ﴿٧٥﴾﴾[غافر:75]، يعني: "بما كنتم مرحين، بطرين بالخيلاء والكِبْر"[5]. وكقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَفَرِحٞ فَخُورٌ ﴿١٠﴾﴾[هود:10].

---

[1] انظر: ابن سلام، يحيى بن أبي ثعلبة البصري (ت: 200هـ)، التصاريف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسمائه وتصرفت معانيه، تحقيق: هند شلبي، الشركة التونسية للتوزيع، 1979م (ص: 243)، ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري (ت: 276هـ)، تأويل مشكل القرآن، المحقق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت –لبنان، (ص: 268)، العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل (ت: نحو 395هـ)، الوجوه والنظائر، حققه وعلق عليه: محمد عثمان، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 1428هـ-2007م،(ص: 383)، الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير (466/2)

[2] انظر: ابن سلام، التصاريف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسمائه وتصرفت معانيه (ص: 243)

[3] ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن (ص: 268)

[4] العسكري، الوجوه والنظائر (ص: 383)

[5] ابن سلام، التصاريف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسمائه وتصرفت معانيه (ص: 243)

قال ابن قتيبة: "والفرح: البطر والأشر، لأن ذلك عن إفراط السرور... وقد تبدل (الحاء) في هذا المعنى (هاء) فيقال: فره أي بطر، قال الله تعالى عن ثمود قوم صالح: ﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَرِهِينَ ﴿١٤٩﴾﴾[الشعراء:149] أي: أشرين بطرين. و(الهاء) تبدل من (الحاء) لقرب مخرجيهما، تقول: (مدحته) و(مدهته)، بمعنى واحد"[1].

وأغلب ألفاظ الفرح الواردة في القرآن الكريم جاءت في سياق الذم[2]، وهو الفرح المطلق، وهو الذي يورث البطر والأشر، قال الكفوي: "وهما –أي: السرور والحبور– مستعملان في المحمود وأما الفرح فهو ما يورث أشرًا أو بطرًا؛ ولذلك كثيرا ما يذم، كقوله تعالى: ﴿لَا تَفْرَحْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾﴾[القصص:76]، فالأولان ما يكونان عن القوة الفكرية، والفرح ما يكون عن القوة الشهوية"[3]. وقال الآلوسي: "وأكثر ما ورد الفرح في القرآن للذم فإذا قصد المدح قُيِّد"[4]. بينما الفرح الممدوح فإنه قليل، وهو ما كان مقيّدًا بفضل الله تعالى ورحمته كقوله تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾[يونس:58]، قال ابن عطية: "الفرح إذا ورد مقيدًا في خير فليس بمذموم وكذلك هو في هذه الآية[5]، وإذا ورد مقيدًا في شر أو مطلقًا لحقه ذمّ، إذ ليس من أفعال الآخرة"[6].

وأعلى المقامات الفرح بالله تعالى وبرسوله صلى الله عليه وسلم والقرآن والسنة، كما قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾﴾[التوبة:124]. وكقوله سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾[الرعد:36]، قال ابن القيم: "الفرح بالله، وبرسوله، وبالإيمان، وبالسنة، وبالعلم، وبالقرآن: من أعلى مقامات العارفين...

---

[1] ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن (ص: 268)

[2] انظر: الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن (ص: 77)

[3] الكفوي، الكليات (ص: 508)

[4] الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (216/6)

[5] الآية المقصودة هي: ﴿لَا تَفْرَحْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾﴾[القصص:76]

[6] ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (127/3)، وانظر: الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن (252/3)

والفرح أعلى أنواع نعيم القلب، ولذته وبهجته، والفرح والسرور نعيمه، والهم والحزن عذابه، والفرح بالشيء فوق الرضا به، فإن الرضا طمأنينة وسكون وانشراح. والفرح لذة وبهجة وسرور، فكل فرِح راض، وليس كل راض فرحًا، ولهذا كان الفرح ضد الحزن، والرضا ضد السخط، والحزن يؤلم صاحبه، والسخط لا يؤلمه، إلا إن كان مع العجز عن الانتقام"[1].

يستدل مما ذُكر أن الفرح انفعال نفسي، يعبر عن سعادة النفس ورضاها، فإذا كان مقيدًا بطاعة الله تعالى فهو ممدوح، وإن كان مطلقًا فإنه يقود إلى الأشر والبطر فهو مذموم.

المطلب الرابع: الفرح عند علماء النفس

الفرح هو أحد الانفعالات البدائية أو الأساسية الأصلية للنفس البشرية وهي التعجب والحب والكره والرغبة والفرح والحزن، وعنها تنبثق شتى الانفعالات الخاصة[2].

والفرح هو انفعال للنفس مبهج، وفيه قوام تمتعها بالخير الذي تصوره لها انطباعات الدماغ على أنه خيرها[3]. وهو "انفعال طبيعي وشعور وجداني"[4]. وصفة كمال[5]، فالفرح انفعال محله القلب، يمدح ويذم بحسب تعلقه.

ويتم تناول الفرح في علم النفس بصورة عامة تحت مسمى السعادة؛ وتتضمن الشعور بالرضا عن الظروف الآنية للشخص، وهي كل ما يُعبّر عن الابتهاج وكل ما يُدخل السرور في النفس البشرية، والفرح لذة القلب لنيل ما تشتهيه النفس، وتتمنى تحقيقه.

---

[1] ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (150/3).

[2] انظر: ديكارت، انفعالات النفس ص51.

[3] المرجع السابق ص62.

[4] عبد الله، زيد عمر، الفرح دراسة قرآنية تربوية، ص4، بحث محكم، المصدر: مجلة جامعة الملك سعود -العلوم التربوية والدراسات الإسلامية، المجلد/العدد: مج 13، ع 2، 2001م.

[5] ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد (ت: 751هـ)، تفسير القرآن الكريم، تحقيق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان، دار ومكتبة الهلال –بيروت، ط1، 1410هـ (ص: 321)، ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (150/3)

يرى سقراط أن الفرح يتحقق بالسير في طريق الفضيلة، وأما أفلاطون فيرى الفرح سلامة النفس وليس في سلامة البدن، وهي في فضائل الحكمة والشجاعة والعفة والعدل، وأما أرسطو فيعتبر الفرح هبة من الله يحصل عليها الإنسان عندما يسير في طريق الفضيلة ويعمل الخير[1].

ويقول ابن مسكويه: "الفرح تمام الخيرات وغاياتها، والتمام هو الذي إذا بلغنا إليه لم نحتج معه إلى شيء آخر"[2].

بينما يقول نجاتي عن الفرح إنه "أمر نسبي يتوقف على أهداف الإنسان في الحياة، فمن كان هدفه في الحياة جمع المال، والحصول على القوة والنفوذ وغير ذلك من متاع الحياة الدنيا، كان نجاحه في تحقيق هذه الأهداف باعثًا على فرحه وسروره، ومن كان هدفه في حياته التمسك بالإيمان والتقوى والعمل الصالح لكي يحصل على السعادة في الحياة الآخرة كان ذلك مصدر أمنه وطمأنينته وسروره"[3].

والفرح من الانفعالات الأصلية أو الأساسية للنفس البشرية، وهو من الانفعالات السارة التي يُسرّ بها الشخص، يتولد عند الشعور بالانبساط، يقع في القلب، بإدراك محبوب، أو اندفاع مكروه.

قال ابن القيم: "الفرح لذة تقع في القلب بإدراك المحبوب ونيل المشتهى. فيتولد من إدراكه حالة تسمى الفرح والسرور"[4].

خلاصة القول: إن الفرح انفعال نفسي أساسي للنفس البشرية، وهو إحساس وشعور ينبع من داخل الإنسان بما يكون حوله من أمور تسره.

---

[1] انظر: الفارابي، أبو النصر، محمد بن طرخان، (ت: 339هـ)، تحصيل السعادات، بوّبه وشرحه د. علي بو ملحم، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان، ط1، 1995م، ص49. مرسي، كمال إبراهيم، السعادة وتنمية الصحة النفسية، دار النشر للجامعات، ط1، 1421هـ–2000م، ص25

[2] تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق (ص: 90)

[3] نجاتي، القرآن وعلم النفس، ص94

[4] ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (148/3)

المبحث الثاني: مشاهد الفرح عند الكافرين في السياق القرآني

المطلب الأول: استبشار وفرح قوم لوط بضيوف لوط عليه السلام

قال تعالى: ﴿ وَجَآءَ أَهۡلُ ٱلۡمَدِينَةِ يَسۡتَبۡشِرُونَ ٦٧﴾[الحجر:67]

بَشِرَ: فَرِحَ[1]. قال ابن فارس: "الباء والشين والراء أصل واحد: ظهور الشيء مع حسن وجمال، فالبشرة ظاهر جلد الإنسان، ومنه باشر الرجل المرأة، وذلك إفضاؤه ببشرته إلى بشرتها. وسمي البشر بشرا لظهورهم، والبشير الحسن الوجه"[2]. والبشر: "طلاقة الوجه"[3]. واستبشر: إذا وجد ما يبشّره من الفرح، قال تعالى: ﴿وَيَسۡتَبۡشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمۡ يَلۡحَقُواْ بِهِم مِّنۡ خَلۡفِهِمۡ ١٧٠﴾[آل عمران:170]، وقال سبحانه: ﴿يَسۡتَبۡشِرُونَ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ ١٧١﴾[آل عمران:171]، وقال تعالى: ﴿ وَجَآءَ أَهۡلُ ٱلۡمَدِينَةِ يَسۡتَبۡشِرُونَ ٦٧﴾[الحجر:67]. ويقال للخبر السارّ: "البِشارة والبُشرى"[4]. فالاستبشار: يعني السرور بالبشارة[5] والفرح بها[6]، وهو شعور يحصل للإنسان عند الخبر المفرح الذي يُبشّر به، فيمتلئ القلب سرورًا حتى يظهر أثره على الوجه، وهو الانبساط والتهلل[7]. فهو إذن انفعال نفسي يُعبر من خلاله عن شدة الفرح، يظهر على بَشَرة الوجه، وغالبًا ما تكون البشارة في الخبر السّار.

"جاء الأصل (بشر) وما يشتق منه لدلالةٍ انفعاليّة في خمسة وثمانين موضعًا من القرآن الكريم، وقد جاء مسندًا إلى النَّفْس الإنسانية مُبشِّرة أو مُبَشَّرة، وذلك بصيغ مختلفة"[8].

---

[1] ابن منظور، لسان العرب (61/4)

[2] ابن فارس، مقاييس اللغة، (251/1)

[3] ابن دريد، جمهرة اللغة (310/1)

[4] الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن (ص: 125)

[5] انظر: ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير (347/1)

[6] انظر: الماتريدي، تأويلات أهل السنة (530/2)

[7] انظر: الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل (319/1)، أبو حيان، البحر المحيط في التفسير (208/9)

[8] ياسين، ألفاظ أحوال النفس وصفاتها في القرآن الكريم ص211

والمشهد الذي بين أيدينا يظهر الانفعال النفسي عند قوم لوط الذين جاؤوا مستبشرين مسرورين فرحين بقدوم ضيوف إلى قريتهم، ودخولهم منزل لوط عليه السلام، طمعًا منهم في ركوب الفاحشة[1]. وخاصة أن الضيوف كانوا في غاية الحسن والجمال، كانوا صباح الوجوه، واشتهر خبرهم حتى وصل إلى قوم لوط، وقيل: إن امرأة لوط أخبرتهم بذلك، وبالجملة فالقوم قالوا: نزل بلوط ثلاثة من المرد ما رأينا قط أصبح وجهًا ولا أحسن شكلًا منهم فذهبوا إلى دار لوط طلبًا منهم لأولئك المرد[2].

الدروس والقيم التربوية المستفادة:

- الكافرون يفرحون بالمعصية ويستبشرون بها، ويتعاونون على ذلك بكل الوسائل والإمكانات، فعلى المؤمنين التعاضد والعمل الجماعي لنشر الدين، والوقوف في وجه الباطل والفساد.
- على المؤمنين أن يتكاتفوا ويتعاونوا على الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وأن يحمل بعضهم همّ أخيه المؤمن، وأن يدافع عنه، ويسانده، وأن يكون عونًا له لا عونًا عليه.
- على الدعاة أن يركزوا في دعوتهم على النهي عن المنكر والمعاصي المنتشرة في مجتمعاتهم، والأخطاء الشائعة في بلدانهم، ويحاولوا معالجتها، واجتثاث الباطل والفساد والانحلال، ليَسلم الجميع، ويتفيؤوا كلهم ظلال الطاعة والعبادة.

المطلب الثاني: فرح الكافرين بالنِّعَم الدنيوية

أولًا: فرح قارون بأمواله وكنوزه

قال تعالى: ﴿إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوۡمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيۡهِمۡۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلۡعُصۡبَةِ أُوْلِي ٱلۡقُوَّةِ إِذۡ قَالَ لَهُۥ قَوۡمُهُۥ لَا تَفۡرَحۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ ٧٦﴾ [القصص:76]

[1] انظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (117/17)

[2] انظر: الرازي، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) (155/19)

جاء لفظ الفرح في هذه الآية بصيغة (فَعِل) ليدل على ملازمة هذه الصفة للنفس، لما فيها من كِبر وخيلاء واستعلاء على الآخرين.

وقارون صاحب الكنوز الكثيرة، ظنّ لما يملك من أموال ورجال أن لديه قوة تدفع عنه وتدافع، فتكبّر واستعلى، وظلم وبغى، وفرح بماله أشد الفرح، حتى بطرت نفسه، وجحد نعمة الله تعالى، ورد الفضل فيما يملك إلى نفسه، واغتر أشد الغرور، وهذا بسبب طيشه وخفة عقله.

والآية تشير إلى أنه كان أحد أغنياء عصره، وكان يمتلك ثروة هائلة، وكنوزًا كثيرة، وقد كان مقدار غنى قارون مضربًا للأمثال، ولا يزال إلى يومنا، وكانت هذه الكنوز محفوظة في خزائن كثيرة، مغلقة بإحكام، حتى مفاتيحها كانت ثقيلة جدًا، يصعب على شخص واحد أن يحملها، بل هي بحاجة إلى مجموعة من الرجال الأقوياء الأشداء لكي يحملوها.

وقارون في بدايته كان على دين موسى عليه السلام ومن أتباعه، وكان "يسمى المنوّر من حُسن صوته بالتوراة"[1]، وكان "أقرأ رجل في بني إسرائيل بالتوراة"[2]، ولكن غرّته الكنوز والأموال وما جمع من الثروة التي لا تُعد، ومنع حق الله فلم يؤد زكاة ماله، ولم ينفقه في وجوه الخير والإحسان.

وقوله تعالى: {لا تَفْرَحْ} "أي لا تفرح لكثرة المال في الدنيا؛ لأن الذي يفرح بالمال ويصرفه في غير أمر الآخرة مذموم فيه"[3]. فلا تفرح بالمال فإنّ الفَرِحَ بالمال لا يؤدي حقه[4]. فنصحه جمع من قومه قائلين له: اتق الله في المال الذي بين يديك، واعمل فيه بما ينجيك غدًا من عقاب الله وعذابه، لأنك ستسأل عنه، ولا تبغ ولا تَبْطَر فرحًا، ولا تفتخر على الناس بما آتاك الله من المال ولا تتكبر عليهم، والتمس في المال الذي أعطاكه الله الدار الآخرة بالعمل الصالح فيه، لأن الله لا يحبّ مِن خَلْقه الأشِرِين البَطِرين البذِخين، الفرحين

[1] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (616/19)
[2] السمرقندي، بحر العلوم (620/2)
[3] الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (155/4)
[4] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (313/13)

فرَحَ البغي، الذين لا يشكرون الله على ما أعطاهم، ولا ينفقون من أموالهم. ونهوه عن الفرح المطغي الذي هو انهماك وانحلال نفس وأشر وإعجاب[1]، نهوه عن فرح الزهو المنبعث من الاعتزاز بالمال، والاحتفال بالثراء، والتعلق بالكنوز، والابتهاج بالملك والاستحواذ، الذي يُنسي المنعم بالمال ويُنسي نعمته، وما يجب لها من الحمد والشكران، الذي يستخفه المال، فيشغل به قلبه، ويطير له لبه، ويتطاول به على العباد[2].

لكن الغرور أعمى بصيرته، وادعى أنه وصل إلى هذه الثروة الكبيرة بكفاءته، وأنه جمع ما جمع من الأموال بذكائه، وهو فرِح بذلك أشد الفرح، حتى وصل إلى البطر والأشر، والفساد في الأرض، والظلم والطغيان فبغى عليهم بكثرة ماله، وجاوز الحد في التكبر والتجبر عليهم والتفاخر والخيلاء، فخسف الله به وماله وداره فهو يتجلجل[3] في الأرض. قال صلى الله عليه وسلم: (بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي فِي حُلَّةٍ، تُعْجِبُهُ نَفْسُهُ، مُرَجِّلٌ جُمَّتَهُ، إِذْ خَسَفَ اللَّهُ بِهِ، فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ)[4].

والعرب تقول: خسف المكان يخسف خسوفًا ذهب في الأرض، وخسف الله به الأرض خسفًا أي غاب به فيها[5]. لمّا أشر وبطر وعتا خسف الله به وبداره الأرض جزاء على عتوه وبطره، والفاء تدل على ذلك، لأن الفاء تشعر بالعلّيّة[6].

قال البيضاوي: "والفرح بالدنيا مذموم مطلقًا؛ لأنه نتيجة حبها والرضا بها والذهول عن ذهابها، فإن العلم بأنّ ما فيها من اللذة مفارقة لا محالة يوجب الترح"[7]. فالفرح في الآية الكريمة انفعال نفسي تملّك قارون بعمق إلى حدّ كبير، كأنه غمر نفسه غمرًا به، حتى قاده للإعجاب بالنفس والغرور والبغي والطغيان والأشر والبطر، ولذلك خُتمت الآية بقوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ}، وكان الأولى به استماع النصيحة،

---

[1] ينظر: ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (299/4)، أبو حيان، البحر المحيط في التفسير (324/8)

[2] ينظر: قطب، في ظلال القرآن (2711/5)

[3] أي يغوص في الأرض حين يخسف به. والجلجلة: حركة مع صوت. انظر: [ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر (284/1)]

[4] البخاري، صحيح البخاري، كتاب اللباس، باب: من جر ثوبه من الخيلاء، حديث رقم (5789)، (141/7)

[5] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (318/13)

[6] الرازي، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) (17/25)

[7] البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل (185/4)

وترك كل ما يوصله إلى المهالك، وعدم الفرح بكثرة المال والثراء الذي كان فيما بعد سبب هلاكه وخسفه، ولو تواضع ولم يتكبر وردّ الفضل وسعة الرزق إلى الله تعالى، وترك الفرح الذي أدى به إلى البغي لكان خيرًا له، وكما قيل: "العرب تمدح بترك الفرح عند إقبال الخير"[1].

الدروس والقيم التربوية المستفادة:

- الدعاة لا يفترون ولا يسأمون من تذكير الناس بالله تعالى، وما هو الواجب تجاهه سبحانه وتعالى من الطاعة والعبادة، ولا يستثنون أحدًا من جميع طبقات المجتمعات، وخاصة أصحاب النفوذ والوجاهة والسلطة، لأن باستجابتهم منفعة كبيرة للمؤمنين.
- لا بد للدعاة من التواصل الدعوي المتوّج بالحكمة والموعظة الحسنة، والكلمة الطيبة، مع جميع الشرائح، ودعوتهم باللين والنصح الجميل حتى يعذروا أمام الله تعالى.
- لا بد من إقامة دروس وفعاليات، وتكثيف ندوات في المجامع والتجمعات لتوعية الناس وإرشادهم وتوجيههم في كيفية التعامل الصحيح والشرعي مع المال، وخاصة ممن يملكون مالًا كثيرًا، وثراءً فاحشًا.
- لا بد للدعاة من التأكيد على التربية الإيمانية والتركيز عليها، من خلال الحلقات التربوية، والمشاريع الخيرية، لأنها الحصن من التهافت على الملهيات، والمانع من التساقط أمام الفتن، وخاصة فتنة المال والثراء والغنى.
- المؤمن يجعل المال في يده وليس في قلبه، فلا يلهيه ولا يطغيه ولا يصده عن سبيل الله تعالى وعمل الخيرات، بل ينفقه في وجوه الخير والبر والإحسان ومرضاة الله تعالى، وبناء المؤسسات وإقامة المشاريع العملاقة، التي ترعى الكبار والصغار، وتخدم الدعوة والناس، فنِعم المال الصالح بيد الرجل الصالح، لأن المال متاع زائل، لا يستحق أن يكون في قلب المؤمن، بل في جيبه.

[1] أبو حيان، البحر المحيط في التفسير (325/8)

- المؤمن كغيره من الناس يفرح بنعم الله تعالى، كنعمة المال، ولكن هذا المال لا يجعله يظلم أو يطغى أو يوصله إلى الأشر والبطر والغرور والعُجب، لأنه يرد الفضل إلى الله تعالى، ولا ينسبه إلى نفسه، لأن الزهو والكبر يجلبان الدواهي والمهالك والعاقبة الأليمة القاسية التي يكون معها قصم الظهر.
- كثير من الأغنياء في زماننا يشبهون قارون بأسلوبه وتصرفاته ومنهجه، فيتعاملون مع من حولهم بفوقية وعنجهية وتعجرف، ويبتزون أموال الناس، وخاصة الضعفاء والمحتاجين والفقراء، ويقرضونهم المال بشروط صعبة وقاسية، كما تفعل شركات الاحتكار.
- كثرة النعم وتدفقها وازدحامها على الإنسان لا تدل على رضى الله تعالى، بل هي اختبار وابتلاء، وربما تكون استدراجًا، ثم عدوًا ووبالًا وعذابًا وهلاكًا.

ثانيًا: فرح الكافرين بإقبال الدنيا وملذاتها

وقد ورد في هذا النوع من الفرح خمس آيات، تبيّن فرح الكافرين بإقبال الدنيا عليهم، وانغماسهم في ملذّاتها، والتعلق بها لدرجة التجرؤ على الله تعالى بالمعاصي، ونسيان أمره سبحانه، بالإضافة إلى اعتقادهم بأن كثرة النِعَم، وفتح أبوابها عليهم يدل على أنهم على حق وصواب، ولكن سرعان ما يعرفون حقيقة الأمر، بأن ذلك استدراج من الله تعالى، ليختبرهم في هذه النِعَم، فإذا سلب ذلك منهم فإذا هم يقنطون.

وفرحهم الكبير بالدنيا وملذاتها يقودهم إلى البطر والأشر والمرح والكِبر الذي هو سبب المقت والهلاك، بل هو سبب تبديل هذه النِعم إلى نِقَم، والرخاء إلى شدة، واليسر إلى عسر، والعافية إلى بلاء، والأمن إلى خوف، وبيان ذلك كالآتي:

1- قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾﴾[يونس: 22]

قال الماتريدي: "(وَفَرِحُوا بِهَا) وقيل: سروا بها. ويحتمل فرحوا بها، أي: بطروا بها وأشروا، وقوله: (جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ)، أخبر أن من الريح ما هي طيبة تجري بها السفن، ومنها ما هي عاصفة قاصفة تكسر وتفرق السفن وتهلك أهلها... وقوله -عَزَّ وَجَلَّ-: (وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ) قيل: أيقنوا أنهم مهلكون... وقوله -عَزَّ وَجَلَّ- (دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ): أنهم لما أيسوا عن الأصنام التي عبدوها في دفع ما حل بهم عنهم، فزعوا إلى الله، وأخلصوا الدعاء له، وقالوا: لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين، ثم أخبر عن سفههم بعودهم إلى ما كانوا من قبل، (فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (23) وهكذا كانت عادتهم كانوا يفزعون إلى الله عند خوف الهلاك والإياس عن آلهتهم التي عبدوها، ويخلصون الدعاء له، فإذا كشف ذلك الكرب عنهم ودفع، عادوا إلى ما كانوا من قبل"[1].

إنهم يلجؤون إلى الله تعالى في حال تعرضهم للخطر، ويتعلقون به إذا خافوا من زوال النِّعم، ويتعهدون بالتوبة والعمل الصالح، ولكنهم ينقضون عهودهم بعد أن ينجيهم الله تعالى، ويعودون لما كانوا عليه.

2- قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ وَفَرِحُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٞ ٢٦﴾[الرعد:26].

جاء في تفسير قوله تعالى: {وَفَرِحُواْ بالحياة الدنيا} "أي: فرح المشركون بما وسع عليهم في الدنيا، ولم يُفكروا أن متاع الدنيا عند متاع الآخرة قليل"[2]، "يريد مشركي مكة أَشِروا وبَطِروا"[3]، "فرحوا بما بسط لهم من الدنيا فرح بطر وأشر لا فرح سرور بفضل الله وإنعامه عليهم، ولم يقابلوه بالشكر حتى يستوجبوا نعيم الآخرة، وخفى عليهم أن نعيم الدنيا في جنب نعيم الآخرة ليس إلا شيئاً نزرا يتمتع به كعجالة الراكب، وهو ما يتعجله من تميرات أو شربة سويق أو نحو ذلك"[4].

---

[1] الماتريدي، تأويلات أهل السنة (6/ 28)

[2] مكي، الهداية الى بلوغ النهاية (5/ 3731)

[3] البغوي، معالم التنزيل (3/ 20)

[4] الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (2/ 528)

ففرحهم فرح أشر وبطر، لأنه فرح بالحياة الدنيا، ولم يقابلوا نِعَم الله تعالى بالشكر والطاعة، ولكن بالمعصية والكفر، وخفي عليهم أن كل ذلك متاع قليل، سيفنى ويضمحل وينتهي عن قريب.

3- قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾﴾[الأنعام: 44].

جاء في تفسير الآية: "يعني تعالى ذكره بقوله: {فلما نسوا ما ذكروا به}، فلما تركوا العمل بما أمرناهم به على ألسن رسلنا، {فتحنا عليهم أبوابَ كل شيء}، يقول: بدلنا مكان البأساء الرخاء والسعة في العيش، ومكان الضراء الصحة والسلامة في الأبدان والأجسام، استدراجًا منَّا لهم... وإنما معنى ذلك: فتحنا عليهم، استدراجًا منا لهم، أبوابَ كل ما كنا سددنا عليهم بابه، عند أخذنا إياهم بالبأساء والضراء ليتضرعوا، إذ لم يتضرعوا وتركوا أمر الله تعالى ذكره"[1].

قال البغوي في تفسير الآية: "فلما نسوا ما ذكروا به، تركوا ما وعظوا وأمروا به، فتحنا عليهم أبواب كل شيء... وهذا فتح استدراج ومكر، أي: بدلنا مكان البلاء والشدة الرخاء والصحة، حتى إذا فرحوا بما أوتوا، وهذا فرح بطر مثل فرح قارون بما أصاب من الدنيا، أخذناهم بغتة، فجأة آمن ما كانوا وأعجب ما كانت الدنيا إليهم، فإذا هم مبلسون، آيسون من كل خير"[2].

4- قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٦﴾﴾[الروم:36]

جاء في تفسير الآية: "إذا أصاب الناس منا خصب ورخاء وعافية في الأبدان والأموال، فرحوا بذلك، وإن تصبهم منا شدّة من جدب وقحط وبلاء في الأموال والأبدان (بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ) يقول: بما أسلفوا من سيئ الأعمال بينهم وبين الله، وركبوا من المعاصي (إِذَا هُمْ يَقْنطُونَ) يقول: إذا هم ييأسون من الفرج، والقنوط: هو الإياس"[3].

---

[1] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (11/ 359)

[2] البغوي، معالم التنزيل (2/ 124)

[3] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (20/ 102)

قال الواحدي: " ذكر بطرهم عند النعمة، ويأسهم عند الشدة بقوله: {وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا} يعني: فرح البطر وترك الشكر، {وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ} شدة وبلاء، {بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ} بما عملوا من السيئات، {إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ} قنطوا من رحمة الله، وهذا خلاف وصف المؤمن، فإنه يشكر عند النعمة، ويرجو ربه عند الشدة"[1]. ففرحهم فرح بطر وأشر.

5- قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَـٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ﴿٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَـٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴿١٠﴾﴾[هود: 9-10]..

قال الماتريدي: "الفرح: البطر يبطر في حال السعة والرخاء؛ كقوله: (إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ) والفرح قد يبلغ كفرًا، ويكون الفرح سرورا ولا يكون كفرًا، {فخور}: يفتخر على الفقراء بالمال الذي أعطي، أو يفتخر على الأنبياء والرسل بالتكذيب، وكذلك كان عادة رؤسائهم أنهم كانوا ذوي مال وسعة، فلا بد يرون الرسالة تكون فيمن دونهم في المال والسعة"[2].

الدروس والقيم التربوية المستفادة:

- الفرح بالدنيا إلى حدّ الانغماس يؤدي إلى الغفلة، ويوصل إلى البطر الذي يقود إلى الكِبر والتفاخر، واتباع الهوى، وهذا أول طريق التهلكة.
- المؤمن يفرح بكل ما يصيبه، لأنه يعلم أن ما أصابه هو خير له، فإن أصابه رزق أو عافية فشكرَ فهو خير له، وإن أصابه ضر أو كرب فصبر فهو خير له.
- المؤمن يرد الفضل والنعمة إلى الله تعالى، ولا ينسبها إلى نفسه، فيشكر اللهَ على كل نعمة ولو كانت قليلة، فهو يقابل النعم بالشكر والحمد، وفعل الصالحات، التي يحبها الله تعالى.

[1] الواحدي، الوسيط في تفسير القرآن المجيد (3/ 434)

[2] الماتريدي، تأويلات أهل السنة (6/ 103)

- المؤمن شديد التعلق بالله تعالى، متمسك بحله المتين، ولا يكون شديد التعلق بالدنيا الفانية، مهما كثرت زينتها، ولا تلهيه ملذاتها عن ذكر الله تعالى وعبادته، بل هو دائم الصلة بالله سبحانه.
- المؤمن يعبد الله تعالى في الرخاء والشدة، واليسر والعسر، والمنشط والمكره، دائم اللجوء والتضرع إليه، وليس فقط عند الضرورة والحاجة والكرب والبلاء.
- ليس كثرة النِّعم دليل على حب الله تعالى، بل ربما تكون استدراجًا إذا لم يحسن الإنسان استخدامها، ولم يستعن بها على طاعة الله تعالى، ولم يردّ الفضل إليه سبحانه، فليحذر أهل الغنى والسعة من نسيان حق الله تعالى في هذه النِّعَم.
- المؤمن يعلم أنّ الفرح المذموم المؤدي للبطر سبب في تبديل النِّعَم، ونزول المصائب، لذلك لا تجده منهمكًا في التعلق بالدنيا، وعلم كذلك أنّه كلما قَلَّ تعلقه بها كان قلبه عامرًا بالإيمان، ونفسه زكيةً، وحياته طيّبةً، وعيشه هنيئًا.
- الفرح الحقيقي إنما يكون بتوفيق الله عز وجل وبفضله، من تحصيل علم، وحفظ القرآن، والعمل بالسنة، وتوبة صادقة، وصلة أرحام، وقضاء حوائج الناس، وتربية الأبناء على المنهج الصحيح والأدب الرفيع، والمعاملة الحسنة، وغير ذلك من الأعمال الصالحات.
- يستطيع المؤمن أن يصنع أفراحاً كثيرة كل يوم، ويستطيع أن يكون ماهراً في هذه الصنعة، وهذا ما نحتاجه في هذه الزمان، أن نتنافس على صناعة الأفراح، حتى تكون لغة فيما بيننا من خلال تسابقنا إلى الله تعالى، والعمل في طاعته، والمسارعة في الخيرات. فكلما ازداد المؤمن طاعة زاد فرحًا بما عند الله تعالى من الأجر والثواب والحياة الطيبة.

المطلب الثالث: فرح الكافرين بتحزبهم وكتمان العلم وتحريفه

وردت ثلاث آيات في بيان هذا الأمر، حيث تفرّقوا وكانوا أحزابًا، كل فرقة وحزب فرحون مسرورون بما اختاروه لأنفسهم من الدين، ويعتقدون أنهم وحدهم هم الذين على صواب، والباقون على ضلال.

الآية الأولى: قوله تعالى: ﴿ فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ زُبُرٗاۖ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ ٥٣﴾[المؤمنون: 53]..

الآية الثانية: قوله تعالى: ﴿ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗاۖ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ ٣٢﴾[الروم:32].

الآية الثالثة: قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ٨٣﴾[غافر: 83].

قال الطبري في قوله تعالى: ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗاۖ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ ٣٢﴾[المؤمنون: 53] " فتأويل الكلام: فتفرّق الذين أمرهم الله بلزوم دينه من الأمم دينهم بينهم كتبًا كما بيَّنا قبل. وقوله: (كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ) يقول: كل فريق من تلك الأمم، بما اختاروه لأنفسهم من الدين والكتب، فرحون معجبون به، لا يرون أن الحقّ سواه "[1].

وقال في تفسير آية سورة الروم: ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗاۖ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ ٣٢﴾[الروم: 32] "وقوله: (كُلُّ حِزْبٍ بمَا لَديْهِمْ فَرِحُونَ) يقول: كل طائفة وفرقة من هؤلاء الذين فارقوا دينهم الحقّ، فأحدثوا البدع التي أحدثوا (بِمَا لَديْهم فَرِحُونَ) يقول: بما هم به متمسكون من المذهب، فرحون مسرورون، يحسبون أن الصواب معهم دون غيرهم "[2].

وقال في تفسير آية سورة غافر: "يقول تعالى ذكره: فلما جاءت هؤلاء الأمم الذين من قبل قريش المكذّبة رسلها رُسُلُهُمْ الذين أرسلهم الله إليهم بالبيّنات، يعني: بالواضحات من حجج عزّ وجلّ {فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ} يقول: فرحوا جهلا منهم بما عندهم من العلم وقالوا: لن نُبْعَثَ، ولن يُعذّبنا الله"[3].

[1] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (19/ 42)

[2] المرجع السابق (20/ 101)

[3] المرجع السابق (21/ 422)

ولذلك عاب الله تعالى على أولئك الذين فرّقوا دينهم وفارقوه، وكانوا شيعًا وأحزابًا وفِرَقًا متناحرة ومبتدعة، فقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ إِنَّمَآ أَمۡرُهُمۡ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ١٥٩﴾[الأنعام: 159]، فالنبي صلى الله عليه وسلم بريء ممن فارق دينه، وابتدع، وكم نحن بحاجة إلى الوحدة الدينية، والرجوع إلى القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة، والاجتماع لأجل ذلك، يدًا واحدة، دون تفرّق وتمزّق وتشرذم.

الدروس والقيم التربوية المستفادة:

- الكفار أحزاب وفِرق متناحرة، كلُّ فرقة تدّعي أنها أعلم من غيرها، وأنها هي الوحيدة التي تسلك السبيل الصحيح، وتتهم غيرها من الطوائف والفِرَق بالضلال والابتداع.
- على المسلمين أن يتحدّوا ويجتمعوا على القرآن والسنة، ويعتصموا بهما، لأن الاعتصام بهما نجاة وهداية وعصمة من الزلل والابتداع والتشرذم.
- قوة المؤمنين في وحدتهم، وتمسكهم بدين الإسلام، ومن دون ذلك فالضعف والتناحر والتشكيك والاتهام والتفسيق والتبديع ثم الهزيمة والسقوط، وهذا مراد أعداء ملة الإسلام، فإنهم يريدون أن تكون أمة الإسلام متناحرة متباغضة، لا تقوى الدفاع عن بيضتها ومقدساتها وحرماتها، وقد ذهبت ريحها في انشغالها بأمور تافهة جانبية.
- واجب المرحلة أن تجتمع كل الأطراف والجماعات والحركات الإسلامية على كلمة واحدة، تعيد للأمة عزّها، وتبني مجدها، وتحصّن نفسها، وتلملم جسدها الممزّق، وتوحّد قلبها المفرّق، وتنهض من جديد.

المطلب الرابع: استبشار وفرح الكفار عند ذكر الأصنام

قال تعالى: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُ ٱشۡمَأَزَّتۡ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ٤٥﴾[الزمر:45]

الشَّمْز: التقبض. اشمأز اشمئزازًا: انقبض واجتمع بعضه إلى بعض[1]؛ والشمز: "نفور النفس من الشيء تكرهه"[2]. وتشمز وجهه، أي تمعر، واشمأز: اقشعر، وذعر من الشيء، واشمأز الشيء: كرهه، "والمشمئز: النافر، وهو: الكاره للشيء... المذعور"[3]. "واشمأزت: نفرت"[4]. فالاشمئزاز يعني انقباض النفس لكراهية الشيء، ونفورها منه، وتمعر الوجه لذلك وتغيره. ولم ترد هذه الكلمة إلا في هذا الموضع من القرآن الكريم، لدلالة انفعالية، في مبنى الماضي، ليدل على التجدد والحدوث.

والآية تبين نفور الكفار وتمعّر وجوههم، وذعرهم وإرباكهم، وانقباض نفوسهم، وكرههم لاسم الله تعالى وذكره، وذكر ألوهيته وربوبيته وتوحيده، وهذا ناتج عن شدة استكبارهم وقسوة قلوبهم، بينما إذا ذُكرت الأصنام أو أهل الكفر فإن نفوسهم ترتاح ويظهر ذلك على تقاسيم وجوههم استبشارًا وفرحًا وابتهاجًا. وهذه الآية تشبه قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَـٰرِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾﴾[الإسراء:46]، وقوله سبحانه: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَـٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَـٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ﴿٦٠﴾﴾[الفرقان:60].

والتعبير بالاشمئزاز والاستبشار، يشعر بأنهم قد بلغوا الغاية في الأمرين، فهم عند ذكر الله –تعالى– تمتلئ قلوبهم إلى نهايتها غمًا وهمًا وانقباضًا وذعرًا. وعند ذكر أصنامهم تمتلئ قلوبهم إلى نهايتها –أيضا– بهجة وسرورًا حتى تظهر آثار ذلك على بشرتهم... وحالهم هذا يدل على أنهم قد بلغوا الغاية –أيضًا– في الجهالة والسفاهة والغفلة[5].

وهذا الذي ذكرتْه الآية مُشاهد عند كثير من الناس في وقتنا الحاضر، فإذا حدثتهم عن سماحة الإسلام، وعظيم تشريعاته، وأنها صالحة ومُصلحة لكل زمان ومكان، وأنها شاملة، وكاملة، وسهلة، وميسّرة وواضحة،

---

[1] انظر: ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم (12/8)، ابن منظور، لسان العرب (362/5)

[2] الأزهري، تهذيب اللغة (210/11)

[3] الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس (180/15)

[4] الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن (ص: 464)، الفيروزآبادي، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (344/3)

[5] طنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم (231/12)

ليس فيها تعقيدات ولا صعوبات في التطبيق العملي وغير ذلك انقبضت نفوسهم، ونفرت قلوبهم، وتلوّنت وجوههم، وعلاهم غمٌ وحزنٌ وغيظٌ، بينما إذا سمعوا حديثًا عن قوانين وضعية، وتشريعات بشرية، ونظُم إنسانية، وضعتها جمعيات أو سنّتها برلمانات، أو شرعتها جهات معينة – مع قصورها وعدم شموليتها – كان البِشر والفرح في وجوههم، والابتهاج باديًا سرورًا وتهلّلًا وانبساطًا.

ولقد قيل: إذا اشمأز القلب من عظم غمه وغيظه انقبض الروح إلى داخله فيظهر على الوجه أثر ذلك مثل الغبرة والظلمة، وإذا استبشر امتلأ القلب سرورًا حتى يظهر على الوجه فيتهلل[1]. فهذا المشهد يُظهر انفعالاتهم النفسية، ويبين حالتهم القبيحة، حيث يشعرون بالغيظ والنفور والانقباض مرة عند ذكر الله تعالى، ومرة يشعرون بالفرح شعورًا تنبسط له أسارير وجوههم، متهللين مستبشرين بذكر غير الله تعالى. ومقابلة الاشمئزاز بالاستبشار في هذه الآية يُعدّ مطابقة كاملة، لأن الاشمئزاز غاية الكراهية، والاستبشار غاية الفرح.

الدروس والقيم التربوية المستفادة:

- المؤمن يُعظّم الله تعالى ويوقره، ويبتهج عند ذكره سبحانه، وتطمئن نفسه، وينشرح صدره، ويتهلل وجهه، ويستبشر ويفرح لذلك.
- على المؤمن ألا يجالس إلا الأتقياء، الذي يستبشرون عند ذكر الله تعالى، ويحذر من مجالسة الذين تتمعّر وجوههم وتشمئز نفوسهم وتنقبض قلوبهم عند ذكر الله تعالى.

المطلب الخامس: فرح المنافقين

أولًا: يفرحون بتخلفهم عن القتال

قال تعالى: ﴿ فَرِحَ ٱلۡمُخَلَّفُونَ بِمَقۡعَدِهِمۡ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلۡحَرِّۗ قُلۡ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّٗاۚ لَّوۡ كَانُواْ يَفۡقَهُونَ ٨١ ﴾[التوبة:81]

[1] انظر: الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل (59/4)

هذه الآية تبيّن انفعال الفرح عند المنافقين لتخلفهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، في غزوة تبوك[1]، "وهم بضع وثمانون رجلًا منهم من اعتل بالعسرة وبغير ذلك"[2]، حيث فرحوا بعدم الخروج والمشاركة في الغزوة، وخالفوا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنفير، وكرهوا أن يجاهدوا في سبيل الله بالمال والنفس، ومالوا إلى الدعة والخفض والراحة، وآثروا القعود على الخروج بحجة الحر الشديد والسفر البعيد، ورضوا أن يقعدوا ويلزموا بيوتهم في لهبان الحر ووهج الشمس، فرحين بلذة بدنية عاجلة، يقدّمون فرحة آنية سرعان ما تنقضي وتفنى، على فرحة أبدية باقية، ولذلك ختمت الآية بتوبيخ وذم لهم لأنهم لو كانوا يفقهون لما فعلوا ذلك، لأن النار أشد حرًا، وهي النار الحامية، والحريق العظيم، الذي يُعذبون فيه بسبب تخلفهم وقعودهم عن معسكر المؤمنين، فالذي هو أشد حراً، يجب أن يتقى، وأتبعت هذه الآية بتوبيخ وإنكار وتهديد: ﴿ فَلۡيَضۡحَكُواْ قَلِيلٗا وَلۡيَبۡكُواْ كَثِيرٗا جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ٨٢﴾[التوبة:82]، وهذا اللفظ ليس أمرًا بالضحك المعروف، ولكن المراد منه التوبيخ والتهديد والوعيد[3]، وإن خرج مخرج الأمر، لأنهم ضحكوا وفرحوا –لترك الجهاد– وهذا الضحك والفرح هو لذة عابرة، لوقت محدود قصير، فسيبكون كثيرًا بسبب معصيتهم لأمر الله تعالى وتخلفهم عن رسوله صلى الله عليه وسلم. فليضحكوا فَرِحين في هذه الدنيا قليلًا –لأن الدنيا تفنى وتنقطع– وليستهزئوا كعادتهم بالمؤمنين، فسينقلب فرحهم إلى حزن كبير، وضحكهم إلى بكاء كثير، سيبكون ندمًا وحسرةً في جهنم دهرًا طويلًا، بكاء لا ينقطع، جزاء وعقوبة لهم على معصيتهم، بتركهم النفر إذ استنفروا إلى عدوّهم، وقعودهم في منازلهم خلافَ رسول الله صلى الله عليه وسلم[4]. والجزاء من جنس العمل، ضحك قليل يعقبه بكاء لأمد بعيد.

---

[1] انظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (399/14)، ابن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم (1854/6)، البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن (374/2)

[2] مقاتل، تفسير مقاتل بن سليمان (187/2)

[3] انظر: الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (463/2)، السمرقندي، بحر العلوم (78/2)، الماوردي، النكت والعيون (387/2)، الواحدي، الوسيط في تفسير القرآن المجيد (516/2)، ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (65/3)، ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير (285/2)، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (216/8)، أبو حيان، البحر المحيط في التفسير (473/5)، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (191/4)

[4] انظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (401/14)، السمرقندي، بحر العلوم (78/2)، السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص: 346)

قال أبو حيان: "ولفظة {المُخَلَّفُون} تقتضي الذم والتحقير"[1]. ويا له من وصف! و{المُخَلَّفُون} جمع مخلّف، وهو الذي بقي خلف القوم، وتُرك وراءهم، وكأنه بهذا هو المتروك لا التّارك، وفي هذا إشارة إلى تحقيرهم وذمّهم وتركهم، وأنهم مخلَّفون، قد تركهم المجاهدون وراءهم، كأنهم متاع يُهمل، لأنهم لا يستحقوا أن ينالوا شرف الجهاد، لأن جهاد الأعداء يسبقه جهاد النفس، وهؤلاء المنافقون يلتمسون الأعذار، ويحرصون على الراحة البليدة، ضعاف الهمة، قلوبهم خاوية من الإيمان، أيديهم ممسكة عن الإنفاق، بل تمتاز بالشح والبخل، رضوا بالقعود مع الخوالف، واثّاقلوا إلى الأرض، وحسبوا أن السلامة في ذلك كله، وفرحوا به، وضحكوا فيما بينهم، فكان تخلفهم سقوطًا مدويًا من جوانب متعددة؛ سقوطًا دعويًا وأخلاقيًا وإنسانيًا، أبان وجههم القبيح، وأظهر زيف انتمائهم، فلا يصلحون لكفاح، ولا يُرجون للجهاد، فلا يستحقوا بعد هذا أن ينتسبوا للصفوف المتراصة الزاحفة نحو المجد والعلا، ولا أن ينتسبوا لقائمة البطولة، التي قوامها الرجال الطاهرة قلوبهم، والنقية سرائرهم، الندية أكفهم، الرخيصة أرواحهم وأموالهم في سبيل الله تعالى.

الدروس والقيم التربوية المستفادة:

- بيّنت الآية الكريمة أن المنافقين جمعوا كثيرًا من خصال الشر، ومن ذلك: فرحهم بالتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكراهتهم الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبخلهم بأموالهم في سبيل الدعوة وإنجاح برامجها ومخططاتها، وصدهم الناس عن الجهاد في سبيل الله تعالى، وتثبيطهم لغيرهم في عدم الخروج بحجة الحر الشديد، وعدم فقههم وقلة تدبرهم، وسوء فهمهم وتدبيرهم للأمور، وهذه أمور خطيرة فيها مخالفة لأمر الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، وفيها تصرفات تعتبر خيانة لله والرسول صلى الله عليه وسلم، لأجل ذلك استحقوا الوعيد والتهديد.

[1] أبو حيان، البحر المحيط في التفسير (473/5)

ثانيًا: يفرحون بإصابة المؤمنين بأي سيئة كانت

قال تعالى: ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا ۗ إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾﴾[آل عمران:120].

هذه الآية تبيّن خبث المنافقين ومرض قلوبهم، وسوء طويتهم، ومدى عداوتهم للمؤمنين، وتكشف ما في صدورهم من غلّ وحقد على المؤمنين، فإذا نال المؤمنون خيرًا، وحازوا فوزًا ونصرًا، وعلا شأنهم، وازدادوا قوة وعدة وعددًا وعتادًا، وظفروا بعدوهم وظهروا عليهم، أو حصل لهم خصب ورخاء أو أي نعمة ومنفعة أخرى أساءهم ذلك، وإن أصابت المؤمنين مصيبة، أو نكبة، أو شِدّة، أو محنة، أو ضرر، أو بلاء، أو اختلفوا في أمر وتفرقوا فيه، أو أخفقوا في سرية، أو ظفر العدو منهم بشيء كالقتل والهزيمة فرحوا بذلك فرحًا كبيرًا.

وفرحهم هذا انفعال نفسي جماعي، يشعر به المنافقون كلهم جميعًا، حيث تغمرهم الفرحة، ويعيشون لحظة النصر، ويبتهجون ابتهاجًا عظيمًا، يعبرون عما في داخلهم من النشوة واللذة والسرور والانبساط.

فمن كانت هذه صفته من شدة العداوة والحقد والفرح بنزول الشدائد على المؤمنين وإصابتهم بالمحن، لم يكن أهلًا لأن يتخذ بطانة، لا سيما في هذا الأمر الجسيم من الجهاد الذي هو ملاك الدنيا والآخرة، ولقد أحسن القائل في قوله: كل العداوة قد ترجى إفاقتها... إلا عداوة من عاداك من حسد[1].

وحالهم هذا دالّ على شدة العداوة للمؤمنين وكراهيتهم لهم وغيظهم منهم، حتى تناهت العداوة إلى الحسد والتشفي، ومجيء لفظة الفرح في مبنى المضارع {يَفْرَحُوا} يدل على استمرارية هذا الفعل وتجدده على الدوام، فما دامت هناك نكبة بالمؤمنين أو محنة، أو ضرر، فإنهم يفرحون بذلك، وهذا يشير إلى نفوسهم الأمارة بالسوء، فهذه النفوس تتلذذ بمصائب وكوارث المؤمنين.

[1] انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (183/4)

الدروس والقيم التربوية المستفادة:

- ضخامة الحملة الشنيعة التي تحمل الحقد والحسد والبغضاء تجاه المؤمنين من بدايات الدعوة، والعمل على زوالها.
- تنوع الأساليب والوسائل لإضعاف المؤمنين وزعزعة عقيدتهم وخلخلة صفهم وتمزيق وحدتهم.
- الواجب على المؤمنين الصبر على أذى المنافقين وغيرهم، فعاقبة الصبر إلى خير وفرج.
- التوكل على الله تعالى والاعتصام به لدفع كيد المنافقين، فمن توكل عليه كفاه، ودفع عنه كيد عدوه وأذاه، والله حسبه ونعم الوكيل والنصير.
- دوام التقوى، لأن معية الله تعالى محيطة بالمتقين، والله يجعل لهم من كل هم وغم فرجًا، ومن كل كرب وضيق مخرجًا.
- رص الصفوف وتوحيد الجهود لبناء الجماعة المسلمة بناء محكمًا حتى لا يتم اختراقها من أي جهة كانت.
- المؤمن يفقه دقة تعبير القرآن الكريم حينما عبّر بالمس عن الحسنة، وبالمصيبة عن السيئة، فأقل حسنة يحوزها المسلمون تغيظهم وتسوؤهم، وأكبر مصيبة وأشدها وأفدحها تنزل بالمسلمين تفرحهم، مع أن الكوارث والدواهي إذا نزلت بساحة قوم فإنّ هذا يستوجب رحمتهم ومواساتهم والوقوف إلى جانبهم ومد يد العون والإغاثة لهم، وخاصة إذا كانت فادحة وشديدة وكبيرة، إلا المنافقين الذين لا يحملون خيرًا ولا برًا ولا رحمة في قلوبهم، لأن قلوبهم امتلأت تشفيًا وحنقًا وغيظًا وسوءًا وعداوة.

المطلب السادس: أحد أسباب عذاب أهل النار الفرح بغير الحق والمرح

قال تعالى: ﴿ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾﴾[غافر:75]

هذا الخطاب موجه لأهل النار، يتضمن التبكيت والتأنيب والتقريع والتوبيخ، زيادة على ما هم عليه من الأسى والحزن والعذاب والذلة والمهانة، وأن كل هذا العذاب الذي هم فيه بسبب فرحهم الذي كانوا يفرحونه

في الدنيا بالمعاصي والباطل ويرضون به، وبسبب مرحهم الذي هو الأشر والبطر والاستهزاء والخيلاء والتكبر، وأكثر ما يكون المرح أثناء المشي، ولذلك جاء النهي عنه في آيتين؛ قال تعالى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾﴾[الإسراء:37]، وقال تعالى:﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾﴾[لقمان:18]، والمرح هو: "شدة الفرح حتى يجاوز قدره"[1]، والتوسع فيه[2]، وكذلك هو شدة النشاط، "وفرس مِمْراح ومَروح، أي نشيط"[3]. "والمرح التبختر والاختيال، (وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا) أي متبخترًا مختالًا، والمرح الأشر والبطر"[4]. والممراح من الأرض: "السريعة النبات حين يصيبها المطر"[5]، ومرحت العين مرحانًا: "اشتد سيلانها"[6]. وهذه المعاني تدل على النشاط الزائد عن الفرح، والسرعة فيه.

وبناء على ما سبق فإن المرح انفعال نفسي شديد، كان يتميّز به أهل النار في الدنيا، يُعبّر به عن الفرح الشديد الذي يغمر صاحبه، وقد ينعكس عليه بالإعجاب بالنفس والغرور فيوصله إلى الخيلاء والاختيال والتكبر على الآخرين، والنشاط والسرعة في معاداة[7] الدين وأهله من المؤمنين، وعبادة الأوثان والأصنام، والصد عن سبيل الله تعالى، فكانت عاقبتهم إلى الخسران المبين، والعذاب المهين. إنها المهانة التي سببها التكبر، وهذا التصغير والتحقير سببه الاختيال الأجوف، أنه مشهد الذل الكبير الذي كانت بداياته في الدنيا وأساسه الأنفة والكبر والفخر النافخ في الصدور.

فالفرح المذكور في الآية هو الفرح الممقوت المذموم الموجب للعقاب والعذاب، لأنه فرح بالباطل، وفرح بعلوم جاءت مخالفة لعلوم الرسل، وكانوا يمرحون على عباد الله، بغيًا وعدوانًا، وظلمًا، وعصيانًا، كما قال تعالى

---

[1] الفراهيدي، كتاب العين (225/3)، الأزهري، تهذيب اللغة (34/5)،

[2] الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس (113/7)

[3] الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (404/1)

[4] ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم (341/3)

[5] ابن منظور، لسان العرب (592/2)، الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس (115/7)

[6] ابن منظور، لسان العرب (592/2)

[7] وقد جاء في معنى المرح: العدوان. انظر: الماوردي، النكت والعيون (165/5)، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (333/15)

في آخر هذه السورة: ﴿ فَلَمَّا جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ٨٣ ﴾[غافر:83]. قال القاسمي: "وبين (الفرح) و(المرح) تجنيس بديع"[1].

الدروس والقيم التربوية المستفادة:

- المرح يقود صاحبه للغرور والخيلاء والعجب والتكبر، وبالتالي إلى الفسق والعصيان والتمرد على أمر الله تعالى، وإلى الفجور والتكذيب، وهذه الصفات توصل أهلها إلى أبواب النار يوم القيامة، ثم يُلقون فيها، وتكبهم الملائكة فيها كبًا على وجوههم، وأنوفهم.
- المؤمن يفرح بطاعة الله تعالى، ولا يفرح بمعصيته، ومع فرحه العام فإنه لا يصل إلى درجة المرح، لأن المرح لا يكون إلا في الباطل، ولأنه مذموم، يحمل صاحبه على التكبر، واحتقار الناس، وخاصة الضعفاء والفقراء.
- المؤمن يكون سعيدًا مسرورًا حينما يُدخل الفرح إلى قلوب الناس، من خلال دعوتهم وهدايتهم وإرشادهم وتوجيههم وإسعادهم وقضاء حوائجهم، وليس كل من ملك الأموال والكنوز هو السعيد، وليست السعادة بكفران النعم، أو نسيان فضله جل وعلا، ولكن من تقرب إلى الله تعالى –بمال أو غيره– فهو السعيد حقًا وصدقًا.
- المؤمن يعلم أن قيمته عند الله تعالى بصدق توجهه، وإخلاص قوله وعمله، وإحسانه إلى عباد الله سبحانه، وليست قيمته بما يملك من أموال وكنوز وعقارات وشركات.

[1] القاسمي، محاسن التأويل (320/8)

الفصل الحادي عشر

انفعال الكُره عند الكافرين في القرآن الكريم

المبحث الأول: معنى الكُره ودلالاته في السياق القرآني

المطلب الأول: الكُره في اللغة

قال ابن فارس: "(كره) الكاف والراء والهاء أصل صحيح واحد، يدل على خلاف الرضا والمحبة"[1]، يقال: "كرهت الشيء كَرْهًا وكُرْهًا وَكراهة وكراهية"[2]، "وتكرهت الشيء تكرهًا، إذا تسخطتَه"[3]. وكرهت إليه الشيء تكريهًا: نقيض حببته إليه[4]، والكَريهة: الشدَّة في الحرب[5]. "وذو الكَريهة: السيف الماضي في الضريبة"[6]، "والكَرْه: الجمل الشديد الرأس، كأنه يكره الانقياد"[7]. قال ابن سيده: "الكَرْهُ: الإباء والمشقة تكلفها فتحتملها، والكُرْهُ: الْمَشَقَّة تحتملها من غير أَن تكلفها"[8].

يظهر مما سبق من أقوال أهل اللغة أن الكره يدور معناه حول خلاف الرضا والحب، والأمر الشاق العسير على النفس الذي يوصلها إلى المشقة والشدة.

المطلب الثاني: الكُره في الاصطلاح

قال الأصفهاني: "قيل: الْكَرْهُ والْكُرْهُ واحد، نحو: الضَّعف والضُّعف، وقيل: الكَرْهُ: المشقّة التي تنال الإنسان من خارج فيما يحمل عليه بِإِكْرَاهٍ، والكُرْهُ: ما يناله من ذاته وهو يعافه، وذلك على ضربين: أحدهما: ما

---

[1] ابن فارس، مقاييس اللغة، (172/5)

[2] الأزهري، تهذيب اللغة (11/6)

[3] ابن دريد، جمهرة اللغة (801/2)

[4] انظر: الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (2247/6)، الرازي، مختار الصحاح (ص: 269)، ابن منظور، لسان العرب (535/13)

[5] انظر: الرازي، مختار الصحاح (ص: 269)، الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير (532/2)

[6] الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (2247/6)

[7] ابن فارس، مقاييس اللغة، (173/5)

[8] ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم (136/4)

يعاف من حيث الطّبع. والثاني: ما يعاف من حيث العقل أو الشّرع، ولهذا يصحّ أن يقول الإنسان في الشيء الواحد: إني أريده وأَكْرَهُهُ، بمعنى أنّي أريده من حيث الطّبع، وأكرهه من حيث العقل أو الشّرع، أو أريده من حيث العقل أو الشّرع، وأَكْرَهُهُ من حيث الطّبع"[1].

قال ابن عاشور: "والكُرْه بضم الكاف: الكراهية ونفرة الطبع من الشيء ومثله الكَره بالفتح على الأصح، وقيل: الكره بالضم المشقة ونفرة الطبع، وبالفتح هو الإكراه وما يأتي على الإنسان من جهة غيره من الجبر على فعل ما بأذى أو مشقة"[2]. ومن الفروق أيضًا بين معنى كَرْه وكُرْه كما يدلُّ عليه الاستعمال القرآني أن (كَره) يستعمل في مقام الدلالة على المعاناة النفسية أما (كُرْه) فللدلالة على المعاناة الجسميّة والنفسيّة معًا[3].

يظهر مما سبق أن الكره في الاصطلاح معناه قريب من المعنى اللغوي؛ إذ يدور حول نفرة الطبع، والمشقة التي تنال الإنسان من الخارج، وينفره من الداخل.

من التعريفين –اللغوي والاصطلاحي– يتبين أن الكره انفعال نفسي شديد، يدل على خلاف الرضا والمحبة، ويحدث بسبب نفرة الطبع، وتسخط في النفس ومشقة شديدة لأجل أمور داخلية أو خارجية.

المطلب الثالث: الكُره في السياق القرآني

وردت مادة (كره) كثيرًا في القرآن الكريم، حيث بلغ مجموع الصيغ (41) مرة[4]، فقد جاء بصيغة الفعل الماضي (17) مرة، وبصيغة الفعل المضارع (6) مرات، وبصيغة المصدر (10) مرات، وبصيغة اسم الفاعل (7) مرات، وبصيغة المفعول مرة واحدة. من مجموع هذه الصِيَغ (17) مرة تبيّن انفعال الكافرين والمنافقين.

---

[1] الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن (ص: 707)، وانظر: الفيروزآبادي، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (346/4)

[2] ابن عاشور، التحرير والتنوير (320/2)

[3] انظر: المطعمي، عبد العظيم إبراهيم، دراسات جديدة في إعجاز القرآن، ص42، ط1، مكتبة وهبة، القاهرة، 1996م

[4] انظر: عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ص 603، جلغوم، المعجم المفهرس الشامل لألفاظ القرآن الكريم ص 1020

المطلب الرابع: الكُره عند علماء النفس

الكره انفعال مضاد لانفعال الحب، وهو عبارة عن شعور بعدم الاستحسان، وعدم التقبل، أو الشعور بالنفور والاشمئزاز، وبرغبة في الابتعاد عن الموضوعات التي تثير هذا الشعور، سواء كانت أشخاصًا أو أشياء أو أفعالًا[1].

قال ديكارت: "جميع الانفعالات يمكن أن تثار في نفوسنا دون أن نعي... وحين نتصور الأمر سيئًا أو مضرًا فإن هذا يثير فينا الكره[2].

فالكره انفعال نفسي يدل على خلاف الرضا والحب، وهو انعكاس سلوكي وشعور داخلي بالبغض والكراهية تجاه الآخر.

[1] انظر: نجاتي، محمد عثمان، القرآن وعلم النفس ص96

[2] ديكارت، انفعالات النفس ص47

المبحث الثاني: مظاهر الكُره عند الكافرين في السياق القرآني

المطلب الأول: كراهة قوم نوح عليه السلام لرسالته ونبوته

قال تعالى: ﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتۡ عَلَيۡكُمۡ أَنُلۡزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمۡ لَهَا كَٰرِهُونَ ٢٨ ﴾[هود:28]

هذه الآية تظهر كراهة قوم نوح لرسالته ونبوته وشريعته، ومن شدة كراهيتهم لها فإنهم لها منكرون، وعنها معرضون، لأن من كره شيئًا أعرض عنه، فكيف يُجبرون على قبولها والالتزام بها من قِبل المؤمنين، ومعلوم أنه لا إكراه في الدين، إذ لا يصح قبولهم لها مع الكراهة والبغض، والإيمان لا يصح إلا عن رضا وقبول وقناعة من داخل الإنسان. فالاستفهام للإنكار[1] والنفي[2]. قال المراغي: "وهذا أول نصّ في دين الله على أنه لا ينبغي أن يكون الإيمان بالإكراه"[3]. ذلكم لأن دين الأنبياء جميعًا هو الإسلام، ومعلوم أن الدخول في الإسلام إنما عن قناعة وحب، وليس عن إجبار وإكراه، والله تعالى يقول: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾[البقرة:256].

إن قوم نوح عليه السلام كانوا يكرهون دعوته، ولا يطيقون سماع أي شيء منه، رغم طول الفترة التي قضاها في دعوته لهم، وكثرة نصحه لهم، إلا أنهم كانوا ينفرون منه، ويصدون عنه، ويكرهون لقاءه، ولا يستمعون نصيحته، ويبغضون كلامه، فما انتفعوا بنصحه لهم، قال تعالى: ﴿وَلَا يَنفَعُكُمۡ نُصۡحِيٓ إِنۡ أَرَدتُّ أَنۡ أَنصَحَ لَكُمۡ ٣٤ ﴾[هود:34]

---

[1] القاسمي، محاسن التأويل (89/6)

[2] طنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم (193/7)

[3] المراغي، تفسير المراغي (27/12)

الدروس والقيم التربوية المستفادة:

- لا إكراه في اعتناق الإسلام، بل إن الدخول فيه يأتي من داخل الإنسان حبًا وطاعة واستجابة، ولا خير فيمن دخل الإسلام مكرهًا، إذ يتظاهر بالإسلام ويخفي الكفر، فينافق.
- قد يكون من أقرب الناس إلى الدعاة ممن يكرهون الدعوة ولا يحبون الخير لها ولأصحابها، بل يبغضون حملتها والعاملين لها، والساعين لرفع رايتها، كالزوجات والأبناء، كما هو حاصل مع نبي الله نوح، إذ كانت زوجته وأحد أبنائه على ملة قومهم، وكانوا من جملة الكارهين لدعوته عليه السلام، فأصروا على الكفر، وآثروا أن يبقوا مع الكافرين، حتى كان مصيرهم مثل مصير من كفروا، حيث كانوا كارهين مبغضين للدعوة الربانية والرسالة السماوية، فلم يمنع كل ذلك نوحًا عليه السلام من مواصلة المسيرة، ونشر الدين بين الناس، وعرض الدعوة عليهم بأساليب مختلفة، وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، وقد يصادف الدعاة في بيوتهم كراهية للدعوة وحملتها من أقرب الناس إليهم، فلا يبتأسوا، ولا يتراجعوا، ولا يخضعوا لكل الضغوطات العائلية، ولا يلتفتوا إلى الوراء، وليمضوا على بركة الله تعالى، متوكلين عليه، يدعون الناس إلى الإسلام والالتزام بالمنهج الرباني العظيم، مع تكثيف الدعاء بالهداية لمن يخالفونهم من عائلاتهم وأهليهم.
- على الدعاة ألا ييأسوا من تذكير الناس ودعوتهم، ولو طالت المدة الزمنية عشرات السنين، ولهم في نبي الله نوح عليه السلام أسوة حسنة، فقد مكث يدعو قومه قرونًا طويلة، بلا كلل، ولا ملل، ولا يأس.
- على الدعاة أن يتفننوا في عرض الدعوة بأساليب متنوعة، وطرق شتى، وأن يقدموا النصيحة والموعظة والإرشادات بطرق حكيمة متعددة، تارة عن طريق الترغيب، وأخرى عن طريق الترهيب، وغيرها من الأساليب.

المطلب الثاني: كراهة إحقاق الحق وإبطال الباطل

أولًا: كراهة فرعون وقومه

قال تعالى: ﴿وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ٨٢﴾[يونس:82]

هذه الآية مقطع من مشهد التحدي والمواجهة بين موسى عليه السلام من جهة، وفرعون وسحرته من جهة أخرى، حيث أمر فرعون بإحضار أمهر السحرة وأعلمهم بالسحر لمواجهة موسى عليه السلام، لكي ينتصروا عليه أمام الجماهير الغفيرة التي ستحضر المواجهة في يوم الزينة المتفق عليه، فلما جاء السحرة واستعدوا للمواجهة وإلقاء ما بأيديهم، قال لهم موسى ألقوا ما تريدون إلقاءه، فلما ألقوا حبالهم وعصيّهم وسحروا أعين الناس الحاضرين المتواجدين هناك، قال لهم نبي الله موسى إن الذي جئتم به هو السحر، وهو من الإفساد في الأرض، والله تعالى سيبطل هذا السحر، لأنه سبحانه لا يحب المفسدين، ولا يصلح عملهم، وفعلًا هذا ما حصل حينما ألقى موسى عصاه أمام الكثير من عصي السحرة وحبالهم، فالتقفت ما كانوا يأفكون، فحق الله تعالى الحق، وأبطل الباطل، فظهر انفعال الكراهية على وجوه المجرمين؛ فرعون وملئه، وخاصة بعد رؤيتهم السحرة ساجدين، وقد أعلنوا أمام الجميع إسلامهم وإيمانهم بما جاء به موسى عليه السلام. قال تعالى: ﴿وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ ٱئۡتُونِي بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٖ ٧٩ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلۡقُواْ مَآ أَنتُم مُّلۡقُونَ ٨٠ فَلَمَّآ أَلۡقَوۡاْ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئۡتُم بِهِ ٱلسِّحۡرُۖ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبۡطِلُهُۥٓۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصۡلِحُ عَمَلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٨١ وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ٨٢﴾[يونس:82].

وإحقاق الحق هنا نصر موسى عليه السلام وإعلاء كلمته، وإبطال الباطل أي خذلان فرعون وقومه، وتلك هي خاتمة الصراع ونهاية المواجهة بين الحق والباطل على مدار التاريخ.

ثانيًا: كراهية كفار مكة

قال تعالى: ﴿لِيُحِقَّ ٱلۡحَقَّ وَيُبۡطِلَ ٱلۡبَٰطِلَ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ٨﴾[الأنفال:8].

في هذه الآية الشريفة يُخبر الله تعالى عن انفعال من انفعالات كفار مكة ومشركيها[1]، ألا وهو انفعال الكراهية ضد إحقاق الحق وهو الإسلام، لأنهم يريدون البقاء والاستمرار في الباطل وهو عبادة الأصنام والأوثان والآلهة التي اتخذوها من دون الله تعالى، فلما أعز الله تعالى المسلمين ونصرهم على الكافرين في غزوة بدر الكبرى، وكانت خسارتهم فادحة وكبيرة، فخابوا وذلوا ورجعوا إلى مكة يجرون ذيول الهزيمة وقد لحقهم العار والخزي، لذلك فإنهم من كثرة الانفعالات التي تزاحمت عليهم كالحزن والغضب والمقت والسخط والبغض والبكاء فقد برز انفعال الكراهية، فقد كرهوا الإسلام وانتشاره وانتصاره وإظهاره وإعلاء أمره، وإفناء الكفر ومحقه وإعدامه وإهلاكه، وخذلان الباطل الذي هو اتباع أمر الشيطان وعبادة الأوثان.

قال ابن عاشور: "والكراهة هنا كناية عن لوازمها وهي الاستعداد لمقاومة المراد من تلك الإرادة، فإن المشركين، بكثرة عَدَدهم وعُدَدِهم، يريدون إحقاق الباطل، وإرادة الله تنفذ بالرغم على كراهة المجرمين"[2].

ثالثًا: كراهة المنافقين لظهور أمر الله تعالى

قال تعالى: ﴿لَقَدِ ٱبۡتَغَوُاْ ٱلۡفِتۡنَةَ مِن قَبۡلُ وَقَلَّبُواْ لَكَ ٱلۡأُمُورَ حَتَّىٰ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَظَهَرَ أَمۡرُ ٱللَّهِ وَهُمۡ كَٰرِهُونَ﴾[التوبة:48]

في هذه الآية الشريفة يُخبر الله تعالى أن المنافقين يكرهون ظهور دين الله، وهو الإسلام[3]، وهو الدين الذي ارتضاه لخلقه، كما قال تعالى: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ ٣﴾[المائدة:3]، وافترضه عليهم، كما قال

---

[1] انظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (408/13)، الماتريدي، تأويلات أهل السنة (158/5)، السمرقندي، بحر العلوم (7/2)، الثعلبي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن (331/4)، الواحدي، الوسيط في تفسير القرآن المجيد (445/2)، الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (200/2)، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (370/7)

[2] ابن عاشور، التحرير والتنوير (273/9)

[3] انظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (283/14)، الماتريدي، تأويلات أهل السنة (383/5)، الماوردي، النكت والعيون (370/2)، البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن (355/2)، الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (277/2)، ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير (265/2)

سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ ﴿١٩﴾﴾[آل عمران:19]، وشرعه لهم، وأمر به، ولا يقبل من أحد غيره، كما قال جل وعلا: ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾[آل عمران:85].

إن المنافقين لما رأوا أن الله تعالى نصر نبيه صلى الله عليه سلم والمؤمنين وأظفرهم على عدوهم، وأعز دينه، وأيّد شرعه، وأعلى شأنه، أغاظهم ذلك، وملأ قلوبهم حقدًا وحسدًا وبغضًا، حتى بدت الكراهية على وجوههم، لأنهم كانوا حريصين على الكيد والمكر وإثارة الفتن، وقد دبّروا المكايد والحيل في إبطال أمر الدين، ودوّروا الأمور والآراء وقلبوها ضد شريعة الإسلام، وتآمروا عليه، وأرادوا إفساد الناس وصدهم حتى لا يدخلوا فيه ويعتنقوه، وعملوا ليلًا ونهارًا لإضعاف معسكره، وهزيمته وخذلانه، ولكن كان الخذلان من نصيبهم، فأحبط الله كيدهم، وأبطل مكرهم، فامتلأت قلوبهم غيظًا وكراهية.

رابعًا: كراهة إتمام نور الله تعالى وإظهار دينه

قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَيَأۡبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ﴾[التوبة:33-32]

وقال سبحانه: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴿٩﴾﴾[الصف:8-9]

في هذه الآيات يتكرر انفعال الكره عند الكافرين أربع مرات، حيث تظهر الحالة الانفعالية لدى أعداء الدين والإسلام، الذين يكرهون أن يتم الله نوره، ويتمنون ألّا يظهر وينتشر الإسلام بين الناس، ويعملون جادين حتى يُطفئوا هذا النور العظيم، وقوله سبحانه: {نُورَ اللَّهِ} يعني دين الإسلام[1]، فإنهم يريدون أن يطفئوا دين الإسلام بألسنتهم، ويصدوا الناس عنه، وأن يبطلوه بكلامهم، ولكن الله تعالى مُتم نوره وكلمته، وناصر دينه

[1] انظر: مقاتل، تفسير مقاتل بن سليمان (168/2)، الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (214/14)، الماتريدي، تأويلات أهل السنة (359/5)، السمرقندي، بحر العلوم (54/2)، الثعلبي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن (35/5)

الإسلام ومظهره على سائر الملل بالحجج والأدلة والبراهين والمعجزات، ولو كره ذلك الكافرون الجاحدون المكذّبون.

ويحتمل: "ليظهره على أهل الدِّين كله بالقهر والغلبة والإذلال، فقد كان، حق خضعوا له كلهم وذلوا، حتى لم يبق في جزيرة العرب مشرك ولا كافر إلا خضع له، وصار أهل الكتاب ذليلين صاغرين في أيدي المسلمين"[1]. والمقصود بقوله تعالى: {يُرِيدُونَ} هم أحبار اليهود ورهبان النصارى[2]. وهؤلاء يطلقون الأكاذيب والإشاعات من دون دليل ولا برهان على صدق كلامهم، يحاولون إطفاء نور الله تعالى، فقوله سبحانه: {بِأَفْوَاهِهِمْ} أي: بمجرَّد الدعوى من غير حجّة ولا برهان[3]. قال الشربيني: "وضع {الْمُشْرِكُونَ} موضع {الْكَافِرُونَ} للدلالة على أنهم ضموا الكفر بالرسول إلى الشرك بالله تعالى"[4].

قال سيد قطب: "إنما هم كذلك يعلنون الحرب على دين الحق ويريدون إطفاء نور الله في الأرض المتمثل في هذا الدين، وفي الدعوة التي تنطلق به في الأرض، وفي المنهج الذي يصوغ على وفقه حياة البشر.. {يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ}.. فهم محاربون لنور الله. سواء بما يطلقونه من أكاذيب ودسائس وفتن أو بما يحرضون به أتباعهم وأشياعهم على حرب هذا الدين وأهله، والوقوف سداً في وجهه –كما كان هو الواقع الذي تواجهه هذه النصوص وكما هو الواقع على مدار التاريخ "[5].

الدروس والقيم التربوية المستفادة:

- الصراع بين الحق والباطل قائم منذ القدم، ممتد عبر التاريخ، غائر في عمق الزمن، والناس فريقان في هذا الصراع؛ فريق إيمان لا نفاق فيه، وفريق كفر لا إيمان فيه، والله مع المؤمنين، مؤيدًا وناصرًا.

---

[1] الماتريدي، تأويلات أهل السنة (361/5)

[2] انظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (213/14)، السمرقندي، بحر العلوم (54/2)، مكي، الهداية إلى بلوغ النهاية (2974/4)، الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل (353/2)

[3] الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن (175/3)

[4] الشربيني، شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (ت: 977هـ)، السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، عام النشر: 1285هـ، مطبعة بولاق (الأميرية) –القاهرة، (606/1)

[5] قطب، في ظلال القرآن (1643/3)

- المؤمن رابط الجأش، قوي الشكيمة، حسن الظن بالله تعالى، يعلم أنه يركن إلى القوي المتين، ويستند إلى الحصن الحصين، الذي لا يُغلب، ولا يقهر.
- المؤمن شجاع ولو كان بمفرده، يقف في وجه الباطل، يتحدى الفساد، يقول كلمة الحق، ولا يخاف في الله لومة لائم، يأمر بالمعروف ويأتيه، وينهى عن المنكر ولا يأتيه.
- المؤمن يمضي في طريق الدعوة، لا يلتفت إلى الوراء، دائم التوكل على الله تعالى، لا يتحرك إلا في طاعته معتمدًا عليه، لأنه سبحانه هو حسبه ونعم الوكيل.
- المؤمن يعلم يقينًا أن نهاية الكافرين قريبة ومحتومة، لأن كلمة الله هي العليا، وأن كلمة الباطل هي السفلى والمهزومة.
- على الدعوات والهيئات والحركات الإسلامية أن تجتمع وتأتلف وتتعاون ويعضد بعضها بعضًا في مواجهة الكفر وأهله.

المطلب الثالث: كراهة الكافرين لعبادة الله وحده

قال تعالى: ﴿فَٱدۡعُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ١٤﴾[غافر:14]

قوله سبحانه: {فَادْعُوا} معناه: اعبدوا[1]، ووحّدوا[2].

بيّنت الآية كره الكافرين لعبادة المؤمنين وطاعاتهم لله تعالى، وكرههم لإخلاص المؤمنين في توحيد الله تعالى وعبادتهم له، وفي هذا المشهد يقول الله تعالى للنبي محمد صلى الله عليه وسلم ولأمته أن يعبدوه حق العبادة، وأن يخلصوا في عباداتهم وطاعاتهم له جل وعلا، غير مشركين به شيئًا، ولو كره الكافرون ذلك. والأمر هنا أن يُعبد الله سبحانه بالإخلاص، لأن الإخلاص عزيز، وهو قائد الأعمال الصالحة، وهو أساس القبول،

[1] انظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (362/21)، السمرقندي، بحر العلوم (200/3)، ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (550/4)، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (299/15)، أبو حيان، البحر المحيط في التفسير (243/9)، الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن (107/5)

[2] انظر: الماتريدي، تأويلات أهل السنة (12/9)، الواحدي، الوسيط في تفسير القرآن المجيد (7/4)

لأنه أهم أعمال القلب، ومدار العبادات عليه، وهو مضمون الرسالات السماوية، لأن مقصد الكتب المنزلة تزكية النفس، وتصفية السر بالصدق من كل شائبة أو رياء، فبه الطمأنينة والنجاة والخلاص، ولذلك أمر سبحانه المؤمنين بتوحيده ولو أغضب ذلك الكافرين، وسبّب لهم غيظًا وحنقًا، ولو لم يرضوا به، ومعلوم أن الكافرين لن يرضوا عن المؤمنين حتى يتركوا دينهم، ويرتدوا عن الإسلام، ويصبحوا مثلهم كافرين.

قال سيد قطب: "ولن يرضى الكافرون من المؤمنين أن يخلصوا دينهم لله، وأن يدعوه وحده دون سواه. ولا أمل في أن يرضوا عن هذا مهما لاطفهم المؤمنون أو هادنوهم أو تلمسوا رضاهم بشتى الأساليب، فليمض المؤمنون في وجهتهم، يدعون ربهم وحده، ويخلصون له عقيدتهم، ويصغون له قلوبهم، ولا عليهم رضي الكافرون أم سخطوا، وما هم يومًا براضين"[1].

الدروس والقيم التربوية المستفادة:

- المؤمن يخلص لله تعالى في كل عباداته العملية والقولية، ويُفرده بالعبادة والطاعة، ولا يلتمس رضى الكافرين بأي أسلوب.
- على المؤمنين ألّا يركنوا للكافرين لأنهم يكرهون شريعة الإسلام، ويبغضون إخلاص المؤمنين في عباداتهم، لأنهم لن يرضوا عنهم ولو تنازلوا عن عقيدتهم.
- عداء الكافرين للمؤمنين وكراهيتهم لهم قائم دائم، حتى في أمور غير متعلقة بهم، لأنهم يعتبرون إخلاص المؤمنين في عباداتهم خطر عليهم وعلى مصالحهم.

[1] قطب، في ظلال القرآن (3073/5)

المطلب الرابع: كراهة الكفار للقرآن الكريم

أولًا: كراهة ما أنزل الله تعالى على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ۝٩﴾[محمد:9]

وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ ۖ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ۝٢٦﴾[محمد:26]

هاتان الآيتان تُظهران انفعال الكره لدى المنافقين[1] والمشركين[2] –وقيل: هم اليهود وإنما كرهوا حسدًا وبغيًا[3]– حيث كانوا يكرهون القرآن الكريم، وما ينزل من آيات على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكانوا يكذبونه ويكذّبوا به، ويقولون عنه شعرًا، وسحرًا[4]. وكرهوا نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وكفروا به، وتركوا اتباعه واتباع ما أنزل عليه، إذ كل من ترك اتباع شيء اعتقادًا، فقد كرهه[5]. فكانوا يتسخطون عند نزول القرآن الكريم، وتظهر عليهم علامات السخط الشديد والمشقة، وعدم الرضا، لأجل ذلك أحبطت أعمالهم، ولم تقبل منهم، وكان التعْس والشقاء والضلال والخيبة والخذلان ملازمًا لهم، لأن القرآن الكريم هو النور والهدى والرشاد، وفيه الأحكام التي تضمن الحفاظ على النفوس والحقوق والحياة الكريمة الطيبة، وفيه التكاليف والواجبات التي تلزم الشخص بالشرع، ولذلك فإن هؤلاء كرهوا التكاليف والفرائض، لأنهم يريدون حياة بلا تكاليف ولا أحكام تضبطهم، يريدون أن يطلقوا العنان لأنفسهم من دون أن يحاسبهم أحد أو ينهاهم، لهذا كرهوا ما أنزل الله تعالى من القرآن الكريم، ومن الأمر بالتوحيد وإفراده بالعبودية، وأبغضوه ولم يحبوه، بل أشركوا به سبحانه وتعالى، وكفروا به وبكتبه ورسله، والشرك والكفر يحبطان الأعمال، وعاقبته ذلك

---

[1] انظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (182/22)، الماتريدي، تأويلات أهل السنة (281/9)، السمرقندي، بحر العلوم (304/3)، البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن (217/4)

[2] انظر: الثعلبي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن (37/9)، الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (326/4)، ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير (121/4)، الرازي، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) (57/28)

[3] انظر: مكي، الهداية إلى بلوغ النهاية (6914/11)، السمعاني، تفسير القرآن (182/5)

[4] انظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (162/22)

[5] انظر: الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (8/5)، الماتريدي، تأويلات أهل السنة (267/9)

الخسران المبين والكبير، كما قال تعالى: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾[الزمر:65].

ومعروف أن من كره شيئًا وأبغضه ابتعد عنه وتجنبه، وامتلأت مشاعره وأحاسيسه نحوه بالعداوة والسخط. هذه حالتهم وانفعالاتهم النفسية التي تعجّ بالكراهة لدستور الإسلام والشريعة الربانية، يبغضون ويكرهون كل ما يتعلق بالدين، ولقد أجاد سيد قطب وأفاد في التعليق على هذه الانفعالات، حيث قال رحمه الله: "وهو تصوير لما يعتمل في قلوبهم ويختلج في نفوسهم من الكراهية لما أنزل الله من قرآن وشريعة ومنهج واتجاه، وهذا هو الذي يدفع بهم إلى الكفر والعناد والخصومة والملاحاة. وهي حالة كثير من النفوس الفاسدة التي تكره بطبعها ذلك النهج السليم القويم، وتصادمه من داخلها، بحكم مغايرة طبيعتها لطبيعته. وهي نفوس يلتقي بها الإنسان كثيرا في كل زمان وفي كل مكان، ويحس منها النفرة والكراهية لهذا الدين وما يتصل به حتى إنها لتفزع من مجرد ذكره كما لو كانت قد لذعتها العقارب! وتتجنب أن يجيء ذكره أو الإشارة إليه فيما تسمع حولها من حديث! ولعلنا نشاهد في هذه الأيام حالة من هذا الطراز لا تخفى على الملاحظة! وكان جزاء هذه الكراهية لما أنزل الله، أن أحبط الله أعمالهم، وإحباط الأعمال تعبير تصويري على طريقة القرآن الكريم في التعبير بالتصوير. فالحبوط انتفاخ بطون الماشية عند أكلها نوعًا من المرعى سام، ينتهي بها إلى الموت والهلاك. وكذلك انتفخت أعمالهم وورمت وانبعجت.. ثم انتهت إلى الهلاك والضياع! إنها صورة وحركة، ونهاية مطابقة لحال من كرهوا ما أنزل الله ثم تعاجبوا بالأعمال الضخام. المنتفخة كبطون الأنعام، حين ترعى من ذلك النبت السام! ثم يلوي أعناقهم إلى مصارع الغابرين قبلهم في شدة وعنف..."[1].

ثانيًا: كراهة الكفار للحق الذي هو القرآن الكريم

قال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۢ ۚ بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٠﴾﴾[المؤمنون:70]

ذكر كثير من المفسرين أن معنى الحق هنا هو القرآن[2]، فالكفار يكرهون القرآن الكريم، ويكرهون سماعه، ويسخطون عند معرفتهم بأن سورًا أو آيات منه نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأن القرآن الكريم

---

[1] قطب، في ظلال القرآن (3289/6)

[2] انظر: الماتريدي، تأويلات أهل السنة (482/7)، ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير (267/3)، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (140/12)، الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل (274/3)، تفسير الجلالين (ص: 452)

يدعو لعبادة الله تعالى وحده، وترك عبادة الأصنام، والكفار لا يريدون توحيد الألوهية، لذلك كرهوا القرآن الكريم وما فيه. وقيل: الحق هو الله تعالى[1]. أي: لو تبع اللَّه أهواءهم في كفرهم وشركهم (لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ)[2]. يعني: لهلكت، لأن أهواءهم ومرادهم مختلفة[3]. وقوله: {وَأَكْثَرُهُمْ} فيه دليل على أن أقلهم ما كان كارهًا للحق بل كان تاركًا للإيمان به أنفة واستنكافًا من توبيخ قومه وأن يقولوا صبأ وترك دين آبائه كأبي طالب، لا كراهة للحق[4]. فعبّر بالأكثر لأن من الأتباع من يكفر تقليدًا[5].

والآية تشبهها آية أخرى، وهي قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٨﴾﴾[الزخرف:78]، والحق هنا بمعنى القرآن الكريم[6]. والمراد نفرتهم عن القرآن الكريم وشدة بغضهم لقبول ما فيه من الشرائع والفرائض والأوامر والنواهي.

الدروس والقيم التربوية المستفادة:

- الكفار يكرهون القرآن الكريم وينفرون منه، ولا يقبلونه، لأنه يخالف أهواءهم ورغباتهم ومرادهم، ويحاربونه ويصدون عنه، ويعارضونه، ويتسخطون عند سماعه.
- المؤمن يحب القرآن الكريم، لأنه من عند الله تعالى، ولأن به نجاته وشرفه، وعلو منزلته، وهدايته، ومن حبه له فإنه شديد التمسك به، كثير التلاوة له، حريص على حفظه وتطبيقه والعمل به.
- الدعاة أكثر الناس تعلقًا واعتصامًا وتمسكًا بالقرآن الكريم، لأنه الزاد الكبير، والعلم الغزير، والأجر الكثير، فمنه يقتبسون العلوم، ولآياته متدبرون، وبأحكامه يعملون، وبه يقودوا الناس أجمعين، بالخير والبر إلى رب العالمين.

---

[1] انظر: الماتريدي، تأويلات أهل السنة (483/7)، السمرقندي، بحر العلوم (486/2)، الثعلبي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن (52/7)

[2] الماتريدي، تأويلات أهل السنة (483/7)

[3] السمرقندي، بحر العلوم (486/2)

[4] انظر: الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (195/3)، النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل (475/2)، أبو حيان، البحر المحيط في التفسير (574/7)

[5] القاسمي، محاسن التأويل (401/8)

[6] انظر: السمرقندي، بحر العلوم (265/3)، الرازي، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) (644/27)، الشوكاني، فتح القدير (647/4)

المطلب الخامس: الكره عند المنافقين

أولًا: كراهة رضوان الله تعالى

قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴿٢٨﴾﴾[محمد:28]

المقصود من الآية هم المنافقون[1]، حيث أحبوا ما يسخط الله تعالى، وعملوا بغير مرضاته، فأوجبوا على أنفسهم غضب الله وسخطه، وكرهوا ما يرضي الله سبحانه، وهو الإيمان والطاعة[2]، فتركوا طاعته فيما أمر وفرض، وتركوا اتباع رسوله صلى الله عليه وسلم، ولم يقتدوا به، فكرهوا رضوان الله تعالى، ونتيجة لكرههم رضوان الله تعالى أحبط الله أعمالهم، وأبطل ثوابهم، لأنهم عملوا في غير مرضاة الله تعالى ولا محبته، ولم يتأسوا بنبيه صلى الله عليه وسلم، وكرهوا أحكام الشريعة، وأبغضوا الفرائض والتكاليف الدينية، فأذهب الله لهم الأجور، ولم ينتفعوا بها.

قال الماتريدي: "لا أحد يقصد قصد اتباع سخط اللَّه، ولا كراهة رضوانه، لكنهم لما اتبعوا الفعل الذي كان اللَّه يسخطه، فكأنهم اتبعوا سخطه، وكذلك إذا تركوا اتباع ما كان اللَّه يرضاه وكرهوه فكأنهم كرهوا رضوانه، وهو كقوله تعالى: (لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ)، ولا أحد يقصد قصد عبادة الشيطان، لكنهم لما اتبعوه فيما يأمرهم ويدعوهم إليه فكأنهم عبدوه، وهو تسمية الشيء باسم سببه، واللغة غير ممتنعة عن تسمية الشيء باسم سببه"[3].

فانفعال الكراهية لما يرضي الله تعالى كان على الدوام باديًا ظاهرًا عليهم، فلم تكن لهم أدنى رغبة في أي عمل يوصلهم إلى مرضاة الله تعالى، بل كان شغلهم الشاغل بغض شريعة الإسلام، وعدم تطبيق أي أمر

[1] انظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (183/22)

[2] انظر: السمرقندي، بحر العلوم (305/3)، الواحدي، الوسيط في تفسير القرآن المجيد (128/4)، البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن (217/4)، ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير (121/4)، الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل (149/4)، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (251/16)

[3] الماتريدي، تأويلات أهل السنة (281/9)، بتصرف يسير.

من أمور الدين، بل الكيد للدعوة والتآمر مع الأعداء للقضاء عليها، وهم بارعون في فنون النفاق، متقنون ماهرون في ذلك، معرضون عن الحق، مدبرون عن القرآن الكريم وعن الرسول صلى الله عليه وسلم.

قال ابن عاشور: "وفي ذكر اتباع ما أسخط الله وكراهة رضوانه محسِّن الطباق مرتين للمضادة بين السخط والرضوان، والاتباع والكراهية، والجمع بين الإخبار عنهم باتباعهم ما أسخط الله وكراهتهم رضوانه مع إمكان الاجتزاء بأحدهما عن الآخر للإيماء إلى أن ضرب الملائكة وجوه هؤلاء مناسب لإقبالهم على ما أسخط الله، وأن ضربهم أدبارهم مناسب لكراهتهم رضوانه؛ لأن الكراهة تستلزم الإعراض والإدبار، ففي الكلام أيضا محسن اللف والنشر المرتب. فكان ذلك التعذيب مناسبا لحالي توقيهم في الفرار من القتال وللسببين الباعثين على ذلك التوقي"[1].

الدروس والقيم التربوية المستفادة:

- المؤمن يتتبع مرضاة الله تعالى، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، فيعمل ويخلص لينال رضوان الله ورحمته ومغفرته وتوفيقه، على خلاف المنافق الذي يكره مرضاة الله تعالى، ولا يحب متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم، ولا يصدُق بإيمانه، ولا يخلص بعمله، فهذا لا يتقبل الله منه عملًا، بل يحبط أجره، ويذهب ثوابه.
- المؤمن يحرص على كل عمل يقربه إلى الله تعالى، فلا يفرّط في كلمة أو عمل ولو كان صغيرًا، لأنه دائم الهمة في الصعود والترقي، قوي العزيمة في السباق، شديد التنافس على القمم، لا يستصغر أي شيء، ولو أن يتصدق بشق تمرة، أو أن يميط الأذى عن الطريق، وما شابه ذلك.

ثانيًا: كراهة الخروج في سبيل الله تعالى

قال تعالى: ﴿ فَرِحَ ٱلۡمُخَلَّفُونَ بِمَقۡعَدِهِمۡ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلۡحَرِّۗ قُلۡ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّٗاۚ لَّوۡ كَانُواْ يَفۡقَهُونَ ٨١ ﴾[التوبة:81]

[1] ابن عاشور، التحرير والتنوير (119/26)

هذه الآية مرت سبق ذكرها في انفعال الفرح، حيث تحوي انفعالين اثنين: الفرح والكراهية، وقد بينت الآية أن المنافقين فرحوا بتخلفهم عن الرسول صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك، وكرهوا ان يخرجوا معه صلى الله عليه وسلم للقتال، وأن يجاهدوا في سبيل الله تعالى بأموالهم وأنفسهم، وأحبوا القعود، وركنوا للدعة، وتركوا الخروج، وصغرت همتهم، وتثاقلت عزائمهم حتى التصقت بالأرض، فجلسوا في بيوتهم، وقد لازمهم انفعال الكره والبغض للجهاد بالنفس والمال، فكانت كراهيتهم شديدة كبيرة لأمر الله تعالى، إيثارًا للراحة، وبخلًا وشحًا بإنفاق المال، وإنما كان فرحهم بالقعود لأن الفرح من دواعي المحبة وثمراتها، حيث فيه الراحة والإيناس بالزوجة، وحب الدنيا ولذاتها، بينما كانت كراهيتهم للجهاد لأن الكره من دواعي البغض وعدم الرضا، حيث فيه تعريض النفس للقتل والتلف، وتعريض المال للخسارة والنقصان، وباعث هذه الانفعالات النفاق وعدم الإيمان.

قال الرازي: "إنهم فرحوا بسبب التخلف وكرهوا الذهاب إلى الغزو، والفرح بالإقامة يدل على كراهة الذهاب... وكره الخروج إلى الغزو؛ لأنه تعريض للمال والنفس للقتل والإهدار"[1]. فلما أمرهم بالنفر غضبوا وخالفوا وقعدوا مستأذنين وغير مستأذنين، وكراهتهم للجهاد هي لكونهم لا يرجون به ثوابًا، ولا يدفعون بزعمهم عنهم عقابًا... وكره ذلك –يعني الجهاد– المنافقون، وكيف لا يكرهونه وما فيهم ما في المؤمنين من باعث الإيمان. والفرح بالقعود يتضمن الكراهة للخروج، وكأن الفرح بالقعود هو لمثل الإقامة ببلده لأجل الألفة والإيناس بالأهل والولد، وكراهة الخروج إلى الغزو لأنه تعريض بالنفس والمال للقتل والتلف[2]. "ولفظة {الْمُخَلَّفُونَ} تقتضي الذم والتحقير"[3].

إن انفعال الكره للجهاد المتجذر في قلوبهم كشف عنه قعودهم، فتخلفوا وجلسوا مع القواعد والزمنى، ذلكم لأن جهاد الأعداء ومقارعتهم في ساحات القتال، وضرب أعناقهم، ومبارزتهم بالسيوف وأدوات الحرب

[1] الرازي، مفاتيح الغيب (113/16)، بتصرف يسير.
[2] أبو حيان، البحر المحيط في التفسير (474/5)، بتصرف يسير.
[3] المرجع السابق (473/5)

المختلفة بحاجة إلى جهاد يسبقه من نوع آخر، لا يقل أهمية منه، بل هو الأهم؛ ألا وهو جهاد النفس، وجهاد النفس كبير وخطير في الوقت نفسه، فهؤلاء لم ينجحوا بالانتصار على أنفسهم فكيف ينتصرون على أعدائهم؟ ولم ينتصروا على انفعالاتهم الخبيثة فمن أين يأتيهم انفعال الحب والرضا بالخروج والجهاد؟ لقد أثبتوا للجميع أنهم ضعاف النفوس، عزائمهم خائرة، هممهم ساقطة، فكان سقوطهم مدويًا وعميقًا في الوقت ذاته، حيث كشف سوء حالهم، وأظهر خبث نفوسهم، وأبان زيف ادعائهم وانتمائهم، فلم يستحقوا أن ينالوا شرف الجهاد، ووسام الصدق والفداء.

الدروس والقيم التربوية المستفادة:

- المؤمن يؤثر طاعة الله تعالى على راحة نفسه، لأنه يعلم أن في طاعة المولى سبحانه راحة نفسية، وعز مشرف، ونصر مؤزر، وفتح قريب، وفوز عظيم.
- المؤمن يبذل أغلى ما يملك في سبيل الله تعالى، وابتغاء مرضاته جل وعلا، فالروح رخيصة في سبيله، واليد ممدودة بإنفاق المال، ينفق الروح والمال بكل حب ورضى وسعادة وصدق وإخلاص.
- الدعاة لا يقعدون عن الدعوة، ولا يتثاقلون إلى الأرض، بل عزائمهم وقّادة، وهممهم عالية، وبرامجهم مكثّفة، يوصلون الليل بالنهار في نشر الدين بالحكمة، والموعظة الحسنة، والكلمة الطيبة، والعبارة الدافئة، والتوجيه الرشيد، والنصيحة الأمينة.

ثالثًا: كراهتهم للإنفاق

قال تعالى: ﴿ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾[التوبة:54]

هذه الآية تظهر انفعال الكره لدى المنافقين[1] عند إنفاق المال، وهذا الانفعال منهم سبب في عدم قبول الله تعالى لنفقاتهم وصدقاتهم، لأن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيبًا وما طابت به النفس، فلأنهم لا تطيب

[1] انظر: مقاتل، تفسير مقاتل بن سليمان (175/2)، الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (294/14)

نفوسهم عند النفقات، ويعتبرونها مغرمًا، ورغمًا عنهم، فلا يقبلها الله جل وعلا وهو الغني عن العالمين، وهم أصلًا لا يؤمنون ويصدقون بفرائض الإسلام، حتى وإن فعلوها أمام الناس ظاهرًا، إلا أنهم يخفون الكفر، وكراهية الإسلام وشرائعه، فكانوا يُنفقون كرهًا، ومع ذلك فإن الله تعالى لن يتقبل منهم، كما قال سبحانه: ﴿قُلْ أَنفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٥٣﴾﴾[التوبة:53]، حيث إنهم لا يرجون بأدائها ثوابًا، ولا يخافون بتركها عقابًا[1]، ولأنهم كانوا لا يرون الزكاة قربة، وكانوا ينفقون وهم كارهون في الباطن[2]. بل كانوا يتواصون بعدم الإنفاق، فقد قال تعالى: ﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا ۗ وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾[المنافقون: 7]، وذلك لأنهم كانوا يعدون النفقة مغرمًا، ومنعها مغنمًا[3]، وإذا أنفقوا فإنما عن كراهية واضطرار، لا عن رغبة واختيار[4]. قال ابن عطية: "فلا ينفقون دومة إلا على كراهية، إذ لا يقصدون بها وجه الله ولا محبة المؤمنين، فلم يبق إلا فقد المال وهو من مكارههم لا محالة"[5]، وهم لا ينفقون لغرض الطاعة، بل رعاية للمصلحة الظاهرة[6]، وإذا كان الأمر كذلك فهي غير متقبلة ولا مثاب عليها[7]، بل ربما صارت وبالًا على صاحبها[8]، لأنها من غير انشراح صدر وثبات نفس، ففي هذا غاية الذم لمن فعل مثل فعلهم[9]. إنها صورة المنافقين في كل آن، خوف ومداراة، وقلب منحرف وضمير مدخول، ومظاهر خالية من الروح، وتظاهر بغير ما يكنه الضمير... ينفقون كارهين مكرهين[10].

---

[1] انظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (295/14)، البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل (85/3)، أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (74/4)، ابن عجيبة، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد (392/2)، القاسمي، محاسن التأويل (434/5)

[2] الماتريدي، تأويلات أهل السنة (387/5)

[3] انظر: الثعلبي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن (54/5)، الواحدي، الوسيط في تفسير القرآن المجيد (504/2)، البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن (357/2)، ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير (267/2)

[4] الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (280/2)

[5] ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (45/3)

[6] الرازي، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) (70/16)

[7] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (163/8)

[8] الرازي، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) (70/16)

[9] السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص: 340)

[10] سيد قطب، في ظلال القرآن (1665/3)

الدروس والقيم التربوية المستفادة:

- المؤمن ينفق ماله ابتغاء مرضاة الله تعالى، من نفس طيبة، وهو مسرور سعيد، لأنه يطيع الله في ذلك، ويتبع رسوله صلى الله عليه وسلم، ويساعد غيره من المحتاجين.
- المؤمن حينما ينفق من طيب ماله، يوقن أن الله تعالى سيتقبل نفقته، ويضاعف له أجرها، وسيخلف عليه ما أنفق، ويبارك فيه، وينمّيه ويزكيه، لأن الله تعالى لا يضيع أجر من أحسن عملًا.
- الداعية يسارع في الأنفاق، ولا يبخل على دينه وأمته ودعوته من ماله، فتراه سبّاقًا في ميادين العطاء والإغاثة والعون، يعطي دعوته من ماله وجهده وعرقه وماله حتى ترضى، إذ يعتبر نفسه سهمًا في جعبة الدعوة، تطلقه أنى وكيف شاءت في أعمال البر والإحسان، وهو لا ينتظر منها عوضًا ولا أجرًا، لأنه يحمل الإسلام، لا الإسلام يحمله.
- الداعية يخلص في السر والعلن، في الصحة والمرض، في السفر والحضر، في الفقر والغنى، في العسر واليسر، في الصغر والكِبَر، لا تبدله أحوال الحياة، ولا تقلبات المعيشة، ولا ترهات البشر، ولو قلت جماعته أو ضعفت أو ضُيّق عليها من قبل جهات معينة، أو سلطات ظالمة، فولاؤه لدينه، وأخوّته صادقة لجماعته، لا يبرح عنهم، متمسك بميثاق دعوته حتى يأتيه اليقين.
- المؤمن صادق مع الله تعالى فباطنه كظاهره، لا يتقلّب أو يبدّل أو يتراجع أو ينافق أو يتخلّف أو ينتكس، فهو منقاد لأمره، منفّذ شريعته، بكل حب ورضى، مستقيم على الجادة، يخسئ شيطانه ويخرسه، ولا يلتفت إليه، ويمضي مشتغلًا في أمر مولاه جل في علاه.

الفصل الثاني عشر

انفعال الحب عند الكافرين في القرآن الكريم

المبحث الأول: معنى الحب ودلالاته في السياق القرآني

المطلب الأول: الحب في اللغة

قال الفراهيدي: "أحبَبْته نَقيضُ أبغضته. والحِبُّ والحِبّةُ بمنزلة الحبيب والحبيبة"[1]. و "الحُبُّ: نقيضُ البُغض، تقول: أحبَبْتُ الشَّيْء فَأنا مُحِبٌّ وَهو مُحَبٌّ"[2].

وجاء في مقاييس اللغة: "الحاء والباء أصول ثلاثة، أحدها اللزوم والثبات... ومن هذا الباب حبة القلب: سويداؤه، ويقال ثمرته... وأما اللزوم فالحب والمحبة، اشتقاقه من أحبه إذا لزمه"[3]. وقال ابن سيده: "الحُبُّ: الوداد، وكذلك الحِبُّ"[4]. وقال ابن منظور: "الحُبّ: الوداد والمحبة"[5].

المطلب الثاني: الحب في الاصطلاح

قال الغزالي: "الحب عبارة عن ميل الطبع إلى الشيء الملذ فإن تأكد ذلك الميل وقوي سمي عشقًا"[6]. وقال الكفوي مثله في الكليات[7]. وقال العسكري: " والمحبة فينا ميل النفس أو سكونها بالنسبة إلى ما يوافقها عند تصور كونه موافقا، وملائما لها، وهو مستلزم لإرادته إياه"[8].

---

[1] الفراهيدي، العين (3/ 31)

[2] الأزهري، تهذيب اللغة (4/ 8)

[3] ابن فارس، مقاييس اللغة (2/ 26)

[4] ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم (2/ 542)

[5] ابن منظور، لسان العرب (1/ 289)

[6] الغزالي، إحياء علوم الدين (4/ 296)

[7] انظر: الكفوي، الكليات (ص: 398)

[8] العسكري، معجم الفروق اللغوية (ص: 37)

المطلب الثالث: الحب في السياق القرآني

وردت لفظة الحب في القرآن الكريم (83) مرة[1]، وتحدثت الآيات عن حب الله تعالى لأنبيائه عليهم الصلاة والسلام، وعن حبه سبحانه للمؤمنين الطائعين المحسنين المتقين التوابين المتطهرين الصابرين المتوكلين المجاهدين، وتحدثت عن حب الآباء لأبنائهم، وعن حب الإنسان المؤمن لله تعالى ولدين الإسلام وللمؤمنين، وعن حب الكافر للمال وللدنيا والشهوات كالنساء وغير ذلك، وعن حبه للثناء عليه من قبل الآخرين، وأن تشيع الفاحشة في المجتمعات المؤمنة وغير ذلك.

المطلب الرابع: الحب عند علماء النفس

الحب هو انفعال من أفضل الانفعالات النفسية التي تؤثر على صاحبها بشكل إيجابي، وتترك فيه أثرًا طيبًا، وشعورًا بالسعادة والارتياح. وقد جاء تعريف الحب في علم النفس بأنه "انفعال إيجابي يدعو إلى الارتياح نحو شخصٍ أو موضوع أو فكرة معيّنة"[2].

[1] عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، مادة (ح ب ب)، ص206

[2] جلال، المرجع في علم النفس، ص56

المبحث الثاني: مظاهر الحب عند الكافرين في السياق القرآني

المطلب الأول: حب الكافرين للحياة الدنيا

إن حب الكافرين للدنيا وملذاتها وشهواتها وزينتها حب كبير، حتى أنهم يعتقدون أنها لن تزول أو تبيد، وأنهم خالدون فيها يتمتعون، ويودّ أحدهم أن يعيش فيها دهرًا طويلًا، كما قال تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾[البقرة: 96].، فمن شدة تعلقهم بالدنيا وانغماسهم في لذّاتها تجدهم أحرص الناس على الحياة، واقعين في حبائلها، متمسّكين بها، مخمورين بها، وقد فضّلوها على الآخرة، ونسوها، ولم يعملوا لها، وتركوا عبادة الله تعالى وطاعته، فأُشربت الدنيا في قلوبهم، واستحبوها –مع أنها فانية– على الآخرة الباقية، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[النحل: 107]، وقال سبحانه: ﴿ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ﴾[إبراهيم: 2–3]، وقال تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ ٱلْءَاخِرَةَ﴾[القيامة: 20–21].، وقال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴿٢٧﴾﴾[الإنسان: 27].، وسميت الحياة الدنيا بالعاجلة لأنها تمرّ سريعًا، فهذه الآيات الكريمة تبيّن حبّ الكافرين للدنيا، والبقاء فيها، وشدة تعلقهم بها، وتركهم الأهم منها، التي هي الآخرة التي تبقى إلى الأبد، فحبهم لها فوق كل حب، حتى أنهم يدّعون أنهم لن يبعثوا من جديد، كما قال الله تعالى عنهم: ﴿وَقَالُوٓا۟ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٩﴾﴾[الأنعام: 29].، وقال أيضًا: ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ ﴿٢٤﴾﴾[الجاثية: 24]، وأخبرنا سبحانه عن قوم نبيه هود فقال: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٣٤﴾ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَنَّكُمْ

تُخۡرَجُونَ ﴿٣٥﴾ ۞ هَيۡهَاتَ هَيۡهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنۡ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا نَمُوتُ وَنَحۡيَا وَمَا نَحۡنُ بِمَبۡعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ إِنۡ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا وَمَا نَحۡنُ لَهُۥ بِمُؤۡمِنِينَ ﴿٣٨﴾﴾[المؤمنون: 33-38]..

ومن صور حب الكافرين للدنيا وحرصهم عليها أنهم يحبون المال حبًا شديدًا، ويحرصون على جمعه، قال تعالى: ﴿وَتُحِبُّونَ ٱلۡمَالَ حُبّٗا جَمّٗا ﴿٢٠﴾﴾[الفجر: 20]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٞ ﴿٦﴾ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٞ ﴿٧﴾ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلۡخَيۡرِ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾﴾[العاديات: 6-8].، وكذلك يحبون أن يُحْمدوا بما لم يفعلوا، كما قال تعالى: ﴿ لَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡرَحُونَ بِمَآ أَتَواْ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحۡمَدُواْ بِمَا لَمۡ يَفۡعَلُواْ فَلَا تَحۡسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٖ مِّنَ ٱلۡعَذَابِۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١٨٨﴾﴾[آل عمران: 188]. قال الطبري في قوله تعالى: {وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا} أن يقول لهم الناس علماء، وليسوا بأهل علم"[1]. وفي آخر الآية تهديد ووعيد لهم.

ولقد جاء عن قوم صالح عليه السلام أنهم استحبوا الكفر على الإيمان، والضلالة على الهدى، وهذا من حرصهم على الدنيا وحبهم لها، لأنهم يريدون أن يعيشوا بلا تكاليف شرعية أو التزامات دينية، فقال الله تعالى عنهم: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيۡنَٰهُمۡ فَٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡعَمَىٰ عَلَى ٱلۡهُدَىٰ فَأَخَذَتۡهُمۡ صَٰعِقَةُ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡهُونِ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿١٧﴾﴾[فصلت: 17].

قال السمرقندي: "{فَاسْتَحَبُّوا الْعَمى عَلَى الْهُدى} يعني: اختاروا الكفر على الإيمان. ويقال: اختاروا طريق الضلالة، على طريق الهدى"[2]، "اختاروا المعصية على الطاعة"[3]. واختيارهم المعصية على الطاعة دلالة على كراهيتهم لأمر الله تعالى وعبادته واتبع رسله وشريعته، ودلالة على حبهم للدنيا، وتفضيلها على الآخرة، ولذلك خُتمت الآية بخبر عذابهم وهلاكهم وهوانهم، ولو أنهم ما استحبوا الدنيا على الآخرة لآمنوا واتقوْا واتبعوا المرسلين، وعملوا بطاعة الله تعالى.

---

[1] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (7/ 466)

[2] السمرقندي، بحر العلوم (3/ 222)

[3] الماوردي، النكت والعيون (5/ 175)

قال ابن شعور: "واستحبوا العمى معناه: أحبّوا، فالسين والتاء للمبالغة، أي كان العمى محبوبًا لهم. والعمى: هنا مستعار للضلال في الرأي، أي اختاروا الضلال بكسبهم. وَضُمِّنَ (اسْتَحَبُّوا) معنى: فَضَلُّوا، وهيأ لهذا التضمين اقترانه بالسين والتاء للمبالغة لأن المبالغة في المحبة تستلزم التفضيل على بقية المحبوبات فلذلك عُدِّيَ (اسْتَحَبُّوا) بحرف على، أي رجّحوا باختيارهم. وتعليق على الهدى بفعل (اسْتَحَبُّوا) لتضمينه معنى: فضلوا وآثروا. وفُرِّع عليه فأخذتهم صاعقة العذاب الهون، وكان العقاب مناسبًا للجرم لأنهم استحبوا الضلال الذي هو مثل العمى، فمن يستحبه فشأنه أن يُحبَ العمى، فكان جزاؤهم بالصاعقة لأنها تعمي أبصارهم في حين تُهلكهم... والأخذ: مستعار للإصابة المُهلِكَة لأنها اتصال بالمُهْلَك يزيله من الحياة فكأنه أخذ باليد... والعذاب هو: الإهلاك بالصعق، ووصف بـ {الْهُونِ} أي العذاب الذي هو سبب الهون. والهون: الهوان وهو الذل، ووجه كونه هَوَانًا أنه إهلاك فيه مذلة إذ استُؤصلوا عن بكرة أبيهم وتُركوا صرعى على وجه الأرض، أي أخذتهم الصاعقة بسبب كسبهم في اختيارهم البقاء على الضلال بإعراضهم عن دعوة رسولهم وعن دلالة آياته"[1].

وحبّ الكافرين للدنيا، واختيارهم العمى والضلال على الإيمان والطاعة والعبادة يقودهم إلى حبّ أصنامهم وتقديسها وتعظيمها، ويتخذونها أندادًا من دون الله تعالى، كما قال سبحانه: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾﴾[البقرة: 165]، "قال بعضهم: يحبون الأوثان كحبهم لله تعالى، وقال بعضهم: معناه، يحبون الأوثان كحب المؤمنين لله تعالى"[2]. وكل هذا بسبب حبهم للدنيا، وحرصهم عليها.

[1] ابن عاشور، التحرير والتنوير (24/ 263)

[2] السمرقندي، بحر العلوم (1/ 110)

الدروس والقيم التربوية المستفادة:

- الكافرون أشد الناس حبًا للحياة وحرصًا عليها، وحبهم لها والتعلق بها يفوق أي شيء آخر، مع أنها عاجلة تمر سريعًا، فانية تدوم طويلًا.
- إن حب الدنيا وتفضليها على الآخرة، صفقة خاسرة، وتجارة كاسدة، غير رابحة، ومع كثرة ذكر الدنيا كثيرًا في القرآن، فإنه ليس في أي موضع منها ثناء ولا مدح، وإنما إظهار لحقيقتها، والتحذير من التعلق بها.
- حبُّ الدنيا واللصوق بها يصدّ عن سبيل الله تعالى، والانهماك بها والخوف من فواتها يقود إلى الضلال ثم الهلاك، وهذا لا يفعله أحد من العقلاء، لأن العاقل يفكر بعواقب الأمور، فإن كانت العاقبة حسنة وتُفرِح القلب فيمضي في طريقه، وإلا فلا.
- المؤمن قلبه معلق بالله تعالى وما يرضيه من العبادات؛ كتعلقه بالمساجد، وحضور الجماعات فيها، وكتعلقه بالقرآن الكريم قراءة وحفظًا وتدبرًا وعملًا، وغير ذلك من العبادات البدنية والمالية.
- المؤمن يعلم أن حياته قصيرة، وأنّها زائلة عن قريب، وأنّ الحياة الحقيقية الباقية في الآخرة، فهو يستثمر وقته وحياته في طاعة الله تعالى ومرضاته وعبادته، ليفرح بذلك يوم القيامة، أما الكافر فيتحسر ويتمنى لو أنه قدّم لحياته.

المطلب الثاني: حب المنافقين لانتشار الفاحشة بين المؤمنين

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾﴾[النور: 19].

هم المنافقون الذين يحبون أن تنتشر الفاحشة في المجتمعات المؤمنة، ويذيعون الإشاعات الكاذبة، بغرض النَّيْل من أعراض المسلمين، وإثارة البلبلة، وهؤلاء المنافقون قذفوا أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، لأن أهل المسلمين لا يفعلون ذلك، قال الماتريدي: "كان أهل النفاق هم الذين أحبوا أن تشيع الفاحشة، وإلا أهل

الإسلام لا يحبون ذلك في المؤمنين لنفاقهم وقذف عائشة... والمؤمن لا يحب أن تشيع الفواحش في المؤمنين، إنما ذلك عادة المنافقين (لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ)؛ لأنهم كانوا منافقين ومنهم كان أول بدء القذف، وبهم شاع؛ لذلك كان لهم هذا الوعيد"[1]. وقال البغوي: " قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفاحِشَةُ}، يعني يظهر ويذيع الزِّنَا، {فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيا وَالْآخِرَةِ}، يعني عبد الله بن أُبَيٍّ وأصحابه المنافقين"[2].

قال ابن زيد، في قوله: (إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) قال: "الخبيث عبد الله بن أُبي ابن سلول، المنافق، الذي أشاع على عائشة ما أشاع عليها من الفرية"[3].

والآية فيها وعيد شديد وتهديد أكيد بالعذاب الأليم الموجع في الدنيا والآخرة لأولئك المنافقين، لأن إشاعة الفاحشة أمر خطير، فيه تعدٍ على الأعراض، واتهام الأبرياء بما ليس فيهم، وعاقبة ذلك فساد كبير، كتفكيك الأُسَر، وضياع الأبناء، وتقطيع الأرحام، ولذلك فإن هذا من كبائر الذنوب، يستحق فاعله اللعن والطرد من رحمة الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡغَٰفِلَٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ٢٣﴾[النور: 23]. عن ابن عباس قال: "الكبائر، كل ذنب ختمه الله بنار، أو غضب، أو لعْنة، أو عذاب"[4]. وجاء في مجموع الفتاوى: "كل ذنب خُتِمَ بلعنة أو غضب أو نار فهو من الكبائر"[5].

إن قذف المسلمة العفيفة الشريفة الطاهرة بالزنا من كبائر الذنوب الموبقات المهلكات. قال صلى الله عليه وسلم: (اجْتَنِبُوا السَّبْعَ المُوبِقَاتِ) قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: (الشِّرْكُ بِاللَّهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ اليَتِيمِ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ المُحْصَنَاتِ المُؤْمِنَاتِ الغَافِلاَتِ)[6].

---

[1] الماتريدي، تأويلات أهل السنة (7/ 537)

[2] البغوي، معالم التنزيل (3/ 395)

[3] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (134/19)، وانظر: ابن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم (2550/8).

[4] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (246/8).

[5] ابن تيمية، مجموع الفتاوى (650/11).

[6] البخاري، صحيح البخاري، كتاب الحدود، باب: رمي المحصنات، حديث (6857)، (175/8)، ومسلم، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها، حديث (154)، (1/ 92).

إن حب إشاعة الفاحشة وانتشارها في المؤمنين هو من كيد أعداء الدين، الذين لا يريدون أن يكون المجتمع نقيًا طاهرًا، فهم يحاربون أهل الطهر والعفاف بكل وسيلة، ويكيدون لهم، ويلفّقون لهم التُّهم الباطلة، ويطلقون ألسنتهم بالشائعات الكاذبة، ويحبّون أن يكثر الزنا، وتنتشر مواخير الرذيلة وأماكن الفسق والفجور في المجتمعات الإسلامية المؤمنة، حتى يصبح ذلك أمرًا عاديًا لا غرابة فيه، ولا اعتراض عليه، وهذا هو الفساد بعينه، والتجرؤ على فعل المنكرات، مع أن من المقاصد العظيمة، والكليات الجامعة التي جاء الإسلام بحفظها وصيانتها: صيانة الأعراض من كل يشوه سمعتها، ويخدش عفتها وكرامتها، ويلوث طهرها ونقاءها.

الدروس والقيم التربوية المستفادة:

- المنافقون أشد الناس خطرًا على المجتمعات المسلمة المؤمنة، فمن عظيم حقدهم على الإسلام والمسلمين، وشدة بغضهم لأهل الإيمان فإنهم يحبون أن تشيع فاحشة الزنا في المؤمنين، فتجدهم يتعاونون على هذا الأمر مع أعداء الإسلام، ويمكرون ويكيدون.
- إن حب إشاعة الفاحشة من أعظم الذنوب، وإطلاق الألسن بالشائعات، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات من أكبر الكبائر، ومن الموبقات، وهو سبب في تفكك الأُسر وضياع الأبناء، وانهيار المجتمعات.
- من يتجرأ ويتعد حدود الله تعالى، ويعتدي على أراض المسلمين فهو ملعون، مطرود من رحمة الله تعالى، وله عذاب أليم، وعقاب شديد وموجع في الدنيا والآخرة.
- إن العقوبة إذا اجتمع فيها اللعن والتهديد فهي من أشد أنواع الوعيد، وأقسى أقسام التنكيل والتعذيب.
- لقد شدّد الإسلام في الزواجر بهذا الأمر المهم من حياة المؤمنين، وهذا لأهمية الحفاظ على الأعراض، وعدم المسّ بها، وصون المجتمعات المؤمنة من الشائعات التي تشوّه صورته.
- إن من أكبر أنواع الفساد في الأرض التلاعب بأعراض المؤمنين، والاستطالة في ذلك بغير حق، وقذف المؤمنات العفيفات الطاهرات الغافلات، والوقيعة فيه، بل هو من أشد الإيذاء، لأن العرض أعز على النفس من كل شيء.

- إن اتهام المؤمنين والمؤمنات بالفاحشة بغير حق هو بهتان عظيم، وإثم مبين، يجعل الإنسان مفلسًا يوم القيامة، فيفرّق حسناته على من آذاهم في الدنيا، وتعدى على حقوقهم.
- المؤمن يحفظ لسانه، ويمنعه من الشر والمنكر، ويحبسه عن إطلاق الشائعات، فلا يستعمله فيما يكون عليه وبالًا وحسرة وندامة، لأنه قد يتكلم بالكلام الساقط فيهوي به سنين طويلة في نار جهنم.
- إن قذف المؤمنات الغافلات العفيفات من الفحش وعمل الشيطان، ويدل على الدناءة، وقلة المروءة، ونقصان الدين، وقلة الأدب، وانعدام الحياء، وهو قمة السقوط والانحطاط والبذاءة، ألا وإن أبغض الناس عند الله تعالى الفاحش البذيء.

المطلب الثالث: حب امرأة العزيز ليوسف عليه السلام

يظهر انفعال حب امرأة العزيز ليوسف عليه السلام في عدة مواضع، منها:

1. قال تعالى: ﴿وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾[يوسف: 23].
2. ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾﴾[يوسف: 24].
3. ﴿وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ ۚ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾﴾[يوسف: 25].
4. ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِى ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾﴾[يوسف:30].
5. ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ۚ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾﴾[يوسف: 51]

كل هذه الآيات تظهر انفعال الحب عند امرأة العزيز تجاه يوسف عليه السلام، فقد راودته كثيرًا، تريده لنفسها، مع امتناعه عليه السلام، وهذا يدل على أنها تحبه كثيرًا، وفي اليوم الذي غلّقت فيه الأبواب، وهمّت به، وأرادت أن يواقعها، ولما هرب منها قدّت قميصه من دبر، ثم لم فوجئت بزوجها لدى الباب بادرت هي بالكلام وطلبت أن يُسجن لا أن يُعدم، حتى تُبعد فكرة القتل عن بال زوجها، إبقاء عليه، لأنها لو لم تكن تحبه لطلبت من زوجها أن يقتله لا أن يسجنه، ثم حديث النسوة عنها أن يوسف قد شغفها حبًا، أي اخترق حبه الغلاف المحيط بقلبها، واعترافها أمام الملك أنها هي المراودة، وتبرئة يوسف، كل ذلك يدل على حبها ليوسف حبًا شديدًا، وأن انفعال الحب مصاحب لها في مراحل طويلة من حياتها، وأنه أثّر على مشاعرها وتفكيرها وتصرفاتها بشكل واضح.

الدروس والقيم التربوية المستفادة:

- حب امرأة العزيز ليوسف عليه السلام أثّر على سلوكها بشكل كبير، فقد استجابت لانفعال الحب استجابة سيئة، وتصرفت تصرفات سلبية، فلم تحفظ حق زوجها، واتبعت خطوات الشيطان، وانقادت لشهوتها الجارفة، وضلالاتها المتكررة.
- انفعال الحب لدى امرأة العزيز جعلها تحتال على يوسف، وتراوده، وتغلّق الأبواب، مع رغبتها الشديدة في مواقعته، وهذا يدل على أنها من أهل المعاصي، ولو كانت غير ذلك لكتمت حبها، وعملت فورًا على نقل يوسف من داخل القصر إلى مكان آخر ليعمل فيه.
- انظر الدروس المستفادة عند الحديث عن لوم النسوة لامرأة العزيز.

الفصل الثالث عشر

انفعال الحُزن عند الكافرين في القرآن الكريم

المبحث الأول: معنى الحُزن ودلالاته في السياق القرآني

المطلب الأول: الحُزن في اللغة

قال ابن فارس: "الحاء والزاء والنون أصل واحد، وهو خشونة الشيء وشدة فيه. فمن ذلك الحَزن، وهو ما غلظ من الأرض. والحُزن معروف، يقال: حَزَنني الشيء يَحْزُنُني"[1]. والحُزْن والحَزَن: خلاف السرور[2]، وضده[3]، "ونقيض الفرح، ورجل حزنان ومِحزان: شديد الحزن"[4]، وهما لغتان، يقال: أصابه حَزَنٌ شديدٌ، وحُزْنٌ شديد، ويقال: حَزَنَني الأمرُ، يَحْزُنُني فأنا محزون، وأحزنني فأنا مُحْزَنٌ، وهو مُحْزِنٌ[5].

من خلال ما ذُكر فإن الحزن هو خشونة الشيء، وشدته، وغلظة فيه، ويدل على خلاف السرور، وضد الفرح ونقيضه.

المطلب الثاني: الحُزن في الاصطلاح

الحُزن: "خشونة في النفس لما يحصل فيها من الغمّ، ويضادّه الفرح"[6]، وهو "الغم الحاصل لوقوع مكروه أو فوات محبوب في الماضي"[7]، وهو "غم يلحق من فوات نافع، أو حصول ضار"[8]. وقد عرّفه كثير من العلماء

---

[1] ابن فارس، مقاييس اللغة (54/2)

[2] انظر: الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (2098/5)

[3] انظر: الرازي، مختار الصحاح (ص: 72)

[4] ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم (224/3)

[5] انظر: الفراهيدي، كتاب العين (160/3)

[6] الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن (ص: 231)، وانظر: الفيروزآبادى، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (458/2)

[7] المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف (ص: 139)

[8] الكفوي، الكليات (ص: 428)

أنه "ألم القلب بفراق المحبوب"[1]. وعرّفه ابن مسكويه بأنه: "ألم نفساني يعرض لفقد محبوب أو فوت مطلوب"[2]. وعرّفه الهروي: "الحزن توجع لفائت أَو تأسف على مُمْتَنع"[3]. وقد شرح ابن القيم كلام الهروي قائلًا: "يريد أن ما يفوت الإنسان قد يكون مقدورًا له، وقد لا يكون، فإن كان مقدورًا توجع لفوته، وإن كان غير مقدور تأسف لامتناعه"[4].

من خلال ما ذُكر فإن الحزن انفعال نفسي، وألم شديد في القلب، سببه الغم والتوجع لفقد أمر محبوب قد فات، أو لتوقع حصول مكروه أو أمر ضار.

المعنى الاصطلاحي قريب من المعنى اللغوي فكلاهما يدل على الخشونة والغلظة والشدة، فالمعنى اللغوي يدلّ على الشدة والخشونة في الشيء، والمعنى الاصطلاحي يدل على الشدة في النفس والقلب.

المطلب الثالث: الحُزن في السياق القرآني

ذكر الحزن (42) اثنان وأربعين مرة في القرآن الكريم، فقد جاءت بعض الآيات تصف أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أصابهم الحزن، كيعقوب، حيث ابيضت عيناه من الحزن على يوسف عليه السلام، عندما اشتدت عليه الأحزان من طول غيابه، وخاصة عندما رجع أبناؤه من مصر من دون أخيهم الصغير لما ذهبوا لجلب وشراء الحبوب. قال تعالى: ﴿ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾ ﴾[يوسف: 84]

---

[1] انظر: ابن فورك، محمد بن الحسن الأصبهاني، (ت: 406هـ)، تفسير ابن فورك من أول سورة الأحزاب إلى آخر سورة غافر، دراسة وتحقيق: عاطف بن كامل بن صالح بخاري (ماجستير)، جامعة أم القرى – المملكة العربية السعودية، ط1، 1430هـ-2009م، (206/2)، السمعاني، تفسير القرآن (12/3)، البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن (479/2)، الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل (515/2)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (27/10)، الشربيني، السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير (93/2)، أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (257/4)، حقي، روح البيان في تفسير القرآن (221/4)

[2] ابن مسكويه، أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب (ت: 421هـ)، تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، حققه وشرح غريبه: ابن الخطيب، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، (ص: 224)

[3] الهروي، أبو إسماعيل عبد الله بن محمد بن علي الأنصاري (ت: 481هـ)، منازل السائرين (ص: 25)، دار الكتب العلمية –بيروت، دون ذكر الطبعة وسنة النشر

[4] ابن قيم الجوزية: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (503/1)

وكذلك أشار القرآن إلى حزن نبي الله لوط عليه السلام حينما جاءته رسل الله تعالى، حتى ضاق بهم ذرعًا، لأنه خاف أن يُعتدى عليهم من قبل قومه –وقد دخلوا عليه على صورة بشرية، على هيئة جميلة–. قال تعالى: ﴿ وَلَمَّآ أَن جَآءَتۡ رُسُلُنَا لُوطٗا سِيٓءَ بِهِمۡ وَضَاقَ بِهِمۡ ذَرۡعٗا وَقَالُواْ لَا تَخَفۡ وَلَا تَحۡزَنۡۖ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهۡلَكَ إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَ كَانَتۡ مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ ٣٣﴾[العنكبوت:33]

وكذلك حزن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم على كفر قومهم وإعراضهم وتكذيبهم وعدم استجابتهم لأمر الله تعالى والإيمان به، وكان حزنه صلى الله عليه وسلم خوفًا عليهم من العذاب. كقوله تعالى: ﴿وَلَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِۚ إِنَّهُمۡ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗاۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجۡعَلَ لَهُمۡ حَظّٗا فِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٌ ١٧٦﴾[آل عمران:176]، وكقوله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡۛ ٤١﴾[المائدة:41]، وكقوله جل وعلا: ﴿ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحۡزُنكَ كُفۡرُهُۥٓۚ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُهُمۡ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ٢٣﴾[لقمان:23].

وكذلك كان يحزنه ما يتهمونه به، حيث كانوا يقولون عنه كاهن وشاعر وساحر وكاذب، فكان يحزنه ذلك، كما قال تعالى: ﴿قَدۡ نَعۡلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحۡزُنُكَ ٱلَّذِي يَقُولُونَۖ فَإِنَّهُمۡ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ﴾[الأنعام:33]، وكقوله جل وعلا: ﴿ وَلَا يَحۡزُنكَ قَوۡلُهُمۡۘ إِنَّ ٱلۡعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًاۚ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٦٥﴾[يونس:65]، وكقوله سبحانه: ﴿ فَلَا يَحۡزُنكَ قَوۡلُهُمۡۘ إِنَّا نَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَ ٧٦﴾[يس:76]

وتحدثت الآيات عن حزن المؤمنين كحزن أم موسى عليهما السلام، قال تعالى: ﴿ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَرۡضِعِيهِۖ فَإِذَا خِفۡتِ عَلَيۡهِ فَأَلۡقِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحۡزَنِيٓۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيۡكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾[القصص:7]، وكحزن مريم عليها السلام، كما قال سبحانه: ﴿ فَأَجَآءَهَا ٱلۡمَخَاضُ إِلَىٰ جِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ قَالَتۡ يَٰلَيۡتَنِي مِتُّ قَبۡلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسۡيٗا مَّنسِيّٗا ٢٣ فَنَادَىٰهَا مِن تَحۡتِهَآ أَلَّا تَحۡزَنِي قَدۡ جَعَلَ رَبُّكِ تَحۡتَكِ سَرِيّٗا ٢٤﴾[مريم:23–24]

وتحدث القرآن الكريم أن المؤمنين لا يحزنون يوم القيامة، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ ١٠١ لَا يَسۡمَعُونَ حَسِيسَهَاۖ وَهُمۡ فِي مَا ٱشۡتَهَتۡ أَنفُسُهُمۡ خَٰلِدُونَ ١٠٢ لَا يَحۡزُنُهُمُ ٱلۡفَزَعُ ٱلۡأَكۡبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوۡمُكُمُ ٱلَّذِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ١٠٣﴾[الأنبياء: 101-103]، وكما قال تعالى في أكثر من موضع[1]: {وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} ويذكر القرآن الكريم أنّ التقاط فرعون للتابوت الذي وُضع فيه موسى ليكون له عدوًا وحَزنًا، فقال تعالى: ﴿فَٱلۡتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرۡعَوۡنَ لِيَكُونَ لَهُمۡ عَدُوّٗا وَحَزَنًاۗ إِنَّ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُواْ خَٰطِـِٔينَ ٨﴾[القصص:8]

وقد أشار القرآن الكريم إلى حزن الكافرين في الدنيا؛ كما بيّنت الآيات يكون كرههم عند انتصار المؤمنين في الغزوات، وكذلك أشار القرآن الكريم إلى أحزانهم الكثيرة يوم القيامة في أكثر من موضع دون ذكر لفظة الحزن، كما هو حالهم من الحسرة والندم والخوف واليأس والإبلاس، وكل هذا مدعاة إلى الحزن الشديد -وقد تجلى هذا من خلال الحديث عن الانفعالات المذكورة سابقًا-.

بالإضافة إلى ذلك فقد ذكر القرآن الكريم انفعال الحزن عند الكافر حينما تُنجب زوجته أنثى.

المطلب الرابع: الحُزن عند علماء النفس

يصنف علماء النفس انفعال الحزن ضمن الانفعالات الضعيفة، والانفعالات السلبية، أو غير السارة[2]. وقد وردت عدة تعريفات[3] لعلماء النفس لانفعال الحزن منها: هو عملية طبيعة لرد الفعل الداخلي والخارجي نتيجة لإدراك الفقد. وهو حالة مأساوية واستجابة لفقد، وهذا الانفعال ينتج عنه معاناة عقلية وإصابات جسمية صحية، وهو ناتج عن مشاعر الأسى والألم.

---

[1] البقرة: 38، 62، 112، 262، 274، 277، آل عمران: 170، المائدة: 69، الأنعام: 48، الأعراف: 35، يونس: 62، الزمر: 61، الأحقاف: 13

[2] انظر: العبيدي، طلال خليفة سلمان، الحزن والأسى والكرب في القرآن الكريم: دراسة سيميائية، بحث محكم، ص3، جامعة بغداد -كلية الآداب، 2016م

[3] انظر: الجبري، أسماء عبد العال، مظاهر الحزن عند الأطفال: دراسة مقارنة، ص7، بحث محكم، الجمعية المصرية للدراسات النفسية، 2006م

قال ديكارت: "إن الحزن الذي هو انفعال، وهو ثبوط كريه وفيه قوام الانزعاج الذي تتلقاه النفس من الشر"[1].

ويعرف نجاتي الحزن بأنه "انفعال مضاد للفرح والسرور، وهو يحدث إذا فقد الإنسان شخصًا عزيزًا، أو شيئًا ذا قيمة كبيرة، أو إذا حلت به كارثة ما، أو فشل في تحقيق أمر مهم"[2]... "ويذكر القرآن في كثير من الآيات الحزن مقرونًا مع الخوف، مما يشير إلى أنهما انفعالان مكدّران، إذا ألمّا بالإنسان فإنهما يعكران صفو حياته"[3].

فالحزن انفعال نفسي نتيجة للشعور بأمور مؤلمة وصعبة، كفقدان شخص عزيز، أو شيء محبوب إلى النفس، أو مرغوب إلى القلب.

[1] ديكارت، انفعالات النفس ص63

[2] انظر: نجاتي، محمد عثمان، القرآن وعلم النفس ص101

[3] المرجع السابق ص103

المبحث الثاني: مشاهد الحُزن عند الكافرين في السياق القرآني

المطلب الأول: حزن الكافر حينما تنجب زوجته أنثى

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ ﴾[النحل:58]

وقال سبحانه: ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾ ﴾[الزخرف:17]. "رجل كظيم ومكظوم إذا كان ممتلئًا غمًا وحزنًا"[1].

هذا المشهد الذي تكرر مرتين في القرآن الكريم، يصور لنا الحالة النفسية التي كان يمرّ بها الكافر حينما تُنجب زوجته أنثى، حيث يتملكه الغضب والغيظ، ويملؤ الحزن قلبه، ويعلوه الغم والكرب، فيتجرع مرارة ما بُشِّر به، فيظهر سوادًا وقُبحًا في وجهه، دون أن يُفصح عن هذا الحزن الشديد والغضب الكبير، فيتردد في جوفه مرارًا وتكرارًا، يحبس ويكظم كل ذلك، ويخفيه في نفسه، فهو كظيم، حزين، لأنه كره ما رزقه الله تعالى، والأصل أن يشكر الله تعالى على هذه النعمة العظيمة، لا أن يكفره ويتسخط ويتبرم حتى يسود وجهه من شدة الغضب والحزن والغم. والعرب تقول لمن لقي مكروهًا: "قد اسود وجهه غمًا وحزنًا[2]، وارْبدَّ وجهه واغبرّ لونه وتبدّلت صورته[3]، غيظًا وتأسفًا وهو مملوء من الكرب[4]، لا يلقاه أحد أو رآه إلا عرف ما به من الحزن والغم مما يظهر على وجهه من السواد والقبح وكراهة الأمر، ولو لم يتكلم أو يتحدث. "وهكذا العرف في الناس أنه إذا اشتد بهم الحزن والغم، يظهر ذلك في وجوههم قبحًا وسوادًا"[5]. فقلبه مملوء من الغضب والحزن معًا؛ وهذا الكظم انفعال مركب من انفعال الغضب والغيظ مع انفعال الحزن، وزيادة على هذا الخليط من الانفعالات فهو محبوس في صدره، يتجرّعه مرة بعد مرة، وهو مكروب مغموم، وهذا الانفعال من أشد الانفعالات النفسية التي يمرّ بها المرء، وأشدها قسوة عليه، فكظم الحزن الشديد في داخل الإنسان وحبسه

---

[1] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (207/4)

[2] الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (206/3)، الماوردي، النكت والعيون (194/3)

[3] الرازي، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) (317/8)

[4] الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (242/4)

[5] الماتريدي، تأويلات أهل السنة (519/6)

في صدره، هو أفدح الحزن، وأكثره تأثيرًا على الوجه وخاصة العيون، والجبين، فيعلو وجهه العبوس والتقطيب، وسواد وربدة تذهب استبشاره.

فالكظيم حزين يخفي حزنه ويحبسه، ويكظم غيظه فلا يظهره، وهو مغموم مطبق فاه فلا يتكلم، مأخوذ من الكظامة وهو سد –أو شدّ– فم القربة، فهو ممتلئ غيظًا وغمًا وحنقًا وكآبة، قد ردّ غيظه إلى جوفه، فهو يتجرعه ويروم رده، وهذا محسوس عند الغيظ[1].

وهذا المشهد يصور الحالتين الداخلية والخارجية لهذا الكافر الذي يكره الإناث، فملامحه الخارجية أظهرت سواد وجهه، وغمه وحزنه وغيظه، واللون الأسود هنا يلقي بظلاله القاتمة إلى الدلالة النفسية والشعورية والحالة الداخلية عما تكنّه وتعبر عنه نفسه من الحزن، وما يعتلج في داخله من الغيظ.

الدروس والقيم التربوية المستفادة

- كراهة البنات تدل على فساد العقيدة، واعتراض على أمر الله تعالى، وهي عادة سيئة من عادات الجاهلية.
- تفضيل الذكور على الإناث مما تعارف عليه العرب في الجاهلية، فهو عرف جاهلي، ومن فعل مثلهم في أي عصر من العصور فقد تشبه بهم، واتصف بصفة من صفاتهم.
- المؤمن لا يحزن ولا يتسخط إذا أنجبت زوجته أنثى، لأنه يعلم أنها نعمة من الله تعالى، ولعل الخير فيها وفي تربيتها يكون أكثر وأعظم من الذكر.
- المؤمن الملتزم بدينه يعلم أن مسؤولية تربية البنات مهمة عظيمة وسامية وصعبة في آن واحد، فإن أحسن إليهنّ ورباهنّ على الدين والأخلاق الحسنة الفاضلة، كان الجزاء عظيمًا عند الله تعالى.
- المؤمن يعامل بناته بالبر والإحسان، وبزيادة من العناية والاهتمام، ولا يعاملهن بالقسوة والاحتقار، ولا يسمح لأحد في ذلك.

[1] انظر: الماوردي، النكت والعيون (194/3)، ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (49/5)، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (116/10)

الفصل الرابع عشر

انفعال التعجب عند الكافرين في القرآن الكريم

المبحث الأول: معنى التعجب ودلالاته في السياق القرآني

المطلب الأول: التعجب في اللغة

التّعجب: مصدر (عجب) والذي يدل على الاستغراب وإنكار الشيء؛ لما خفي سببه ولم يُعلم، ولقلة اعتياده على الإنسان، ولأنه غير مألوف.

والعين والجيم والباء أصلان صحيحان، يدل أحدهما على كبر واستكبار للشيء، والآخر خلقة من خلق الحيوان. فالأول العُجْب، وهو أن يتكبر الإنسان في نفسه. تقول: هو معجب بنفسه. وتقول من باب العَجَب: عجب يَعْجب عجْبًا، وأمر عجيب، وذلك إذا استُكبر واستُعظم[1]. وأصل العَجب في اللغة أن الإنسان إذا رأى ما ينكره ويقل مثله قال: عجبتُ من كذا وكذا[2].

والعجيب: الأمر يُتَعَجَّبُ منه، وكذلك العُجابُ بالضم، والعُجَّابُ بالتشديد أكثر منه[3]. والعَجَبُ والعُجَابُ: الأمر الذي يُتعجب منه[4]. والاستعجاب: فرط التعجب وشدته، وهو مُسْتَعْجِبٌ ومُتَعَجِّبُ ممّا يرى[5]. وتعجّب واستعجب بمعنى[6].

ويستعمل التعجب على وجهين أحدهما ما يحمده الفاعل ومعناه الاستحسان والإخبار عن رضاه به، والثاني ما يكرهه ومعناه الإنكار والذم له، ففي الاستحسان يقال: أعجبني، وفي الذم والإنكار عَجِبتُ[7]. والتعجب مما

---

[1] انظر: ابن فارس، مقاييس اللغة، (243/4)

[2] انظر: الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (300/4)

[3] انظر: الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (177/1)

[4] انظر: الرازي، مختار الصحاح (ص: 200)

[5] انظر: الفراهيدي، كتاب العين (235/1)، الزمخشري، أساس البلاغة (635/1)

[6] انظر: الرازي، مختار الصحاح (ص: 200)

[7] انظر: الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير (393/2)

خفي سببه ولم يعلم[1]. وهو حيرة تعرض للإنسان عند سبب جهل الشيء[2]. والعَجَب: إنكارُ ما يَرِدُ عليك لقلة اعتياده[3]. فمعنى التعجب في اللغة أن يُنْكر الشيءُ ويقل فيتعجب منه[4].

المطلب الثاني: التعجب في الاصطلاح

لا يبتعد معنى التعجب في الاصطلاح عن معناه في اللغة، إذ يعرّفه الراغب بقوله: "والتعجب: حالة تعرض للإنسان عند الجهل بسبب الشيء"[5]. وقد أشار الرازي إلى موضع هذا التعجب حيث قال: "والتعجب عبارة عن حالة تعرض في القلب عند الجهل بسبب الشيء"[6].

ويعرّفه الجرجاني بأنه انفعال النفس عما خفي سببه[7]، وخرج عن العادة مثله[8]. وهكذا عرّفه السمعاني بقوله: "حالة تعتري الإنسان من رؤية شيء على خلاف العادة"[9]، وتغير النفس برؤية المستبعد[10]. إذا عدّ الشيءَ خارجًا عن المألوف نادر الحصول[11].

فالتعجب: هيئة انفعالية للنفس عند إدراك الأمور الغريبة الخفية السبب[12]، وهو أن ترى الشيء يعجبك تظنّ أنك لم تر مثله[13]. فهو انفعال نفسي يصيب الإنسان عندما يستعظم أمرًا أو يستطرفه أو ينكره لغرابته[14].

---

[1] انظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر (184/3)

[2] انظر: الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس (319/3)

[3] انظر: ابن منظور، لسان العرب (580/1)

[4] انظر: النحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد النحوي (ت: 338هـ)، معاني القرآن، تحقيق: محمد علي الصابوني، جامعة أم القرى –مكة المكرمة، ط1، 1409هـ، (16/6)

[5] الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن (ص: 547)، وانظر: الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد (ت: 502هـ)، تفسير الراغب الأصفهاني، تحقيق ودراسة: د. محمد عبد العزيز بسيوني، كلية الآداب –جامعة طنطا، ط1، 1420هـ–1999م (427/1)، وانظر: البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل (133/1)، أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (210/1)

[6] الرازي، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) (141/1)

[7] الجرجاني، كتاب التعريفات (ص: 62)، وانظر: المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف (ص: 99)

[8] الجرجاني، كتاب التعريفات (ص: 147)

[9] السمعاني، تفسير القرآن (364/2)، وانظر: البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن (409/2)

[10] السمعاني، تفسير القرآن (78/3)، وانظر: البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن (7/3)

[11] ابن عاشور، التحرير والتنوير (84/11)

[12] الأحمد نكري، القاضي عبد النبي بن عبد الرسول (ت: ق 12هـ)، دستور العلماء (جامع العلوم في اصطلاحات الفنون)، عرب عباراته الفارسية: حسن هاني فحص، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1421هـ–2000م، (214/1)

[13] مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة (1457/2)

[14] المرجع السابق (1458/2)

المطلب الثالث: التعجب في السياق القرآني

وردت مادة (عجب) (27) سبعًا وعشرين مرة في القرآن الكريم[1]. وهي تدل على معنيين:

الأول: التعجب الدال على الاستغراب والاستنكار. والثاني: التعجب الدال على الفرح والمسرّة.

والتعجب من الصيغ التي توضح مدى دهشة وانفعال الشخص من أمر ما فهو يوضح حالته وردة فعله، وقد استخدم التعجب في صيغ متنوعة وأساليب مختلفة.

والتعجب هو انفعال وتأثير داخلي يحدث في النفس عند استعظامها، يعَّبر عن التعجب بعبارات لغوية يرفقها بحركاته ونظراته. وللتعجب أسلوبان، قياسي ويتكون من صيغتين هما (ما أفعله) و(أفعل به)، والثاني: سماعي لا ضابط له وإنما يترك للقرائن المعنوية في السياق.

قال الرازي: "اعلم أن للتعجب صيغتين أحدهما: ما أَفْعَلَهُ كقوله تعالى: ﴿فَمَآ أَصۡبَرَهُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ ١٧٥﴾[البقرة:175].

الثاني: أَفْعِلْ به كقوله: ﴿أَسۡمِعۡ بِهِمۡ وَأَبۡصِرۡ ٣٨﴾[مريم:38]"[2].

ولقد ورد التعجب في القرآن الكريم مضافًا إلى الله تعالى، والملائكة، والأنبياء، والجن، والمؤمنين، والكافرين، والمنافقين، وغير العقلاء، وأهل الجنة، وأهل النار.

المطلب الرابع: التعجب عند علماء النفس

التعجب: "حالة نفسية تعرض للإنسان"[3]، حيث يتأثر من منظر غير مألوف، فيحصل له هذا الشعور، وهذا الشعور داخلي تنفعل به النفس حين يستعظم أمرًا نادرًا أو لا مثيل له مجهول الحقيقة أو خفي السبب[4]. فهو

---

[1] انظر: عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ص547 – 548، مادة: (عجب).

[2] الرازي، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) (207/5)

[3] العتيبي، وليد بن حزام بن كديميس، التعجب في القرآن الكريم، دراسة تفسيرية موضوعية، ص16، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، 1433هـ

[4] نظر: عباس حسن، النحو الوافي، دار المعارف، ط15، ج3، ص339. بدون تاريخ.

انفعال يحدث في النفس عند الشعور بأمر يجهل سببه[1]. وهو أسلوب يُعبَّر به عن انفعال كردة فعل عند سماع خبر، أو رؤية حدث، فالتعجب هو استعظام شيء، أو أمر باعث للدهشة، وانفعال يحدث في النفس، فهو ما يعبر عنه الناس بأنه أمر غريب عجيب، أو أمر مثير[2].

قال ديكارت: "التعجب هو مفاجأة سريعة للنفس مما يحملها على أن تنظر باهتمام إلى الأغراض التي تبدو لها نادرة وخارقة. ولا يحصل أي تغيير لا في القلب ولا في الدم بسبب هذا الانفعال، كما هو الحال في بقية الانفعالات، وسبب ذلك أن الخير والشر ليسا غرضه، بل فقط معرفة الشيء موضع التعجب... والمفاجأة هي العنصر الخاص والمنفرد لانفعال التعجب"[3].

[1] انظر: علي، محمد أبو العباس، كتاب الإعراب الميسر، (ص143) دار الطلائع، مدينة نصر –القاهرة

[2] رباح، جمال نمر، أسلوب التعجب في القرآن الكريم، ص123، بحث محكم، 2021م، المصدر: المجلة الدولية للدراسات اللغوية والأدبية العربية، مركز رفاد للدراسات والأبحاث

[3] ديكارت، انفعالات النفس ص51

المبحث الثاني: مشاهد التعجب عند الكافرين في السياق القرآني

المطلب الأول: تعجب الكفار من بشرية الرسل

أولًا: تعجب قوم نوح وقوم هود وقوم صالح والأقوام السابقة من بشرية الرسل

قال تعالى على لسان نوح يخاطب قومه: ﴿ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا۟ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾[الأعراف:63]

وقال سبحانه على لسان هود يخاطب قومه: ﴿ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ۚ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً ۖ فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾[الأعراف:69]

في هاتين الآيتين يُخبر الله تعالى عن قِيل نوح لقومه وعن هود لقومه إذ تعجبوا من إرسال الله تعالى إليهم رسلًا بشرًا منهم، يذكّرونهم بالله تعالى، ويعظونهم، وينذرونهم بأس الله تعالى وعذابه، ويخوّفونهم عقابه إن لم يؤمنوا، حتى يتوبوا ويسْلموا لله رب العالمين، ويعبدوه حق العبادة، ويخلصوا له بالتوحيد، ويعملوا بطاعته، لعلهم يرحمون، ويكونوا من أهل الفلاح يوم القيامة، لقد كان رد الأقوام التعجب والاستغراب والإنكار، فتعجبوا من أن يكون رسل الله بشرًا. وقال عز وجل عن ثمود يخبر عن تعجبهم بإرسال نبي لهم من البشر: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ ۙ إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾ ﴾[القمر:23-25]، يتعجبون من أن صالحًا بشر مثلهم يوحى إليه.

وقوله تعالى: {أَوَعَجِبْتُمْ} الهمزة للإنكار، والواو للعطف، والمعطوف عليه محذوف، كأنه قيل: "أكذبتم وعجبتم أن جاءكم موعظة على لسان رجل منكم"[1]. والاستفهام هنا على جهة "التقرير والتوبيخ"[2]، فكانوا يعجبون

[1] الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (115/2)

[2] الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن (43/3)

وينكرون أن يكون رسل الله من البشر[1]، واستبعدوا أن يكون لله رسول إلى خلقه[2]، ومثل هذا التعجب كان موجودًا عند بعثة كل رسول[3]، كانوا يتعجبون من إرسال البشر ويقولون: لو شاء الله لأنزل ملائكة[4]. فقالت لهم رسلهم: "لا تعجبوا من هذا، فإن هذا ليس بعجب أن يوحي الله إلى رجل منكم، رحمة بكم ولطفًا وإحسانًا إليكم، لننذركم ولتتقوا نقمة الله ولا تشركوا به"[5]. لقد "عجبوا أن يختار الله رسولاً من البشر من بينهم، يحمله رسالة إلى قومه، وأن يجد هذا الرسول في نفسه علماً عن ربه لا يجده الآخرون، الذين لم يختاروا هذا الاختيار... وما من عجب في هذا الاختيار. فهذا الكائن الإنساني شأنه كله عجيب.. إنه يتعامل مع العوالم كلها، ويتصل بربه بما ركب في طبيعته من نفخة الله فيه من روحه.. فإذا اختار الله من بينه رسوله– والله أعلم حيث يجعل رسالته– فإنما يتلقى هذا المختار عنه، بما أودع في كيانه من إمكانية الاتصال به والتلقي عنه، بذلك السر اللطيف الذي به معنى الإنسان، والذي هو مناط التكريم العلوي لهذا الكائن العجيب التكوين"[6].

وقال سبحانه يبين اعتراض الأقوام السابقة على بشرية الرسل: ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ۛ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۛ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓاْ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَقَالُوٓاْ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٩﴾ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ قَالُوٓاْ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ ﴾[إبراهيم:9-10].

وقال تعالى عن قوم نوح: ﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾[هود:27]

---

[1] انظر: الماتريدي، تأويلات أهل السنة (470/4)

[2] انظر: الرازي، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) (297/14)

[3] المرجع السابق (186/17)

[4] انظر: البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل (18/3)

[5] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (432/3)

[6] سيد قطب، في ظلال القرآن (1309/3)

وقال سبحانه: ﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾[المؤمنون:24].

وقال تعالى عن القوم من بعد قوم نوح: ﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٣١﴾ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾[المؤمنون:31-34]

وقال تعالى عن ثمود لما قالوا لنبيهم صالح: ﴿ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾[الشعراء:154]

وقال تعالى عن مدين لما قالوا لنبيهم شعيب: ﴿ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ ﴾[الشعراء: 185-186]

وقال تعالى عن أصحاب القرية لما قالوا لرسلهم: ﴿ قَالُوا۟ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ ﴾[يس: 15]

وهكذا بينت الآيات الكريمة تعجب الكفار من بشرية الأنبياء والمرسلين، في كل زمان بُعث إليهم نبي أو أُرسل لهم رسول، وما هذا التعجب إلا كبْر وعناد وتكذيب وصد عن سبيل الله تعالى، قال جل وعلا: ﴿ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٤﴾ ﴾[الإسراء:94]

ثانيًا: تعجب كفار مكة من بشرية الرسول صلى الله عليه وسلم

قال تعالى: ﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ ﴾[يونس:2].

وقال سبحانه: ﴿وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡۖ وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ ٤ أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ ٥﴾[ص: 4-5]

وقال عز وجل: ﴿بَلۡ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡ فَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَيۡءٌ عَجِيبٌ ٢﴾[ق:2].

وقال سبحانه: ﴿لَاهِيَةٗ قُلُوبُهُمۡۗ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجۡوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ هَلۡ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡۖ ٣﴾[الأنبياء:3].

والمقصود بالناس في آية يونس كفار مكة، وبالرجل سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم[1]، فقد تعجبوا من أن يبعث الله تعالى رسولًا من جنس البشر مثلهم، وأنكروا رسالته وما يوحى إليه من القرآن الكريم، وكذبوه مع أنهم يعرفون نسبه، ويعرفون أخلاقه وصفاته وطيب معاملته وعشرته، وقد اشتهر بينهم قبل البعثة بالصادق الأمين، وذاع ذلك في هضاب مكة وجبالها وبيوتها، وتحدثت الركبان عن عظيم صدقه، وكبير أمانته، حتى فشا ذلك وانتشر بين قبائل العرب وقوافلها وبين تجارها، وفي أنديتها ومجالسها. ورغم ذلك فقد تعجوا أن جاءهم رسول منهم، وقد أرسل الله تعالى رسلًا وبعث أنبياء في سائر الأمم السابقة، والأقوام الفائتة، واتهموه بالسحر والكذب –حاشاه صلى الله عليه وسلم–.

لقد كان عجبهم أن بعث الله بشرًا منهم رسولًا، وليس ملكًا من السماء، ومما زاد عجبهم حتى بالغوا في التعجب أن دعوة هذا الرسول تخالف ما ورثوه من آبائهم وأجدادهم كعبادة الأصنام والأوثان، لأن الرسالة التي جاء بها سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم هي عبادة الله تعالى لا شريك له، أي توحيده بالألوهية، وإفراده بالربوبية، فأنكروا ذلك ورفضوه وتعجبوا منه أشد العجب. وقوله تعالى: {أَكَانَ للنَّاس عجبا} على الاستفهام[2]، والألف للتوبيخ[3]، والتقرير[4]، والتقريع[5]، والإنكار لتعجبهم من بعث الله عز وجل رجلاً منهم،

[1] انظر: مقاتل، تفسير مقاتل بن سليمان (225/2)
[2] ابن أبي زمنين، تفسير القرآن العزيز (243/2)
[3] الثعلبي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن (117/5)
[4] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (306/8)
[5] الشوكاني، فتح القدير (480/2)

رسولاً إليهم[1]. قال الزمخشري: "والذي تعجبوا منه أن يوحى إلى بشر، وأن يكون رجلًا من أفناء[2] رجالهم دون عظيم من عظمائهم، فقد كانوا يقولون: العجب أنّ الله لم يجد رسولًا يرسله إلى الناس إلا يتيم أبى طالب، وأن يذكر لهم البعث وينذر بالنار ويبشر بالجنة، وكل واحد من هذه الأمور ليس بعجب، لأنّ الرسل المبعوثين إلى الأمم لم يكونوا إلا بشر مثلهم"[3].

لقد امتن الله تعالى على البشرية أن بعث فيهم رجلًا منهم، هي إحدى النعم الكبرى، والمنن العظيمة، فقال سبحانه: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾[آل عمران:164]. قال ابن كثير: "أي: من جنسهم ليتمكنوا من مخاطبته وسؤاله ومجالسته والانتفاع به، كما قال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا ﴿٢١﴾﴾[الروم:21] أي: من جنسكم". ولقد أكد الله تعالى بشرية الرسل في كثير من المواضع في كتابه الكريم[4].

قال الماتريدي: "كانوا يعجبون من ثلاث: من إنزال القرآن على رجل منهم يعجز الخلائق عن إتيان مثله، ويعجبون من الوحي إلى رجل منهم وإرساله رسولًا من بين الكل أو من البشر؛ كقوله: (أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا)، وكقوله: (أَأُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا)، وكانوا يعجبون من البعث؛ كقولهم: (أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا)"[5].

---

[1] مكي، الهداية إلى بلوغ النهاية (3209/5)، وانظر: الواحدي، الوسيط في تفسير القرآن المجيد (538/2)

[2] يقال: هو من أفناءِ الناس، إذا لم يعلم ممن هو. انظر: الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (2457/6)

[3] الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (327/2)

[4] [البقرة:151]، [الأنعام:130]، [الأعراف:35]، [يوسف:109]، [الرعد:38]، [إبراهيم:4]، [إبراهيم:11]، [النحل:43]، [الكهف:110]، [الأنبياء:7]، [الفرقان:20]، [الزمر:71]، [فصلت:6]

[5] الماتريدي، تأويلات أهل السنة (4/6)

الدروس والقيم التربوية المستفادة:

- تعجب الكفار من بشرية الرسل منبعه الكفر وعدم الإيمان، ولولا أنهم أرادوا الإيمان وعبادة الله تعالى وحده لآمنوا واستجابوا للرسل والأنبياء الذين بعثهم الله تعالى، دون الاعتراض والصد والرفض بحجة أنهم من جنسهم.
- المؤمن يستجيب ويتبع دون اعتراض وتلكؤ واعتراض، فمجرد أن يلامس الإيمان شغاف قلبه تجده طائعًا عابدًا محبًا.
- على المؤمنين أن يمضوا إلى الأمام، وأن يجتهدوا في الدعوة، ويجدّوا في المسير، ولا يلتفتوا إلى كثرة اعتراض المعارضين، ولا أن يضيعوا من أوقاتهم على تفاهات وخزعبلات الشانئين والمبغضين، ولو أنهم وقفوا عند كل تعجب او اعتراض لضاعت أوقات كثيرة، والمؤمنون أكثر الناس حرصًا على الوقت لأنه رأس المال الذي به يتجاورون به مع الله تعالى.
- قد يتعرض المؤمن للاتهامات الشنيعة – كما تعرض الأنبياء عليهم السلام – فليكن الصبر والاحتساب رفيقه، كما فعل الأنبياء عليهم السلام، فأيدهم الله تعالى بالنصر والغلبة.
- كثير من الناس لا يعجبهم حال الداعية؛ موقعه الاجتماعي كأن يكون يتيمًا أو من عائلة بسيطة متواضعة، أو حالته المادية كأن يكون فقيرًا، أو غير ذلك، فلا يلتفت الداعية إلى مثل هذه السخافات، وليكمل المسيرة بصفاء السريرة.
- كثير من الناس يتعجبون من أحكام الشريعة، ويدّعون أن كل شيء حرام في الإسلام، ولكن هذا ادعاء مردود، وقول مرفوض، لأننا لو نظرنا إلى الشريعة بعين الإنصاف لوجدناها حنيفية سمحة، تضع كل شيء في موضعه، وأن الإسلام دين اليسر، وتعاليمه توصي بالتيسير ورفع الحرج، ومراعاة الأحوال في التكاليف، فالحلال بيّن والحرام بيّن، ويستحيل أن يحرّم الدين ما جعله الله حلالًا طيبًا.

المطلب الثاني: تعجب النسوة من جمال يوسف عليه السلام

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ۖ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾﴾[يوسف: 31]

تخبرنا هذه الآية الكريمة عن اندهاش النسوة وتعجبهنّ من جمال يوسف عليه السلام، حيث انبهرن منه انبهارًا أنساهنّ ما في أيديهنّ من السكاكين، حتى قطّعن أيديهنّ من حيث لم يشعرن، وهذا يدل على التعجب الكبير والشديد الذي بدى على وجوههن وعلى تصرفاتهن، حتى طارت عقولهنّ، وقفزت قلوبهنّ من أماكنها، فسالت الدماء من أيديهنّ دون الإحساس بالألم والوجع، لأنهنّ لم يرين أحدًا من الرجال جميلًا مثله.

أعظمن شأنه، وتحيرن، وبقين مدهوشات، طائرة عقولهنّ، وَقَطَّعنَ أيديهنّ بالسكين، ولم يشعرن بذلك[1]، "إذ لم يرين من البشر مثله"[2]. لأن "هذا الجمال غير معهود للبشر"[3].

وقولهنّ: {مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ} المراد تنزيهه عن مشابهة البشر في الصورة، لفرط جماله[4]. وهذا يدل على تعجبهنّ وإعجابهنّ، حيث شبّهنه بالملَك الكريم، ومن صفات الملك أنه حسن جميل، بل جماله أخّاذ، وحُسنه فتّان، يأخذ بالقلوب، وتطيش به العقول، من شدة الانبهار والتعجب والاندهاش. والمعروف عند الناس أنهم يشبهون الشخص الجميل، ذا الوجه الحسن بالملك، لما يترك في القلب والنفس والعين التعجب من جماله، والإعجاب به، والاندهاش من عظيم حسنه، وفرط جماله، تعظيمًا لشأنه.

والمعروف عند الناس كذلك أنهم إذا وصفوا أحدًا بالقبح والسوء فإنهم يشبهونه بالشيطان الرجيم[5].

---

[1] السمرقندي، بحر العلوم (191/2)

[2] مكي، الهداية إلى بلوغ النهاية (3554/5)

[3] البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل (162/3)

[4] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (182/9)

[5] انظر هذا المعنى: الماتريدي، تأويلات أهل السنة (234/6)، السمرقندي، بحر العلوم (191/2)، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (86/15)

إن الجمع بين الجمال الرائق والكمال الفائق والعصمة البالغة من خواص الملائكة، أو لأن جماله فوق جمال البشر ولا يفوقه فيه إلا الملك[1]. وكان ذلك الجمال العظيم مقرونًا بتلك الهيبة والهيئة فتعجبن من تلك الحالة فلا جرم أكبرنه وأعظمنه ووقع الرعب والمهابة في قلوبهنّ... وجعلن يقطعن أيديهنّ بالسكاكين التي معهنّ وهنّ يحسبن أنهنّ يقطعن الأترج ولم يجدن الألم لدهشتهنّ وشغل قلوبهن بيوسف فما أحسسن إلا بالدم[2].

الدروس والقيم التربوية المستفادة:

- جمال الأنبياء عليهم السلام أخّاذ، يأخذ بالقلوب، فهم أجمل الناس، وأحسن الناس، يألفهم الجميع.
- عظيم أخلاق الأنبياء لا يقل عن عظيم جمالهم، فأخلاقهم عظيمة كاملة بالحسن والجلال والوقار والسمت الصالح، وما ذلك إلا من أنوار النبوة والرسالة، التي أكرمهم الله تعالى وشرفهم بها.
- المعروف عند الناس أنهم يشبّهون الشخص شديد الجمال، عظيم الحسن، كثير العبادة، المنزّه عن الرذائل، الموصوف بالفضائل بالملائكة، تعظيمًا لشأنه. ويصفون الشخص شديد القبح، فعّال الشر، كثير السوء، الموصوف بفعل الرذائل بالشياطين.
- المؤمن التّقي لا يخالط النساء، لأن الخوض معهنّ وكثرة المخالطة مظنة الفتنة، وليس أضر على قلب المؤمن من خلوة غير شرعية، وليس أسرع للسقوط والنكوص من الاختلاط بالنساء.
- قد يتعرض المؤمن لمواقف الاختبار والابتلاء، ولذلك يجب عليه أن يتقي مواطن الفتن والشبهات، وأن يتجنبها ما استطاع، ولا يتهاون في ذلك، لأن التهاون والاستهتار واللامبالاة في مثل ذلك يعرضه للضعف ثم يقوده للسقوط في الهاوية، والوقوع فيما لا تحمد عقباه.
- المؤمن يعتمد على الله تعالى في كل أموره، ويتوكل عليه دائمًا، لأنه هو الحافظ من العوائق، والعاصم من الزلل والفتن، والمنجّي من المهالك، والمعتمد عليه في كل زمان ومكان.

---

[1] انظر: البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل (162/3)

[2] انظر: الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل (526/2)

المطلب الثالث: تعجب فرعون من جواب موسى عليه السلام

قال تعالى: ﴿ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾[الشعراء:25]

هذه الآية الكريمة تُظهر انفعالاً من انفعالات فرعون الكثيرة التي وردت في القرآن الكريم، حيث يُبدى فرعون تعجبه من قول موسى عليه السلام حينما كان يحاوره، وقد دعاه في ذلك الحوار إلى عبادة الله تعالى وحده، وأنه تعالى رب السماوات والأرض وما بينهما، وأنه هو المستحق للعبادة، الذي يجب أن يُوحَّد ويُعبد، فاستغرب فرعون من كلامه، وتعجب من حديثه، ثم غضب وهدّد وتوعّد، واتهم موسى بالجنون والتهور والمجازفة، لأنه في نظره يقول كلامًا لا يعقل معناه، وهدده بالسجن إن اتخذ له إلهًا غيره. وقد ذكر القرآن الكريم هذا المشهد الحواري فقال: ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴾[الشعراء:23-29]

قال فرعون لقومه: "{أَلَا تَسْتَمِعُونَ} إلى ما يقول موسى؛ تعجبًا منه أني أسأله عن شيء وهو يجيبني عن شيء آخر"[1]، "لأن فرعون سأل موسى عن الأجناس أي: من أي جنس رب العالمين؟ فلما لم يكن الله جلّ ذكره جنسًا من الأجناس المعلومات ترك جوابه، وأجابه بدلالة أفعال الله، ومحدثاته من السماوات والأرض، ولم يخبره أنه جنس إذ لا يجوز، فعجّب فرعون قومه من جواب موسى له فقال لمن حول من القبط: ألا تستمعون إلى قول موسى، فزادهم موسى من البيان ما هو أقرب عليهم من الأول وأقرب إلى أفهامهم"[2].

لما دعاه موسى عليه السلام إلى التوحيد قال فرعون: {أَلا تَسْتَمِعُونَ} "على وجه الإغراء والتعجب من شنعة المقالة، إذ كانت عقيدة القوم أن فرعون ربهم ومعبودهم"[3]. قال الرازي: "ولما ذكر موسى عليه السلام هذا

---

[1] الماتريدي، تأويلات أهل السنة (55/8)

[2] مكي، الهداية إلى بلوغ النهاية (5290/8)

[3] انظر: ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (229/4)، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (98/13)، الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن (226/4)

الجواب الحق قال فرعون لمن حوله: {أَلا تَسْتَمِعُونَ} وإنما ذكر ذلك على سبيل التعجب من جواب موسى، يعني أنا أطلب منه الماهية وخصوصية الحقيقة، وهو يجيبني بالفاعلية والمؤثرية"[1]. أي: وهو يجيبني بأفعاله وآثاره[2].

والآية تشير إلى أن فرعون يريد من قومه وملئه وخاصته وجلسائه ممن يسمعون كلام موسى عليه السلام أن يتعجبوا مثله، فيلتفت إليهم، ويوجه الخطاب لهم على سبيل التهكم والاستهزاء والتكذيب لموسى: {أَلا تَسْتَمِعُونَ} لهذا النبأ العجيب والقول الغريب –الذي هو توحيد الله تعالى– ألا تعجبون من كلامه وجوابه وزعمه أن لكم إلهًا يُعبد غيري[3]، فعدّه "جديرًا بأن يتعجبوا منه"[4]، قال سيد قطب: "لعله يصرفهم عن التأثر به، على طريقة الجبارين الذين يخشون تسرب كلمات الحق البسيطة الصريحة إلى القلوب"[5]. فأعرض فرعون عن خطاب موسى واستثار نفوس الملأ من حوله وهم أهل مجلسه فاستفهمهم استفهام تعجب من حالهم كيف لم يستمعوا ما قاله موسى فنزّلهم منزلة من لم يستمعه تهييجًا لنفوسهم كي لا تتمكن منهم حجة موسى، فسلط الاستفهام على نفي استماعهم كما تقدم. وهذا التعجب من حال استماعهم وسكوتهم يقتضي التعجب من كلام موسى بطريق فحوى الخطاب فهو كناية عن تعجب آخر. ومرجع التعجبين أن إثبات رب واحد لجميع المخلوقات منكر عند فرعون؛ لأنه كان مشركا فيرى توحيد الإله لا يصح السكوت عليه[6].

الدروس والقيم التربوية المستفادة:

- فرعون شخصية متكبرة متعجرفة، يعكس صورة المتسلط المتمادي في غيّه، الذي يكره سماع الحق، ولا يحب سماع الدعوة إلى الإيمان والتوبة، ويجادل بغير علم، ويفرض هيمنته على قومه بالقوة، فيجبرهم على تقليده واتباعه وموافقته بكل شيء.

---

[1] الرازي، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) (499/24)
[2] انظر: الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل (324/3)
[3] انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (138/6)
[4] القاسمي، محاسن التأويل (452/7)
[5] قطب، في ظلال القرآن (2592/5)
[6] انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (118/19)

- فرعون يُعد مثالًا للحاكم المستبد الظالم، الذي يهدد ويتوعد كل من يخالف رأيه وقوله، والذي يقود قومه إلى التهلكة ويوردهم النار.
- المؤمن ذو علم وبصيرة، يحاور بحكمة، ويجادل بالتي هي أحسن، آفاقه واسعة، ذكي حكيم محنك، يوصل الفكرة التي يحملها إلى الخصم أو الجمهور المتابع المستمع.
- المؤمن قوي شجاع، لا يخاف المواجهة، يقف أمام الحاكم – ولو كان ظالمًا أو جائرًا – ويقول كلمة الحق، ويأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، ويدعو إلى الله تعالى، ولا يخاف لومة لائم، ولا يهاب في التبليغ والدعوة.
- المؤمن يعمل جاهدًا لإعلاء كلمة التوحيد، لا يتلكأ ولا يمل ولا يسأم من نشر الدين بين جميع طبقات وشرائح المجتمع، سواء كانوا حكامًا وسلاطين ورؤساء، او كانوا مرؤوسين ومن عوام الناس.

المطلب الرابع: تعجّبُ كفار مكة من البعث بعد الموت

قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخۡرَجُونَ ٦٧ ﴾[النمل:67]

وقال تعالى: ﴿ وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٖۚ بَلۡ هُم بِلِقَآئِ رَبِّهِمۡ كَٰفِرُونَ ١٠ ﴾[السجدة:10]

وقال سبحانه: ﴿وَإِن تَعۡجَبۡ فَعَجَبٞ قَوۡلُهُمۡ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَاقِهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٥ ﴾[الرعد:5]

هذه الآيات الكريمة تُظهر انفعال التعجب عند كفار مكة، وتعجبهم من بعثهم بعد الموت من جديد، بعدما تتفرق لحومهم، وتذوب أجسامهم، وتصبح عظامهم نخرة، وتصير أجسادهم بالية، وتذهب في الأرض، وتعود ترابًا، ثم ينفخ فيها الروح فيعودون للحياة من جديد، ويخرجون من قبورهم للحساب.

فهؤلاء الكفار ينكرون البعث، ويستبعدون إعادة خلقهم من جديد، وقد أكدوا استبعاد ذلك بإنكار البعث بأنهم وُعدوا ذلك هم وآباؤهم، وقد مرت العصور والدهور والقرون ولم يحصل ذلك، فكان تعجبهم لأجل ذلك.

وقولهم: {أَئِنَّا} على الاستفهام منهم، وهذا استفهام على إنكار، أي: أنا لا نبعث بعد الموت[1]. تكذيبًا منهم بقدرة الله، وجحودًا للثواب والعقاب والبعث بعد الممات[2]، منكرين قدرة الله على إعادتهم خلقًا جديدًا بعد فنائهم وبلائهم[3].

إنهم يستبعدون أن يخلقهم الله خلقًا جديدًا، بعد موتهم ودفنهم، وتحول أجسامهم إلى رفات يغيب في الأرض، ويختلط بذراتها، ويضل فيها، فماذا في هذا من غرابة أمام النشأة الأولى؟ لقد بدأ الله خلق الإنسان من طين، من هذه الأرض التي يقولون إن رفاتهم سيضل فيها ويختلط بها، فالنشأة الآخرة شبيهة بالنشأة الأولى، وليس فيها غريب ولا جديد!"[4].

لقد تعجبوا من قضية البعث وأنكروها بل زعموا أن لن يبعثوا كما قال تعالى: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ٧﴾[التغابن:7]، إنها قضية متجذرة في عقولهم، راسخة في أذهانهم، ولكن الحقيقة التي يخالطها شك أن الله تعالى يبعثهم، ويحاسبهم، وذلك على الله يسير وهين غير صعب ولا مستحيل.

إنهم تعجبوا من الإحياء بعد الموت، قال تعالى: ﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقٗا جَدِيدٗا ٤٩﴾[الإسراء:49]، وقال سبحانه: ﴿ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقٗا جَدِيدًا ٩٨﴾[الإسراء:98]، قال الطبري: "يقولون: نُبعث بعد ذلك خلقا جديدا. كما ابتدأناه أوّل مرّة في الدنيا استنكارا منهم لذلك، واستعظاما وتعجبا من أن يكون ذلك"[5].

---

[1] ابن سلام، تفسير يحيى بن سلام (687/2)

[2] انظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (346/16)

[3] المرجع السابق (358/16)

[4] انظر: سيد قطب، في ظلال القرآن (2811/5)

[5] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (562/17)

وقال عز وجل عن تعجبهم من البعث: ﴿يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي ٱلْحَافِرَةِ ۝١٠ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا نَّخِرَةً ۝١١﴾[النازعات:10-11]. يقول القرطبي: "أي يقول هؤلاء المكذبون المنكرون للبعث، إذا قيل لهم إنكم تبعثون، قالوا منكرين متعجبين: أنرد بعد موتنا إلى أول الأمر، فنعود أحياء كما كنا قبل الموت؟ وهو كقولهم: أإنا لمبعوثون خلقا جديدًا"[1].

يقولون إذا قيل لهم: "إنكم تبعثون منكرين له متعجبين منه، أئنا لمردودون بعد موتنا في الحافرة"[2].

وبيّن ابن عاشور أن ظرف (إذا) في قوله: {أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً} هو "مناط التعجب وادعاء الاستحالة، أي إذا صرنا عظامًا بالية فكيف نرجع أحياء"[3].

وقال سبحانه في سياق الكلام عن استبعادهم من البعث بعد الموت: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ۝٧﴾[سبأ:7]، قال الثعلبي: "وقال الذين كفروا منكرين للبعث متعجبين منه: هل ندلكم على رجل ينبئكم: يخبركم، يعنون: محمدًا عليه السلام {إِذَا مُزِّقْتُمْ}: قطعتم وفرقتم كل ممزق وصرتم رفاتًا إنكم لفي خلق جديد"[4]. وبيّن أبو حيان أنهم قالوا ذلك على سبيل التعجب، قال: "{الَّذِينَ كَفَرُوا}: هم قريش، قال بعضهم لبعض على جهة التعجب والاستهزاء، كما يقول الرجل لمن يريد أن يعجبه: هل أدلك على قصة غريبة نادرة؟ لما كان البعث عندهم من المحال، جعلوا من يخبر عن وقوعه في حيز من يتعجب منه"[5].

---

[1] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (196/19)

[2] أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (97/9)

[3] ابن عاشور، التحرير والتنوير (70/30)

[4] الثعلبي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن (70/8)

[5] أبو حيان، البحر المحيط في التفسير (521/8)

الدروس والقيم التربوية المستفادة:

- الله تعالى قادر على خلق الخلق بعد فنائه مرة أخرى، وإيجاده من العدم، فلا يُعجزه شيء، وهو على كل قدير.
- من مقتضيات الإيمان أن يؤمن الناس بأن الله تعالى سيبعثهم من بعد الموت، ويعيد خلقهم ليوم القيامة، فمن أحسن فله الحسنى، ومن أساء فله الأخرى.
- إنكار قدرة الله تعالى، وجحد الإحياء بعد الموت بعد الصيرورة ترابًا ورفاتًا، كفر ومجازفة بالنفس ومخاطرة بها، لأن ذلك تعدٍ على صفات الله تعالى واتهام بالعجز، وهذا ذنب كبير، وجرم عظيم.
- المؤمن يؤمن بأن الموت حق، ويؤمن بأن البرزخ حق، وهو المرحلة التي بين الدنيا والآخرة، ويؤمن أن الله تعالى يبعث من في القبور، ويحييهم بعد موتهم، فيجمعهم للحساب في ساحات يوم القيامة.
- على الدعاة أن يذكّروا الناس بيوم البعث، ولا يغفلوا عن ذلك، واستثمار الوسائل والآليات لإيصال تلك الحقيقة التي غفل عنها الكثير، وما عادوا يذكرونها أو يعملون لها، بسبب التعلق بالدنيا وملذاتها وشهواتها وزخرفها، وازدحام ذلك في حياتهم.

المطلب الخامس: تعجّبُ كفار مكة من القرآن الكريم

قال تعالى: ﴿أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [النجم:59]

في هذه الآية الكريمة توبيخ[1] من الله تعالى لمشركي قريش؛ لأنهم كانوا يتعجبون من هذا القرآن الذي أنزل على نبي الله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، ويضحكون منه استهزاءً[2]، ويقرّعهم بأنهم لا يبكون مما فيه من الوعيد والتهديد للعاصين والمذنبين والكافرين، فالأصل بهم أن ينزجروا ويخافوا خوفًا شديدًا يُفضي بهم

[1] انظر: ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (210/5)، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (122/17)، ابن عاشور، التحرير والتنوير (160/27)

[2] انظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (558/22)، الماوردي، النكت والعيون (407/5)، البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن (319/4)، الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (430/4)، ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير (195/4)، البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل (163/5)، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (468/7)

إلى البكاء لئلا يقع عليهم العذاب، لا أن يضحكوا سخرية واستهزاء، أو يُعرضوا عنه تكبرًا، أو يغفلوا عنه لهوًا ولعبًا وغناء، فحالهم عند نزول القرآن الكريم أو سماعه التعجب تكذيبًا[1] وإنكارًا[2]. وهذا الحديث جد عظيم يلقي على كاهل الناس واجبات ضخمة وفي الوقت ذاته يقودهم إلى المنهج الكامل، فمم يعجبون؟ ومم يضحكون؟ وهذا الجد الصارم، وهذه التبعات الكبيرة، وما ينتظر الناس من حساب على حياتهم في الأرض.. كله يجعل البكاء أجدر بالموقف الجد، وما وراءه من الهول والكرب.. وهنا يرسلها صيحة مدوية، ويصرخ في آذانهم وقلوبهم، ويهتف بهم إلى ما ينبغي أن يتداركوا به أنفسهم، وهم على حافة الهاوية: {فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا} وإنها لصيحة مزلزلة مذهلة في هذا السياق، وفي هذه الظلال، الذي ترتعش له القلوب[3].

وبمجرد تعجبهم من إنزال الله تعالى فقد أساؤوا إلى الله تعالى، وما قدروه حق قدره، كما قال سبحانه: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ﴿٩١﴾﴾[الأنعام:91].

الدروس والقيم التربوية المستفادة:

- القرآن الكريم كتاب هداية ورحمة، من تمسك به أفلح ونجا، وشَرُف وعلا، وارتقى وسمى، واهتدى واكتفى، لأن أهله يتدبرونه ويتلونه حق تلاوته، فيعملون به، ويتأثرون بمواعظه، فيكتب لهم الأجر كاملًا، والثواب جزيلًا، بينما الكافرون الذين يتعجبون منه، ويستهزؤون ويضحكون منه، ويكذبون به، فلهم الويل والعذاب.
- كل من تسول له نفسه الضحك من القرآن الكريم ومما فيه يتعرض للمقت والتوبيخ، لأن الأصل الاستماع له والإنصات، لوعده ووعيده، وأمره ونهيه، والاتعاظ به، فينبغي أن تتأثر منه النفوس، وتلين له القلوب، وتبكي له العيون.

---

[1] انظر: السمرقندي، بحر العلوم (367/3)، الشوكاني، فتح القدير (142/5)

[2] انظر: البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل (163/5)، النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل (398/3)، ابن عجيبة، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد (518/5)

[3] انظر: قطب، في ظلال القرآن (3419/6)

- على المؤمن أن يكون اتصاله بالقرآن الكريم اتصالًا وثيقًا، فيكثر من تلاوته وقراءته، ويحفظ ما استطاع منه، ويجتهد أن يحفظه كاملًا، ويجاهد نفسه في فهمه وتدبر معانيه، ويجلس على مائدته كثيرًا، وقبل ذلك وبعده يعمل بأحكامه، فيأتمر بأمره، وينتهي بنهيه، ويوقّره ويجلّه ويعظّمه أشد التوقير والإجلال والتعظيم، ولا يخوض مع من يخوض في آيات الله تعالى، ولا يتطاول على القرآن الكريم مع من تسول له أن يتطاول، سواء بالضحك أو السخرية أو اللمز، لأن القرآن الكريم المعجزة الكبرى لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم، فمن ضحك منها وسخر يفعل كما فعل فرعون حينما ضحك وسخر من معجزة نبي الله موسى عليه السلام.

المطلب السادس: تعجّب المنافقين من نزول الآيات التي تكشف أسرارهم

قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ نَّظَرَ بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٍ هَلۡ يَرَىٰكُم مِّنۡ أَحَدٖ ثُمَّ ٱنصَرَفُواْۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ ١٢٧﴾[التوبة:127]

هذه الآية تبيّن الحالة النفسية لدى المنافقين، حيث تظهر انفعال التعجب عندهم، كيف انكشفت الأسرار التي كانوا يُخفونها لبعض ولم يسمعها أحد؟ ومن أين عرف النبي صلى الله عليه وسلم أخبارهم؟ هل من أحد ينقل أسرارهم للنبي صلى الله عليه وسلم؟

قال ابن عطية: "الضمير في قوله {بَعْضُهُمْ} عائد على المنافقين، والمعنى وإذا ما أنزلت سورة فيها فضيحة أسرارهم {نَظَرَ بَعْضُهُمْ إلى بَعْضٍ} على جهة التقريب، يفهم من تلك النظرة التقرير: هل معكم من ينقل عنكم؟ هل يراكم من أحد حين تدبرون أموركم؟ وقوله تعالى: {ثُمَّ انْصَرَفُوا} معناه عن طريق الاهتداء. وذلك أنهم حين ما يبين لهم كشف أسرارهم والإعلام بمغيبات أمورهم يقع لهم لا محالة تعجب وتوقف ونظر، فلو اهتدوا لكان ذلك الوقت مظنة ذلك، فهم إذ يصممون على الكفر ويرتبكون فيه كأنهم انصرفوا عن تلك الحال التي كانت مظنة النظر الصحيح والاهتداء"[1].

[1] ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (99/3)، وانظر: الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن (231/3)

وقيل: معنى {نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ} على وجه التعجب مما ينزل في القرآن من كشف أسرارهم[1].

قال ابن عاشور: "ويدل أيضا على أن السورة مشتملة على كشف أسرارهم وفضح مكرهم؛ لأن {نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ} هو نظر تعجب واستفهام... ويدل أيضا على أنهم كاتمون تعجبهم من ظهور أحوالهم خشية الاعتراف بما نسب إليهم، ولذلك اجتزوا بالتناظر دون الكلام. فالنظر هنا نظر دال على ما في ضمير الناظر من التعجب والاستفهام. وجملة: {هَلْ يَرَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ} بيان لجملة نظر بعضهم إلى بعض، لأن النظر تفاهموا به فيما هو سر بينهم فلما كان النظر نظر تفاهم صح بيان جملته بما يدل على الاستفهام التعجيبي، والتقدير: وإذا ما أنزلت سورة فيها فضيحة أمرهم نظر بعضهم إلى بعض بخائنة الأعين مستفهمين متعجبين من اطلاع النبي صلى الله عليه وسلم على أسرارهم، أي هل يراكم من أحد إذا خلوتم ودبرتم أموركم، لأنهم بكفرهم لا يعتقدون أن الله أطلع نبيه –عليه الصلاة والسلام– على دخيلة أمرهم"[2].

الدروس والقيم التربوية المستفادة:

- المنافقون مفضوح أمرهم، مكشوفة أسرارهم، معلومة أخبارهم، لأن صفاتهم وأساليبهم معروفة، يظهر ذلك من انفعالات وجوههم، وإشارات عيونهم، وسوء تعاملهم مع المؤمنين، وبغضهم لهم، ولذلك وجب الحذر والتحذير منهم.
- يستعمل المنافقون كثيرًا إشارات العيون بينهم، للمز المؤمنين والاستهزاء بهم واحتقارهم؛ فيلمزون المتصدقين والمطّوعين في الصدقات، وإذا مر المؤمنون بهم يتغامزون، وينظر بعضه إلى بعض إذا نزلت سورة من القرآن الكريم وغير ذلك.
- من انصرف عن الهداية من تلقاء نفسه، وأبى أن يستقيم، فإن الله تعالى يصرفه، ثم يجد نفسه مع الهالكين.

---

[1] انظر: ابن جزي، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، الكلبي الغرناطي (ت: 741هـ)، التسهيل لعلوم التنزيل، تحقيق: الدكتور عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم –بيروت، ط1، 1416هـ، (351/1)

[2] ابن عاشور، التحرير والتنوير (69/11)

المطلب السابع: تعجّب الكفار من شهادة جلودهم عليهم يوم القيامة

قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمۡ لِمَ شَهِدتُّمۡ عَلَيۡنَاۖ قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنطَقَ كُلَّ شَيۡءٖ وَهُوَ خَلَقَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٢١﴾[فصلت:21]

في هذه الآية الكريمة يبيّن الله تعالى تعجب أهل النار من تكلم جلودهم وشهادتها عليهم بما كانوا يعملون في الدنيا من آثام وذنوب وجرائم، قال سبحانه: ﴿ ٱلۡيَوۡمَ نَخۡتِمُ عَلَىٰٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَتُكَلِّمُنَآ أَيۡدِيهِمۡ وَتَشۡهَدُ أَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ٦٥﴾[يس:65]، فتتكلم الأيدي والأرجل والأفخاذ والفروج، وتشهد على صاحبها بما عمل، وتنطق كما ينطق اللسان، ويحدث هذا الحوار بين الشخص وأعضائه كأنه شخص آخر يتكلم معه ويحاوره، ويتعجب من ذلك كل العجب كيف تنطق هذه الأعضاء، ولكن لا غرابة في ذلك أبدًا، لأن الله تعالى هو الذي أنطقها بعدما ختم على لسانه، وهو سبحانه قادر على كل شيء لا يعجزه أمر، وقد أنطق الحجر والشجر والدواب في الدنيا، والنار تنطق وتتكلم يوم القيامة، والقرآن يأتي يحاجج ويشفع لصاحبه، والصيام يشفع كذلك، فلا غرابة إذن في أن تنطق الجوارح والأعضاء والجلود، لكن هذا الشخص يتعجب من شهادة أعضاء جسمه عليه؛ لأنه كان يناضل من أجلها حتى لا تُعذّب في النار، فيكون قد زاد على انفعال التعجب انفعال اللوم، فيتعجب منها ويلومها في الوقت نفسه، وقد أخبرنا الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم بهذا الحوار، فَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَضَحِكَ، فَقَالَ: (هَلْ تَدْرُونَ مِمَّ أَضْحَكُ؟) قَالَ قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: (مِنْ مُخَاطَبَةِ الْعَبْدِ رَبَّهُ، يَقُولُ: يَا رَبِّ أَلَمْ تُجِرْنِي مِنَ الظُّلْمِ؟ قَالَ: يَقُولُ: بَلَى، قَالَ: فَيَقُولُ: فَإِنِّي لَا أُجِيزُ عَلَى نَفْسِي إِلَّا شَاهِدًا مِنِّي، قَالَ: فَيَقُولُ: كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ شَهِيدًا، وَبِالْكِرَامِ الْكَاتِبِينَ شُهُودًا، قَالَ: فَيُخْتَمُ عَلَى فِيهِ، فَيُقَالُ لِأَرْكَانِهِ: انْطِقِي، قَالَ: فَتَنْطِقُ بِأَعْمَالِهِ، قَالَ: ثُمَّ يُخَلَّى بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْكَلَامِ، قَالَ فَيَقُولُ: بُعْدًا لَكُنَّ وَسُحْقًا، فَعَنْكُنَّ كُنْتُ أُنَاضِلُ)[1].

[1] مسلم، صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، بابٌ، حديث (2969)، (2280/4)

فالكافر حينئذ يكاد لا يصدق ما يسمع وما يرى، يتعجب من هذا الحوار مع أعضائه، قال الفراء: "فكأنَّهم خاطبوا رجالًا إذ كلمتهم وكلّموها"[1].

وقوله تعالى: {وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنا} سؤال توبيخ[2] ومعاتبة وملامة وتعجب، قال الماتريدي: "أنطق ألسنتهم حتى يعاتبوا الجوارح في شهادتها عليهم"[3]. وأما الزمخشري ففسر الآية قائلًا: "والمعنى: أنّ نطقنا ليس بعجب من قدرة الله الذي قدر على إنطاق كل حيوان، وعلى خلقكم وإنشائكم أوّل مرّة، وعلى إعادتكم ورجعكم إلى جزائه[4].

وقال البيضاوي: "سؤال توبيخ أو تعجب، ولعل المراد به نفس التعجب. {قالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ} أي ما نطقنا باختيارنا بل أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء، أو ليس نطقنا بعجب من قدرة الله الذي أنطق كل حي"[5]. وقال أبو السعود: "سألوها سؤال تعجب فالمعنى حينئذٍ ليس نطقنا بعجبٍ من قدرة الله الذي أنطق كل حي"[6]. "لا قصد هنا للسؤال أصلاً، وإنما قصد به ابتداء التعجب؛ لأن التعجب يكون فيما لا يعلم سببه وعلته فالسؤال عن العلة المستلزم لعدم معرفتها جعل مجازاً أو كناية عن التعجب لأنه قيل: إذا ظهر السبب بطل العجب"[7]. فالاستفهام هنا للتوبيخ والتعجب[8].

---

[1] الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي، (ت: 207هـ)، معاني القرآن، بدون ذكر السنة والطبعة والدار النشر، (35/2)

[2] انظر: حقي، روح البيان في تفسير القرآن (248/8)، ابن عاشور، التحرير والتنوير (268/24)

[3] الماتريدي، تأويلات أهل السنة (533/8)

[4] الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (195/4)

[5] البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل (69/5)، وانظر: النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل (233/3)، الشربيني، السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير (513/3)

[6] أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (10/8)، وانظر: ابن عجيبة، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد (170/5)

[7] انظر: الخفاجي، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر المصري (ت: 1069هـ)، حاشيه الشهاب علي تفسير البيضاوي، المسماة: عنايه القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي، دار صادر –بيروت، (395/7)

[8] انظر: درويش، محيي الدين بن أحمد مصطفى (ت: 1403هـ)، إعراب القرآن وبيانه، دار ابن كثير –دمشق، ط4، 1415هـ، (547/8)، طنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم (342/12)، الصابوني، محمد علي (ت: 2021م)، صفوة التفاسير، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع –القاهرة، ط1، 1417هـ–1997م، (111/3)

ولقد ذكر الله تعالى شهادة الأرجل والأيدي يوم القيامة فقال: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾﴾[النور:24]، وقال عز وجل: ﴿ الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾﴾[يس:65].

الدروس والقيم التربوية المستفادة:

- المؤمن يعلم أن أعضاءه تشهد عليه يوم القيامة، فيحرص على أن يستخدمها في طاعة الله تعالى، واستعمالها بما يُرضي الله سبحانه من الأعمال الصالحة، حتى تشهد له بالخير، وتشفع له عند الله تعالى يوم القيامة، فيفرح بتلك الشهادات، وينجو من العذاب.
- الكافر تكثر انفعالاته يوم القيامة؛ فمن التعجب إلى الندم ثم الحسرة الشديدة ثم الخوف والحزن، وأكثر ما يزيده ألمًا وحسرة حينما تشهد أعضاؤه عليه بالجرائم والآثام والمعاصي والذنوب، لأنه لم يكن يتوقع أبدًا أن تشهد عليه يده ورجله وجلده، وقد كان يناضل ويكافح من أجلها.
- المؤمن لا يتعجب من نطق الأعضاء يوم القيامة، لأنها تنطق بأمر الله تعالى، وهو سبحانه قادر على كل شيء، لا يُعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، ولا في الدنيا أو في الآخرة، فالأمر أمره، وكل ما في الوجود والكون تحت سلطانه وقوته وبين يديه.

المطلب الثامن: تعجّب أهل النار من عدم وجود أناس كانوا يعدونهم من أهل النار

قال تعالى: ﴿وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ الْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾ أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ ﴾[ص: 62-63]

في هذه الآية الكريمة يظهر انفعال التعجب على أهل النار، وخاصة الذين كانوا يعدّون أنفسهم من الكبراء والزعماء، حيث كانوا يسخرون من ضعفاء المؤمنين لفقرهم وضعفهم في الدنيا، فلما كان يوم الحساب ودخل أولئك الأشرار النار، ظنوا أن ضعفاء المؤمنين معهم يُعذبون، ففقدوهم وبحثوا عنهم فلم يجدوهم، فسأل بعضهم بعضًا على سبيل التعجب والاستغراب: ما بالنا لا نرى الذين كنا نعدهم من الأشرار؟

قال بعضهم: من الأرذال، وقال بعضهم: كنا نعدهم من شرار قومنا؛ لأنهم قد تركوا دين آبائهم[1].

قال الطبري في تفسير الآية: "قال الطاغون الذين وصف جلّ ثناؤه صفتهم في هذه الآيات، وهم فيما ذُكر أبو جهل والوليد بن المُغيرة وذووهما: (مَا لَنَا لا نَرَى رِجَالا) يقول: ما بالنا لا نرى معنا في النار رجالا (كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الأشْرَارِ) يقول: كنا نعدهم في الدنيا من أشرارنا، وعنوا بذلك فيما ذُكر صُهَيْبا وخَبَّابا وبِلالا وسَلْمان"[2].

وقوله سبحانه: {أَتَّخَذْنَاهُمْ} استفهام بمعنى التعجب والتوبيخ[3]. فالألف ألف التوبيخ والتعجب، والعرب تذكر مثل هذه الألف على طريق التوبيخ والتعجب[4]. ومعناه: توبيخ أنفسهم على اتخاذهم المؤمنين سخريًا[5].

قال الألوسي: "قال الطاغون بعضهم لبعض على سبيل التعجب والتحسر {ما لَنا لا نَرى رِجالًا كُنَّا} في الدنيا {نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرارِ} أي الأراذل الذين لا خير فيهم ولا جدوى، يعنون بذلك فقراء المؤمنين، وكانوا يسترذلونهم ويسخرون منهم لفقرهم ومخالفتهم إياهم في الدين"[6].

وهنا يعلم أولئك الكافرون الطاغون أنهم كانوا خاطئين، فتبدأ الخصومات بينهم كما قال الله تعالى مباشرة بعد الآيتين: ﴿ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ ﴿٦٤﴾ ﴾[ص: 64]، فيا لها من مصيبة وطامة وخسارة!

الدروس والقيم التربوية المستفادة:

- حسرات الكافرين كثيرة، ومن أكبر حسراتهم يوم يُجرّون إلى النار –وقد كانوا في الدنيا معززين منعّمين– وهم يحسبون أن الضعفاء والفقراء سيكونون هناك، فتكون المفاجأة الكبرى؛ أنهم في النار، وأما الضعفاء ففي جنات النعيم، فلا ينفعهم تعجب ولا استغراب، ولا حسرة ولا ندامة.

---

[1] السمعاني، تفسير القرآن (451/4)

[2] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (232/21)

[3] انظر: الفراء، معاني القرآن (411/2)، الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (233/21)، الثعلبي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن (215/8)، ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير (581/3)

[4] انظر: السمعاني، تفسير القرآن (451/4)

[5] انظر: ابن جزي، التسهيل لعلوم التنزيل (212/2)

[6] الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (208/12)، وقال مثله المراغي؛ انظر: المراغي، تفسير المراغي (134/23)

- المؤمن الذي ليس له نفوذ ولا سلطة أفضل عند الله تعالى من الكافر ذي السلطان أو الغني، لأن الله تعالى لا ينظر إلى الأشكال والنفوذ، ولكن ينظر إلى القلوب والأعمال.

الخاتمة

الحمد لله في الأولى والآخرة، على ما وفق من إتمام هذه الدراسة عن الانفعالات النفسية للكافرين التي وردت في القرآن الكريم، حيث أظهرت انفعالاتهم وبيّنت تصرفاتهم على اختلاف أماكنهم وأزمانهم، وقد توصلت هذه الدراسة إلى نتائج أهمها:

- اهتم القرآن الكريم بالانفعالات النفسية كثيرًا، وما هذا إلا اهتمام بالنفس البشرية، ولا غرابة في ذلك، فإن القرآن الكريم نزل لتزكية النفوس وتهذيبها وتقويمها.
- أخذ القصص القرآني حيزًا كبيرًا من آيات القرآن الكريم، وكان هذا الكم الكبير زاخرًا بكثير من الانفعالات النفسية الدقيقة والمعبرة التي أبرزت حقيقة الكافرين.
- كثرة الآيات التي تحدثت عن الانفعالات النفسية لدى الكافرين، يدل على مدى عنادهم ولجاجتهم في مواجهة أنبيائهم ورسلهم عليهم السلام.
- النفس الإنسانية مكان واسع وكبير، يحوي العديد من الانفعالات الإيجابية والسلبية، وبناء على شدة الانفعال وقوته تكون ردة الفعل والتأثر على شكل تصرفات وحركات وتعبيرات.
- الانفعالات تؤثر في دفع الفرد نحو شكل محدد من أشكال السلوك وأنماطه، فإنها تؤثر في قراراته تأثيرًا شديدًا، فهذه الانفعالات هي الدافعة والمحركة لتصرفات الشخص وسلوكه وتعامله مع الآخرين.
- الانفعالات النفسية تصاحبها مظاهر جسمية خارجية تبدو على قسمات الوجه وملامح العين ونبرات الصوت وهيئة البدن وحركات الجسم، وأكثر مظاهر الانفعالات تبدو على الوجه، لأن تعبيرات الوجه تؤدي دورًا مهمًا في عملية التواصل بين المرسِل والمرسَل إليه، فهذه التعبيرات تنقل رسائل المرسِل النفسية إلى الطرف المتلقي، تعبيرًا وانعكاسًا لما في داخله.
- الانفعالات النفسية لها آثار على الشخص، فإن كان الانفعال شديدًا فإن تأثير ذلك على التصرف والسلوك والتفكير يكون كبيرًا، ويكون أكثر هيجانًا وتوترًا، وبالتالي فهو يُفرّغ توتره وانفعاله من خلال تصرفاته وسلوكه.

- قسم من الانفعالات النفسية الواردة في القرآن الكريم لدى الكافرين يكون في الدنيا، وقسم منها يكون في أمور الدنيا والآخرة، فالغضب والضحك والفرح والكره مما يكون في الدنيا، والخوف والندم والعبوس والقلق واللوم واليأس والحزن والتعجب مما يكون في الدنيا والآخرة.
- المنافقون أشد الناس خوفًا وأكثرهم فزعًا، وخاصة أثناء المواجهة والقتال، حيث يصيبهم الفزع والهلع والرعب والجبن والخوف الشديد، حتى تظهر كل هذه الانفعالات على وجوههم، وعيونهم، فتأخذ بالدوران المستمر.
- خوف المؤمن يختلف عن خوف الكافر؛ وهذا ينعكس على وجه صاحبه حسب الباعث للخوف، لأن الوجوه مرآة مشاعر الإنسان وانفعالاته وأحاسيسه، فالكافر يسودّ وجهه، وتعلوه الكآبة والغبرة، والذلة والمهانة والعار، بينما المؤمن فوجهه مشرق منير، لأنه خاف من الله فخشيه واتقاه، فاقترب منه.
- المنافقون أمنياتهم صغيرة، يتحسرون على العرض الزائل، ويندمون على عدم حصولهم على الفتات الذي يتلف وينتهي بعد ساعة أو اثنتين.
- من أعظم وأكبر أسباب الحسرة والندامة يوم القيامة مخالفة أمر الرسول صلى الله عليه وسلم وعدم اتباعه في الدنيا.
- أكثر ما يندم عليه الكافر يوم القيامة إنفاقه المال للصد عن سبيل الله تعالى، والصحبة السيئة التي منعته من اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم.
- ظهر انفعال الغضب عند المنافقين في أكثر من موضع في القرآن الكريم، كعضّهم أناملهم من الغيظ، وهو كناية عن شدة غضبهم على المسلمين، وتحسرهم على ما هم فيه من الضعف، وشدة غيظهم بسبب ما وصل إليه المسلمون من انتصارات ونفوذ وقوة وعلو، وبسبب انتشار الإسلام.
- استهزاء الكفار من شعائر الإسلام كالأذان والصلاة وغيرهما، ومن القرآن الكريم الذي هو أطهر وأقدس الكتب، يُظهر مدى العداء لهذا الدين، والحقد والقسوة اللذان يملآن قلوب هؤلاء الكفرة، لأن تأدية شعائر

الإسلام وتعظيمها، وتدبر القرآن الكريم وإجلاله، كل ذلك يطهر النفوس من أدران الكفر، ويزكيها ويهذبها ويقوّمها.

- أشد وأقسى أنواع العذاب في النار هو العذاب النفسي زيادة على العذاب البدني؛ كالتوبيخ والتبكيت والتحقير والإذلال والإهانة، وهذه عاقبة كل من سخر من المؤمنين ومن دينهم وشريعتهم وشرائعهم.
- أكثر ما يسبب انفعال العبوس لدى الكافرين سماعهم آيات القرآن الكريم، حينما تتلى عليهم، حيث يظهر في وجوههم المنكر، وهو العبوس، والكراهية، والتجهم، والبغض، والغضب، والحنق والغيظ.
- أكثر ما ظهر انفعال القلق عند الكافرين في نفوس زعمائهم، وخاصة عند فرعون، فقد كان أغلب وقته –بعد لقائه بموسى عليه السلام– قلقًا مضطربًا، غير مطمئن، لأنه بدأ يخاف على ملكه وسلطانه، وكان يعيش في قلق كبير، وتوتر محرق، وضغط نفسي شديد، إذ من أين يأتي بمعجزة كالتي أتى بها موسى عليه السلام، وكيف يواجهه، وهو الذي يدعي الربوبية والألوهية.
- أكثر ما يظهر انفعال اللوم في الآيات التي تحدثت عن مشاهد يوم القيامة، وخاصة أهل النار إذ يلوم بعضهم بعضًا؛ الأتباع يلومون القادة، والقادة يردون اللوم على الأتباع، من جميع أفواج النار المتلاحقة عبر قرون طويلة من الزمن، على ألسنة عديدة وكثيرة ومتنوعة، حيث الشعور بالذنب الذي ارتكبه كل شخص بحق نفسه، أو بحق الآخرين.
- من أصعب المشاهد التي كشفت عن حجم العذاب النفسي الذي يشعر به أهل النار، تلك الآية التي نقلت حوار إبليس مع أهل النار، حيث صوّرت مشهدًا رهيبًا يحيطه اللوم والتقريع والعتاب، والندم الشديد، والخسارة الفادحة، وهذا الحوار يُعد الضربة القاتلة بالنسبة لهم.
- اليأس من الانفعالات النفسية التي تصاحب الكافر في الدنيا والآخرة، وأشد العذاب حين ييأسوا من رحمة الله وجنته وعفوه ومغفرته، لما يعاينوا العذاب الأليم يوم القيامة، فما أشد يأسهم، حينما ينقطع رجاؤهم، ويخيب أملهم، وهذا اليأس من أوائل العقوبات وأشدها في نفوس الكافرين لما فيه من حسرة وندامة وخيبة، ولا عقوبة أشد من ذلك.

- أكثر ما يُفْرِح المنافقين تخلفهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في مواطن القتال، وقعودهم في منازلهم، وكذلك ما يصيب المؤمنين من شِدّة، أو محنة، أو ضرر، أو بلاء، وفرحهم هذا انفعال نفسي جماعي، يشعرون به كلهم جميعًا، حيث تغمرهم الفرحة، يعبرون عما في داخلهم من النشوة واللذة والسرور والانبساط.
- يخاطَبُ أهل النار خطابًا يتضمن التبكيت والتأنيب والتقريع والتوبيخ، زيادة على ما هم عليه من الأسى والحزن والعذاب والذلة والمهانة، وأن كل هذا العذاب الذي هم فيه بسبب فرحهم الذي كانوا يفرحونه في الدنيا بالمعاصي والباطل ويرضون به، وبسبب مرحهم الذي هو الأشر والبطر والاستهزاء والخيلاء والتكبر.
- إن إحقاق الحق وإعلاء كلمته، وإبطال الباطل وخذلانه، هي خاتمة الصراع ونهاية المواجهة بين الحق والباطل على مدار التاريخ، وامتداد مراحل الزمان، لأنه متى كان في عصر من عصور البشرية حق فلا بد أن يقابله باطل يحاول أهله المجرمون المفسدون أن يسيطروا على المجتمعات التي يعيشون فيها، ولكن كتب الله تعالى أن كلمته هي العليا، وأن جنده هم الغالبون، وأن كلمة الباطل والكفر هي السفلى، وأن أهلها هم الأذلاء الخاسرون.
- إن أكثر ما يكرهه المنافقون ظهور دين الله، وإعلاء شأن الإسلام، وعزة المؤمنين ونصرهم، فهذا أمر يغيظهم ويسيؤهم، ويملأ قلوبهم حقدًا وحسدًا وبغضًا، حتى تبدو الكراهية على وجوههم، لأنهم حريصون دائمًا على الكيد والمكر وإثارة الفتن، وتدبير المكايد والحيل في إبطال أمر الدين، والتآمر على الإسلام وشريعته وأحكامه.
- أشار القرآن الكريم إلى حزن الكافرين في الدنيا؛ كانتصار المؤمنين، وعلو شأنهم، وانتشار الإسلام، وإظهار شريعته على سائر الملل والشرائع والأديان، وكذلك أشار إلى أحزانهم الكثيرة يوم القيامة في أكثر من موضع دون ذكر لفظة الحزن، كما هو حالهم من الحسرة والندم والخوف واليأس والإبلاس،

وكل هذا مدعاة إلى الحزن الشديد، بالإضافة إلى ذلك فقد ذكر القرآن الكريم انفعال الحزن عند الكافر حينما تُنجب زوجته أنثى.

- انفعال التعجب يظهر عند الكفار من قضية البعث والإحياء بعد الموت من جديد، بعدما تتفرق لحومهم، وتصبح عظامهم نخرة، وتصير أجسادهم بالية، وتذهب في الأرض، وتعود ترابًا، ثم ينفخ فيها الروح فيعودون للحياة من جديد، ويخرجون من قبورهم للحساب، وهذا التعجب لأنهم ينكرون البعث، ويستبعدون إعادة خلقهم من جديد.
- يتعجب الكفار من نزول القرآن الكريم على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، من شهادة جلودهم عليهم يوم القيامة، ويتعجب المنافقون من كشف القرآن الكريم لأسرارهم التي كانوا يخفونها.

التوصيات

بعد هذه الدراسة المباركة أضع بعض التوصيات:

- أوصي الباحثين في الدراسات القرآنية الاهتمام بالقصص القرآني وما فيه من مشاهد، بكل جزئية من جزئيات الأحداث التي مرّ بها الأنبياء عليهم السلام وأتباعهم، والتركيز عليها، لا سيما أثناء دعوة الناس إلى عبادة الله تعالى، وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، ليكون ذلك زادًا للدعاة.
- أوصي علماء النفس المسلمين في زماننا بتكثيف دراساتهم وأبحاثهم على الانفعالات النفسية التي وردت في القرآن الكريم، للإفادة منها في مختلف الجوانب التربوية.
- أوصي الدعاة والمختصين في التعليم والإعلام والتربية بالاهتمام بالانفعالات النفسية الواردة في القرآن الكريم، للإفادة منها في تخصصاتهم.
- أوصي جميع العاملين لهذا الدين الاهتمام بالجانب التربوي كثيراً والتركيز عليه جيداً في الحلقات القرآنية والتربوية التي تقام بالمساجد، وأخذ الدروس والعبر الكثيرة من القصص القرآني، وخاصة التي يظهر فيها كيد الأعداء، لمعرفة كيفية التعامل والتصرف في المراحل والظروف التي تمر بها الدعوة، فدَوْر القرآن الكريم عظيم وكبير في التصدي للطغيان إذا اشتدت المحن، وعمّت الابتلاءات.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

[1] إبراهيم مصطفى/ أحمد الزيات/ حامد عبد القادر/ محمد النجار، المعجم الوسيط مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الدعوة، من دون ذكر الطبعة والسنة

[2] ابن أبو حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي (ت:327هـ)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: أسعد محمد الطيب، ط3، 1419هـ، مكتبة نزار مصطفى الباز –المملكة العربية السعودية

[3] ابن أبو عز الحنفي، صدر الدين محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد، الأذرعي الصالحي (ت:792هـ)، شرح العقيدة الطحاوية، تحقيق: جماعة من العلماء، تخريج: ناصر الدين الألباني، دار السلام للطباعة والنشر التوزيع والترجمة (عن مطبوعة المكتب الإسلامي)، ط1، 1426هـ–2005م

[4] ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري (ت: 606هـ)، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، 1399هـ–1979م، المكتبة العلمية –بيروت

[5] أحمد نكري، القاضي عبد النبي بن عبد الرسول (ت: ق 12هـ)، دستور العلماء (جامع العلوم في اصطلاحات الفنون)، عرّب عباراته الفارسية: حسن هاني فحص، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1421هـ–2000م

[6] أحمد، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (ت: 241هـ)، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط –عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط1، 1421هـ–2001م

[7] الأزهري، محمد بن أحمد الهروي، (ت: 370هـ)، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، ط1، 2001م، دار إحياء التراث العربي –بيروت

[8] الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، الأشقودري (ت: 1420هـ)، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط1

[9] الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، الأشقودري (ت: 1420هـ)، صحيح الجامع الصغير وزياداته، المكتب الإسلامي، من دون ذكر السنة والطبعة

[10] الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، الأشقودري (ت: 1420هـ)، صحيح وضعيف سنن الترمذي، برنامج منظومة التحقيقات الحديثية، المكتبة الشاملة، من دون ذكر السنة والطبعة

[11] الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني (ت: 1270هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، المحقق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية –بيروت، ط1، 1415هـ.

[12] أنيس، إبراهيم، دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو المصرية، ط3، 1976م.

[13] البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله الجعفي، (ت:256هـ)، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه (صحيح البخاري) –تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط1، 1422هـ، دار طوق النجاة

[14] البدوي، أحمد زكي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، بيروت، 1991م.

[15] برنهارت، علم النفس في الحياة العملية، ترجمة: د. إبراهيم عبد الله محي، مطبعة العاني، بغداد، ط3، 1386هـ–1967م

[16] البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء الشافعي (ت: 510هـ)، معالم التنزيل في تفسير القرآن، المحقق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي –بيروت، ط1، 1420هـ

[17] أبو بكر الجزائري، جابر بن موسى بن عبد القادر، أيسر التفاسير من دون ذكر الطبعة والسنة ودار النشر

[18] بني يونس، محمد محمود، سيكولوجية الدافعية والانفعالات، ط1، عمان: دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة. 2007م

[19] بيان الحق، محمود بن علي بن الحسين النيسابوريّ الغزنوي، (ت: بعد 553هـ)، باهر البرهان في معاني مشكلات القرآن، تحقيق: سعاد بنت صالح بن سعيد بابقي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1419هـ-1998م.

[20] البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي (ت: 685هـ)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1418هـ

[21] الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، (ت: 279هـ)، سنن الترمذي، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر وآخرون، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي –مصر، ط2، 1395هـ-1975م

[22] التهانوي، محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد الفاروقي الحنفي (ت: بعد 1158هـ)، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم، تحقيق: د. علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون –بيروت، ط1، 1996م

[23] ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (ت: 728هـ)، مجموع الفتاوى، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، 1416هـ-1995م.

[24] الثعالبي، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف (ت: 875هـ)، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، المحقق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط1، 1418هـ.

[25] الثعلبي، أحمد بن محمد بن إبراهيم (ت: 427هـ)، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، ط1، 1422هـ-2002م، دار إحياء التراث العربي، بيروت –لبنان

[26] الجبري، أسماء عبد العال، مظاهر الحزن عند الأطفال: دراسة مقارنة، بحث محكم، الجمعية المصرية للدراسات النفسية، 2006م

[27] الجبوري، محمد محمود، المدخل في علم النفس، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة صلاح الدين، 1984م.

[28] الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف (ت: 816هـ)، كتاب التعريفات، تحقيق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء، ط1، 1403هـ-1983م، دار الكتب العلمية بيروت –لبنان

[29] ابن الجزري، شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد بن يوسف (ت: 833هـ) النشر في القراءات العشر، المحقق: علي محمد الضباع، المطبعة التجارية الكبرى، من دون ذكر السنة أو الطبعة

[30] ابن جُزي، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، الكلبي الغرناطي (ت: 741هـ)، التسهيل لعلوم التنزيل، تحقيق: د. عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم –بيروت، ط1، 1416هـ

[31] جلال الدين محمد بن أحمد المحلي (ت: 864هـ) وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت: 911هـ)، تفسير الجلالين، دار الحديث، القاهرة، ط1.

[32] جلال، سعيد، المرجع في علم النفس، دار المعارف بمصر، 1974م.

[33] جلغوم، عبد الله، المعجم المفهرس الشامل لألفاظ القرآن الكريم، مركز تفسير للدراسات القرآنية، الرياض، ط1، 1436هـ-2015م

[34] ابن جني، أبو الفتح عثمان، الموصلي، (ت: 392هـ)، الخصائص، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط4.

[35] ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت: 597هـ)، زاد المسير في علم التفسير، المحقق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي –بيروت، ط1، 1422هـ

[36] ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت: 597هـ)، نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، تحقيق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي، ط1، 1404هـ-1984م، مؤسسة الرسالة –بيروت

[37] الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد الفارابي (ت: 393هـ)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط4، 1407هـ-1987م، دار العلم للملايين –بيروت

[38] أبو حبيب، سعدي، القاموس الفقهي لغة واصطلاحًا، ط: 2، دار الفكر. دمشق –سورية، 1408هـ-1988م

[39] حجاجرة، عرسان غازي، تهديدات الإنسان للإنسان في القرآن الكريم، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، 2016م

[40] ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد، الأندلسي القرطبي الظاهري (ت: 456هـ)، الفصل في الملل والأهواء والنحل، مكتبة الخانجي –القاهرة، بدون ذكر الطبعة والسنة.

[41] حقي، إسماعيل بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي، (ت: 1127هـ)، روح البيان في تفسير القرآن، دار الفكر –بيروت، دون ذكر الطبعة والسنة.

[42] حمودة، محمد عبد الرحمن، الطفولة والمراهقة المشكلات النفسية والعلاج، مركز الطب النفسي العصبي، بدون طبعة، 1991م

[43] حميد، صالح بن عبد الله، وآخرون، نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، ط4، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة

[44] الحميري، نشوان بن سعيد اليمني (ت: 573هـ)، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، تحقيق: د حسين بن عبد الله العمري، مطهر بن علي الإرياني، د. يوسف محمد عبد الله، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط1، 1420هـ-1999م

[45] أبو حيان، محمد بن يوسف الأندلسي، (ت: 745هـ)، تفسير البحر المحيط، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، شارك في التحقيق: د. زكريا عبد المجيد النوقي، د. أحمد النجولي الجمل، دار الكتب العلمية -لبنان، بيروت، ط1، 1422هـ

[46] أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت: 745هـ)، البحر المحيط في التفسير، تحقيق: صدقي محمد جميل، 1420هـ، دار الفكر، بيروت، من دون ذكر الطبعة

[47] الخازن، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم، (ت: 741هـ)، لباب التأويل في معاني التنزيل، دار الفكر -بيروت، 1399هـ-1979م، من دون ذكر الطبعة

[48] ختاتنة، سامي محسن، وأبو أسعد، أحمد عبد اللطيف، والكركي، وجدان خليل، مبادئ علم النفس، ط4، الأردن: دار المسيرة

[49] الخطابي، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي (ت: 388هـ)، غريب الحديث، تحقيق: عبد الكريم إبراهيم الغرباوي، وخرج أحاديثه: عبد القيوم عبد رب النبي، دار الفكر، 1402هـ-1982م، دون ذكر الطبعة

[50] الخفاجي، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر المصري (ت: 1069هـ)، حاشيه الشهاب علي تفسير البيضاوي، المسماة: عنايه القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي، دار صادر –بيروت

[51] درويش، محيي الدين بن أحمد مصطفى (ت: 1403هـ)، إعراب القرآن وبيانه، دار ابن كثير –دمشق، ط4، 1415هـ

[52] ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي (ت: 321هـ)، جمهرة اللغة، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، ط1، 1987م، دار العلم للملايين –بيروت

[53] ديكارت، رينيه، (ت: 1651م)، انفعالات النفس، ترجمة وتقديم وتعليق جورج زيناتي، ط1، دار المنتخب العربي –بيروت، 1413هـ–1993م.

[54] راجح، أحمد عزت (ت: 1968)، أصول علم النفس، ط:10، الإسكندرية: المكتب المصري الحديث للنشر والتوزيع، 1982م

[55] الرازي، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (ت: 666هـ)، مختار الصحاح، المحقق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية –الدار النموذجية، بيروت –صيدا، ط5، 1420هـ–1999م

[56] الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد (ت: 502هـ)، المفردات في غريب القرآن، المحقق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية –دمشق بيروت، ط1، 1412هـ.

[57] الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد (ت: 502هـ)، تفسير الراغب الأصفهاني، تحقيق ودراسة: د. محمد عبد العزيز بسيوني، كلية الآداب –جامعة طنطا، ط1، 1420هـ–1999م

[58] الراغب، عبد السلام أحمد، وظيفة الصورة الفنية في القرآن، فصلت للدراسات والترجمة والنشر –حلب، ط1، 1422هـ–2001م

[59] الرافعي، مصطفى صادق (ت: 1356هـ)، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الكتاب العربي –بيروت، ط8، 1425هـ–2005م

[60] رباح، جمال نمر، أسلوب التعجب في القرآن الكريم، بحث محكم، 2021م، المصدر: المجلة الدولية للدراسات اللغوية والأدبية العربية، مركز رفاد للدراسات والأبحاث

[61] ربيع، محمد شحادة (1438هـ–2017م)، أصول علم النفس، ط4، الأردن: دار المسيرة

[62] ابن رجب، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، الحنبلي (ت: 795هـ)، روائع التفسير (الجامع لتفسير الإمام ابن رجب الحنبلي)، جمع وترتيب: أبي معاذ طارق بن عوض الله بن محمد، دار العاصمة –المملكة العربية السعودية، ط1، 1422هـ–2001م

[63] رزوق، أسعد: موسوعة علم النفس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط3، 1987م،

[64] الزبيدي، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، (ت: 1205هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، مجموعة من المحققين، دار الهداية

[65] الزجاج، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق، (ت: 311هـ)، معاني القرآن وإعرابه، عالم الكتب –بيروت، ط1، 1408هـ–1988م

[66] زحيلي، وهبة بن مصطفى، (ت: 2015هـ) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر المعاصر، دمشق، ط2، 1418هـ

[67] الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، (ت: 538هـ)، أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط1، 1419هـ–1998م، دار الكتب العلمية، بيروت –لبنان

[68] الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، (ت: 538هـ)، الفائق في غريب الحديث والأثر، تحقيق: علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة –لبنان، ط2

[69] ابن زمنين، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري، الإلبيري (ت: 399هـ)، تفسير القرآن العزيز، تحقيق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة –محمد بن مصطفى الكنز، الفاروق الحديثة –مصر/ القاهرة، ط1، 1423هـ–2002م

[70] زهران، حامد عبد السلام، الصحة النفسية والعلاج النفسي، ط2، عالم الكتب، القاهرة، 1982م

[71] الزيلعي، علي بن محمد بن حسن، أحكام الضحك والتبسم: دراسة فقهية مقارنة، بحث محكم، المصدر: مجلة جامعة الباحة للعلوم الإنسانية، جامعة الباحة، 2019م

[72] السبيعي، عدنان، المدخل إلى عالم النفس الإنساني، ط1، دار قتيبة، دمشق، 1411هـ

[73] السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله (ت: 1376هـ)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ–2000م

[74] أبو السعود، محمد بن محمد العمادي، (ت: 982هـ)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، دار إحياء التراث العربي –بيروت، من دون ذكر الطبعة والسنة

[75] ابن سلام، يحيى بن أبي ثعلبة البصري (ت: 200هـ)، التصاريف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسمائه وتصرفت معانيه، تحقيق: هند شلبي، الشركة التونسية للتوزيع، 1979م

[76] ابن سلام، يحيى، بن أبي ثعلبة، التيمي (ت: 200هـ)، تفسير يحيى بن سلام، تحقيق: هند شلبي، دار الكتب العلمية، بيروت –لبنان، ط1، 1425هـ–2004م

[77] السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم (المتوفى: 373هـ)، بحر العلوم، المكتبة الشاملة، من دون ذكر الطبعة والسنة ودار النشر

[78] السمعاني، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى التميمي (ت: 489هـ)، تفسير القرآن، المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض –السعودية، ط1، 1418هـ–1997م

[79] السمين الحلبي، أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم (ت: 756هـ)، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، المحقق: الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، من دون ذكر الطبعة

[80] سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (ت: 1385هـ)، في ظلال القرآن، ط17، 1412هـ، دار الشروق – بيروت –القاهرة.

[81] سيد، فؤاد البهي، الأسس النفسية للنمو من الطفولة إلى الشيخوخة، دار الفكر العربي، ط4، دون تاريخ.

[82] ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل (ت: 458هـ)، المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، ط1، 1421هـ-2000م، دار الكتب العلمية –بيروت

[83] ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل (ت: 458هـ)، المخصص، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي –بيروت، ط1، 1417هـ-1996م

[84] الشافعي، أبو عبد الله محمد بن إدريس بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي (ت: 204هـ)، تفسير الإمام الشافعي، جمع وتحقيق ودراسة: د. أحمد بن مصطفى الفرَّان (رسالة دكتوراه)، دار التدمرية –المملكة العربية السعودية، ط1، 1427هـ-2006م

[85] الشربيني، شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (ت: 977هـ)، السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، 1285هـ، مطبعة بولاق (الأميرية) –القاهرة

[86] الشربيني، لطفي، معجم مصطلحات الطب النفسي، مؤسسة الكويت للتقدم الطبي

[87] الشعبيني، محمد مصطفى، مقالات في علم النفس، مكتبة النهضة المصرية، ط2، 1964م

[88] الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار الجكني (ت: 1393هـ)، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع –بيروت –لبنان، 1415هـ-1995م

[89] الشهري، عزة بنت عابس بن محمد، مبادئ التربية النفسية في القرآن الكريم وتطبيقاتها المعاصرة، رسالة دكتوراه جامعة أم القرى، كلية التربية المملكة العربية السعودية, 1436هـ-2015م

[90] الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله اليمني (ت: 1250هـ)، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، ط1، 1414هـ، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب –دمشق، بيروت

[91] الصابوني، محمد علي (ت: 2021م)، صفوة التفاسير، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع –القاهرة، ط1، 1417هـ–1997م

[92] صالح، قاسم حسين، الشعور بالذنب وعلاقته بالأمراض النفسية الجسمية المظهر: بحث ميداني –بحث محكم، جامعة بغداد -كلية الآداب، مجلة الآداب، ع61، 2002م،

[93] الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم (ت: 360هـ)، المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية –القاهرة، ط2، 1415هـ–1994م

[94] الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر (ت: 310هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط1، 1420هـ–2000م، مؤسسة الرسالة

[95] الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر (ت: 310هـ)، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط1، 1960م

[96] طنطاوي، محمد سيد، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة، القاهرة، ط1، 1997م

[97] طه، فرج عبد القادر، موسوعة علم النفس والتحليل النفسي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 2009م

[98] طيب، محمد عبد الطاهر، مبادئ الصحة النفسية، دار المعرفة، ط8، الإسكندرية، 1994م

[99] ابن عادل، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي الحنبلي الدمشقي النعماني (ت: 775هـ)، اللباب في علوم الكتاب، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، ط1، 1419 هـ-1998م، دار الكتب العلمية –بيروت

[100] ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: 1393هـ)، التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، الدار التونسية للنشر –تونس، 1984هـ، من دون ذكر الطبعة

[101] عباس حسن، النحو الوافي، دار المعارف، ط15، ج3، بدون تاريخ

[102] عبد الباقي، محمد فؤاد (ت: 1967م)، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم. ط4، بيروت: دار الفكر، 1994م

[103] عبد الحميد، شاكر، الفكاهة والضحك رؤية جديدة، مطابع السياسة، الكويت، 1423هـ-2003م

[104] عبد الخالق، أحمد، علم النفس أصوله ومبادئه، دار المعرفة الجامعية، دون ذكر السنة والطبعة.

[105] عبد الله، زيد عمر، الفرح دراسة قرآنية تربوية، بحث محكم، المصدر: مجلة جامعة الملك سعود - العلوم التربوية والدراسات الإسلامية، مج13، ع2، 2001م

[106] عبيدى، طلال خليفة سلمان، الحزن والأسى والكرب في القرآن الكريم: دراسة سيميائية، بحث محكم، جامعة بغداد -كلية الآداب، 2016م

[107] عتيبي، وليد بن حزام بن كديميس، التعجب في القرآن الكريم، دراسة تفسيرية موضوعية، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، 1433هـ.

[108] عثمان، عبد الكريم، (1401هـ-1981م)، الدراسات النفسية عند المسلمين والغزالي بوجه خاص، ط2، القاهرة، دار غريب

[109] عثمان، فاروق السيد، القلق وادارة الضغوط النفسية، القاهرة، دار الفكر العربي، 2000م

[110] ابن عثيمين، محمد بن صالح بن محمد (ت: 1421هـ)، شرح العقيدة الواسطية، تحقيق: سعد فواز الصميل، دار ابن الجوزي، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط5، 1419هـ

[111] ابن عجيبة، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (ت:1224هـ)، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الدكتور حسن عباس زكي –القاهرة، 1419هـ، من دون ذكر الطبعة

[112] ابن العديم، كمال الدين عمر بن أحمد، (ت: 660هـ)، بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق: د. سهيل زكار، دار الفكر –دمشق، ط1، 1978م

[113] عزيز، صالح ملا، تصوير الانفعالات النفسية في القرآن الكريم دراسة فنية، جامعة صلاح الدين، 2019م

[114] العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل (ت: نحو 395هـ)، الفروق اللغوية، حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة –مصر

[115] العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل (ت: نحو 395هـ)، الوجوه والنظائر، حققه وعلق عليه: محمد عثمان، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 1428هـ-2007م

[116] ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب الأندلسي (ت: 542هـ)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط1، 1422هـ، دار الكتب العلمية –بيروت

[117] علي، محمد أبو العباس، كتاب الإعراب الميسر، دار الطلائع، مدينة نصر، القاهرة، من دون ذكر تاريخ النشر

[118] الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الطوسي (ت: 505هـ)، تهافت الفلاسفة (ص: 252)، المحقق: الدكتور سليمان دنيا، دار المعارف، القاهرة –مصر، ط6، بدون ذكر السنة

[119] الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، (ت505هـ)، إحياء علوم الدين، دار المعرفة –بيروت، من دون ذكر الطبعة والسنة

[120] الفارابي، أبو النصر، محمد بن طرخان، (ت: 339هـ)، تحصيل السعادات، بوّبه وشرحه د. علي بو ملحم، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان، ط1، 1995م

[121] ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت: 395هـ)، مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، 1399هـ–1979م، دار الفكر

[122] الفخر الرازي؛ محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري، أبو عبد الله، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، دار الفكر، 1401هـ–1981م

[123] الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي، (ت: 207هـ)، معاني القرآن، بدون ذكر السنة والطبعة والدار النشر

[124] الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم البصري (المتوفى: 170هـ)، كتاب العين، تحقيق: د. مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال. من دون ذكر الطبعة والسنة

[125] ابن فورك، محمد بن الحسن الأصبهاني، (ت: 406هـ)، تفسير ابن فورك من أول سورة الأحزاب إلى آخر سورة غافر، دراسة وتحقيق: عاطف بن كامل بن صالح بخاري (ماجستير)، جامعة أم القرى –المملكة العربية السعودية، ط1، 1430هـ–2009م

[126] الفيروزآبادى، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب (ت: 817هـ)، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، المحقق: محمد علي النجار، ط:1، 1996م، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية –لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة

[127] الفيروزآبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب (ت: 817هـ)، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت –لبنان، ط8، 1426هـ–2005م

[128] القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق (ت: 1332هـ)، محاسن التأويل، تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط1، 1418هـ، دار الكتب العلميه –بيروت

[129] ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري (ت: 276هـ)، تأويل مشكل القرآن، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت

[130] القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك (ت: 465هـ)، لطائف الإشارات، تحقيق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب –مصر، ط3

[131] قلعجي، محمد رواس، وقنيبي، حامد صادق، معجم لغة الفقهاء، دار النفائس للطباعة والتوزيع، ط2، 1408هـ–1988م

[132] قوصي، عبد العزيز، علم النفس أسسه وتطبيقاته التربوية، ط8، القاهرة: مكتبة النهضة العصرية. بدون ذكر تاريخ.

[133] ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب (ت: 751هـ)، إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، تحقيق: محمد حامد الفقي، مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية

[134] ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد (ت: 751هـ)، تفسير القرآن الكريم، تحقيق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان، دار ومكتبة الهلال –بيروت، ط1، 1410هـ

[135] ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد (ت: 751هـ)، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي –بيروت، ط3، 1416هـ–1996م

[136] ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين (ت: 751هـ)، الروح، تحقيق: يوسف علي البدوي، دار ابن كثير، دون ذكر السنة والطبعة

[137] ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي البصري ثم الدمشقي، (ت: 774هـ)، تفسير القرآن العظيم –المحقق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2، 1420هـ–1999م

[138] ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي البصري ثم الدمشقي، (ت: 774هـ)، قصص الأنبياء، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، دار الكتب الحديثة، مطبعة دار التأليف، مصر، ط1، 1388هـ–1968م

[139] ابن كثير، ابو الفداء اسماعيل، (ت: 774هـ)، البداية والنهاية، حققه ودقق اصوله وعلق حواشيه علي شيري، دار إحياء التراث العربي، ط1، 1408هـ–1988م

[140] الكرماني، محمود بن حمزة بن نصر، (ت: نحو 505هـ)، غرائب التفسير وعجائب التأويل، دار القبلة للثقافة الإسلامية –جدة، مؤسسة علوم القرآن –بيروت

[141] الكفوي، أيوب بن موسى الحسيني القريمي، أبو البقاء الحنفي (ت: 1094هـ)، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق: عدنان درويش –محمد المصري، مؤسسة الرسالة –بيروت، من دون ذكر الطبعة والسنة

[142] الماتريدي، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور (ت: 333هـ)، تأويلات أهل السنة، المحقق: د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية –بيروت، لبنان، ط1، 1426هـ–2005م

[143] الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، (ت: 450هـ)، النكت والعيون، المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية –بيروت /لبنان

[144] الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، (ت: 450هـ)، أدب الدنيا والدين، دار مكتبة الحياة، 1986م، بدون ذكر الطبعة

[145] مجاهد، بن جبر، (ت: 104هـ)، تفسير مجاهد، المحقق: الدكتور محمد عبد السلام أبو النيل، دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر، ط1، 1410هـ–1989م

[146] محمد، جاسم محمد، علم النفس الإكلينيكي، ط1، مكتبة دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، 2004م

[147] محمد، عودة محمد، عيسى، كمال إبراهيم، الصحة النفسية في ضوء علم النفس والإسلام، ط 2، الكويت، 1986م

[148] مختار، أحمد عبد الحميد عمر (ت: 1424هـ)، معجم اللغة العربية المعاصرة، بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب، ط1، 1429هـ–2008م

[149] المراغي، أحمد بن مصطفى (ت: 1371هـ)، تفسير المراغي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط1، 1365هـ–1946م

[150] مرسي، كمال إبراهيم، السعادة وتنمية الصحة النفسية، دار النشر للجامعات، ط1، 1421هـ–2000م

[151] ابن مسكويه، أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب (ت: 421هـ)، تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، حققه وشرح غريبه: ابن الخطيب، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، من دون ذكر السنة

[152] مسلم، بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: 261هـ)، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم (صحيح مسلم)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي –بيروت، من دون ذكر الطبعة والسنة

[153] مسيهيج، خالد بن محمد، لغة الجسد في القرآن الكريم، ط1، 1441هـ-2020م، منشورات دار لوتس للنشر الحر

[154] مشيخي، غالب محمد، (1435هـ-2014م) أساسيات علم النفس ط3، الأردن: دار المسيرة

[155] مصطفى إبراهيم، وآخرون، المعجم الوسيط مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الدعوة، من دون ذكر الطبعة والسنة

[156] مصطفى، إبراهيم عبد الرحيم محمد، الانفعالات النفسية عند الأنبياء في القرآن الكريم، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، 2009م

[157] المطعمي، عبد العظيم إبراهيم، دراسات جديدة في إعجاز القرآن، ط1، مكتبة وهبة، القاهرة، 1996م

[158] معمرية، بشير، الفروق في الاكتئاب واليأس وتصور الانتحار وقلق الموت، قسم علم النفس وعلوم التربية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية

[159] مقاتل، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى (ت: 150هـ)، تفسير مقاتل بن سليمان، المحقق: عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث -بيروت، ط1، 1423هـ

[160] المقدسي، المطهر بن طاهر، (ت: 355هـ)، البدء والتاريخ، مكتبة الثقافة الدينية، من دون ذكر السنة والطبعة

[161] مكي، بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني (ت: 437هـ)، الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، تحقيق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي -جامعة الشارقة، بإشراف: الشاهد البوشيخي، مجموعة بحوث الكتاب والسنة -كلية الشريعة والدراسات الإسلامية -جامعة الشارقة، ط1، 1429هـ-2008م

[162] المناوي، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي (ت: 1031هـ)، التوقيف على مهمات التعاريف، ط1، 1410هـ-1990م، عالم الكتب 38 عبد الخالق ثروت، القاهرة

[163] منصور، طلعت، والشرقاوي، أنور، وعز الدين، عادل، وأبو عوف، فاروق، أسس علم النفس العام، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، دون ذكر الطبعة والسنة

[164] ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت:711هـ)، لسان العرب، ط3، 1414هـ، دار صادر -بيروت

[165] نجاتي، محمد عثمان، الحديث وعلم النفس، ط5، 1425هـ-2005م، القاهرة

[166] نجاتي، محمد عثمان، القرآن وعلم النفس، دار الشروق، بيروت، ط9، 1427هـ-2006م.

[167] نجاتي، محمد عثمان، علم النفس في حياتنا اليومية، دار النهضة العربية، القاهرة، ط5، 1999م

[168] نجاتي، محمد عثمان، علم النفس والحياة، دار القلم، الكويت، 1420هـ.

[169] النحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد النحوي (ت: 338هـ)، معاني القرآن، تحقيق: محمد علي الصابوني، جامعة أم القرى -مكة المكرمة، ط1، 1409هـ.

[170] النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، (ت: 303هـ)، المجتبى من السنن (السنن الصغرى للنسائي)، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية -حلب ط2، 1406هـ-1986م

[171] النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين (ت: 710هـ)، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، ط1، 1419هـ-1998م، دار الكلم الطيب، بيروت

[172] النيسابوري، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي، (ت: 850هـ)، غرائب القرآن ورغائب الفرقان، المحقق: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية –بيروت، ط1، 1416هـ.

[173] الهروي، أبو إسماعيل عبد الله بن محمد بن علي الأنصاري (ت: 481هـ)، منازل السائرين، دار الكتب العلمية –بيروت، دون ذكر سنة النشر

[174] الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت: 468هـ)، أسباب نزول القرآن، المحقق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، دار الإصلاح –الدمام، ط2، 1412هـ-1992م

[175] الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي، النيسابوري، الشافعي (ت: 468هـ)، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت –لبنان، ط1، 1415هـ-1994م

[176] ياسوف، أحمد، جماليات المفردة القرآنية، دار المكتبي –دمشق، ط2، 1419هـ-1999م

[177] ياسين، زين حسين، ألفاظ أحوال النفس وصفاتها في القرآن الكريم، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، 2009م

الملاحق

الملحق (أ)

غلاف البحث المستل من الأطروحة المنشورة في المجلة الدولية للاجتهاد القضائي

عنوان البحث: انفعال القلق عند الكافرين في القرآن الكريم

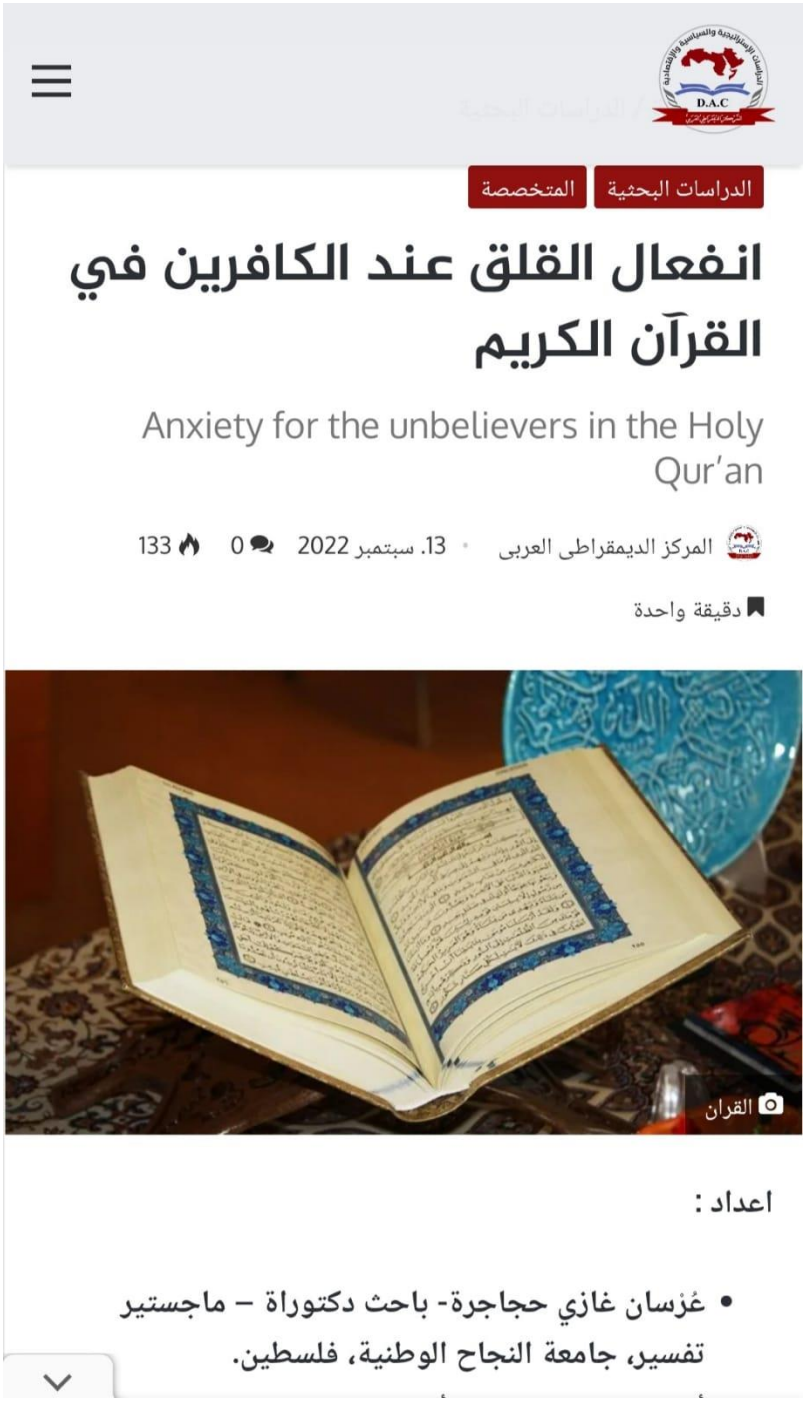

An- Najah National University

Faculty of Graduate Studies

EMOTIONS OF INFIDELS IN THE HOLY QUR'AN

By

Orsan Ghazi Ahmed Hajajra

Supervisor

Prof. Mohsen Al-Khalidi

This Dissertation is submitted in Partial Fulfillment of the Requirements for the Degree of PhD of Fundamentals of Religion, Faculty of Graduate Studies, An-Najah National University, Nablus, Palestine.

2022

EMOTIONS OF INFIDELS IN THE HOLY QUR'AN

By
Orsan Ghazi Ahmed Hajajra
Supervisor
Prof. Mohsen Al-Khalidi

Abstract

The aim of this study was twofold: to reveal the infidels' emotions as documented in the Holy Qur'an; and to explain the impact of their emotions on their behaviors, words and actions as well as their responses to the prophets' calls. The researcher has documented the many different emotions which the infidels had experienced in their confrontation with the believers. He has also highlighted the Holy Qur'an's interest in these emotions as documented in the suras. In addition, he has drawn lessons and educational values learned from these emotions/reactions in order to be a guiding light in the course of da'wa to Allah. The researcher has explained how these emotions were reflected on their psyches, facial expressions and manner of speaking; he also touched on how their responses were to the prophets' and their fellows' behaviors from Noah to the Prophet Mohammed, peace upon him. Furthermore, the researcher has also dwelt on the lessons drawn from these emotions in the believers' lives and those of religious scholars in particular who had carried the banner of da'wa (call). They are the heirs of the prophets, peace upon them, who spread Islam, its teachings with wisdom and kind exhortation.

The sole source of this study was the Holy Qur'an, a way of life, a plain statement for mankind in shari'a (*ahkam*), provision rulings, *ibadat* (religious observances) and path/march to Allah, relations between Muslim ummah (nation) and other nations/countries in times of war and peace. This is in addition to da'wa (call) to non-Muslims (to embrace Islam) and their possible reactions and state of their emotions.

It. In this study, the researcher has used the descriptive inductive approaches as well as the analytical deductive approaches.

He first listed the words and phrases when dwelt on the emotions of the non-believers, as illustrated in events, scenes and behaviors found in the Holy Qur'an, and showed where the terms occurred throughout all the chapters of the holy scripture. Then he studied and conducted an analysis of these emotions in accordance with the subjective interpretation approach of each emotion to understand the meaning of each term and the context in which those words and terms were used.

Based on the study findings, the researcher has concluded that the human psyche is a spacious place and is home to many negative and positive emotions. The strength and affectedness reaction depends on the strength and extremity of emotion. It is translated into behaviors, actions and expressions. The Qur'anic stories have taken a lot of space in the verses. A lot of verses abound with expressive emotions highlighting the identity of the non-believers.

Keywords: Emotions; psyche; infidels; Qur'an; lessons.